

كليلة ودمنة

وَضَعَهُ

(بيدبا) كبير علماء الهند

ونقله من الفهارست إلى العربية

عبد بن المقفع

وعني بضم غمريه وتفسيره وبيان ما فيه من أسرار الحيوان والطير

محمد بن أبي البرص

دار الفرجاني

القاهرة . طرابلس . لندن

بسم الله الرحمن الرحيم

أُغْرِمْتُ بِكَلِيلَةٍ وَدِمْنَةٍ إِغْرَامًا ، وَفُتِنْتُ بِهِ افْتِنَانًا . وَوَدَدْتُ لَوْ أَنَّ
النَّاسَ جَمِيعًا مِثْلِي قَدْ أُغْرِمُوا بِهِ وَافْتِنُوا . فَانْهَذَا السَّفَرُ الْخَطِيرُ عَلَى مَا بَعْدَهُ
مِنْ بُعْدٍ فِي التَّارِيخِ ، وَمَا بِرَوَايَاتِهِ مِنْ خُلْفٍ فِي بَعْضِ أَلْفَاظِهَا ، لَا يَزَالُ
أُصَدِّقُ صُورَةَ مِنْ صُورِ الشَّرْقِ عَامَةً . سِوَايَ فِي ذَلِكَ مَرَامِي حِكْمِهِ وَطَرِيقِ
اِحْتِيَالِهِ ، وَسِوَايَ فِي ذَلِكَ مَا يَتَخَلَّلُهُ مِنْ تَنْدُرٍ وَتَمَثُّلٍ ، وَمَا يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ تَحْفَظٍ
وَتَحَرُّزٍ . وَلَعَلَّهُ — بَعْدُ — فِي ثَوْبِهِ الْحَاضِرِ أَوَّلُ كِتَابٍ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ قَدْ
اجْتَمَعَتْ لَهُ خِصَائِصُ وَتُمَيِّزَاتُ يَرْضَى الْعَامَّةُ عَنْهَا وَالْخَاصَّةُ ، وَيُفِيدُهَا الْعَالَمُ
وَالْمُتَعَلِّمُ سِوَاهُ . وَلَعَلَّهُ — بَعْدُ — الْكِتَابُ الَّذِي تَقْرَأُهُ فِي كُلِّ عَامٍ ، بَلْ فِي
كُلِّ شَهْرٍ ، بَلْ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، فَلَا تَزْدَادُ بِكَلِمَاتِهِ الْمَصْطَفَاةَ إِلَّا كَلْفًا ، وَبِأَسْلُوبِهِ
السَّهْلَ الْمُتَمَنِّعَ إِلَّا اسْتِمْتَاعًا ، لَمْ يَنْبُ مِنْهُ لَفْظٌ ، وَلَمْ يُهْلَلْ فِيهِ تَرْكِيبٌ ، فَلَمْ
تَخْلُقْ حِدَّتُهُ ، وَلَمْ تَرِثْ دِيْبَاجَتَهُ عَلَى مَرَكَلِ هَذِي الْقُرُونِ . بَلْ كَانَ مَوْضِعُ إِعْجَابٍ
نَابِهُ الْكِتَابِ وَنَابِغِي الْمُنَشِّئِينَ فِي كُلِّ عَصْرِ وَفِي كُلِّ جِيلٍ . وَلَكِنَّ الْأَسْلُوبَ
الَّذِي بِهِ يَقْدَمُ هَذَا الْكِتَابُ إِلَى الطَّالِبِ فِي مِصْرٍ لَا يَكَادُ يَسْتَنْهَضُ مِنْهُ رَغْبَةً
وَلَا يَسْتَرْعِي فِيهِ نَظْرًا . إِذْ كَانَ لَا يَتَنَاوَلُهُ فِي مَدْرَسِنَا إِلَّا كِتَابُ (مُطَالَعَةِ)
وَهِيَ عِنْدُنَا لَيْسَتْ إِلَّا وَسِيلَةً لِنَقْوِمَ اللَّفْظَ ، وَإِلَّا مَرَلَقًا لِللسَانِ تُبْلِي بِهَا
مَوَاقِعُ الْإِعْرَابِ مِنَ الْكَلِمَاتِ . أَمَّا مَوَارِدُ حِكْمِهِ ، وَأَمَّا مَضَارِبُ أَمْثَالِهِ ،
وَأَمَّا مَا قَصِدُ إِلَيْهِ مِنْ شِجَارِ بَيْنَ بَهِيمَتَيْنِ ، أَوْ حِوَارِ بَيْنَ سَبْعَيْنِ ، فَقَدْ يَكُونُ
ذَلِكَ شَيْئًا آخَرَ فِي غَيْرِ هَذَا الْكِتَابِ

شهدت طالباً في رُقعة من رُملائه يَسْتَهْدِي أستاذَه إلى مؤلَّف عربي
يكون له منه عَوْن على الكِتَاب والتحرير، ويتَّخذ من أسلوبه المثل يترسمُه
ويحتذيه، وما إن جاء كَلِيلةُ ودمنة في عد الأستاذ للكتب والمؤلفين حتى
انفجرت شفتا الشاب عن ابتسامَةٍ لم تَبِنْ معها نَتَائِها. ولكنها هاجتِ
الأستاذ واستنفرت حِدَّتَه وسَخَطَه، إذ أحس فيها ما نيم على أن الطالب كغيره
مُسْتَهْتَر غير قادر لهذا الكتاب ولا عليه حريص. وكان كلما تشدد الأستاذ
في تَسَخُّطه ألحَّ الطالب يقول «أَعْرِف هذا الكتاب ونظامه منذ سنوات»
شافعاً ما يقوله باليمين تَلَوَّ اليمين، جاهداً مغلظاً. حتى إذا فرغ مما كان بينهما
إذا الامر يتكشف عن اثنين من هؤلاء، لا يعرفان في لفظ كَلِيلة ودمنة إلا
أنهما اسمان للملكين متحاربين. وما كان أعجَبَ أن ترى هذا العارِف
بالكتاب أشدَّ هذين جهلاً به وبعداً عن الفاظه ومعانيه

من أجل ذلك رَجَوْتُ أن أُحِبَّ فيه الذَّشَّ من الشباب، فأخذت
في طبعتي هذه أُنْخِيلُ أمثاله مثلاً مثلاً. ثم عَهِدْتُ بما تخيَّلْتُ إلى
بعض الرِّسَّامِينَ، فوضَعُوا من المعاني والصور ما يربو على مائة مَنَظَر ومَشْهَد،
تُوشِكُ أن تتفق وما أراد واضعه. وهي وإن لم تجيء بما يَبْتَغِيهِ الفن من
عَدِيدِ جهاته، إلا أنها أشرفت على شيء مما ابتغيت. ثم حفظت لنفسى كل
حق وحظرت طبعه ونشره والاقتباس منه. وهذه الطبعة أيضاً مَدْرَسِيَّة قد
زُوِّدَتْ بما يُعِين الطالب من ضَبْط وتفسير في أصح رواية وأسلم عبارة. فعسى
أن يَسْتَطِيعَ الشباب من ثمرات هذا المؤلف اللطيف نوعه، فيحقق الله لي
بذلك ما رَجَوْتُ

المُرْصَفِي

أول أكتوبر سنة ١٩٢٧

فهرس تاريخ كلية ودمنة

صفحة	صفحة
٢٩ الترجمة العبرانية	١٨ تمهيد
» اللاتينية	٢٠ الكتاب في السنسكريتية
» الشعرية	} الترجمة التبتية
» الاسبانية	} الفهلوية
» الانجليزية	٢٣ » السريانية
» الروسية الحديثة	» العربية
» الهندية الملقية	} » السريانية
٣٢ جدول بالترجمات وما تفرع منها	} » اليونانية
	} » الفارسية الحديثة
	} » التركية



فهرس حياة ابن المقفع

صفحة	صفحة
١١	١ حياة ابن المقفع
١٢	» مصدر نبوغه
١٣	٣ عصر ابن المقفع
السياسة والعقائد	٥ براعته في الكتابة
١٤	٦ الكتابة في عصر ابن المقفع
١٥	» الاساليب المستحدثة في
١٧	عصر ابن المقفع
العقائد	٧ أسلوب ابن المقفع
١٩	٨ زهده في السجع
٢١	» سهولة لفظه
»	» حرصه على الایجاز
٢٢	٩ اقلاله من المترادف
مقتله	١٠ الحاجة إلى الترجمة في عصره

فهرس أبواب كلية ودمنة

صفحة	صفحة
٢٤	مقدمة الكتاب
٥٢	بعثة برزويه إلى بلاد الهند
٦٥	عرض الكتاب ، ترجمة
	عبد الله بن المقفع
٧٩	برزويه ، ترجمة بزرجمهر
	ابن البختكان
٩٤	الاسد والثور ، وهو أول
	الكتاب
١٥٢	الفحص عن أمر دمنه
١٧٢	الحمامة المطوقة
١٩٢	البوم والغربان
٢١٩	القرود والغليم
٢٢٦	الناسك وابن عرس
٢٣٠	الجرذ والسنور
٢٣٦	الملك والطائرقة
٢٤٣	الاسد وابن آوى
٢٥٢	ايلاذ و بلاذ و ايراخت
٢٦٨	البؤة والأسوار والشعير
٢٧١	الناسك والضيف
٢٧٣	السائح والصائغ
٢٧٩	ابن الملك وأصحابه
٢٨٥	الحمامة والثعلب ومالك الحزين

فهرس الصور

صفحة	صفحة
	(مقدمة الكتاب)
بين يدي دبشليم في جمع من رؤساء بلاده	٢٦ ذو القرنين بين المنجمين
٥٣ كسرى أنوشروان في خلوته	يختارون له الوقت الصالح
يفكر في أمر هذا الكتاب	٢٧ { جيش فور الهندي — حيلة
وقد تمثلت له صورته وناسخه	{ الاسكندروهي الحيل النحاسية
٥٨ برزويه يحادث خازن كتب الملك في بيته	٢٨ ذو القرنين وفور الهندي
٥٩ برزويه مكب على نسخ هذا الكتاب	يتصارعان على ظهري فرسيهما
٦٠ برزويه بين يدي كسرى يقرأ هذا الكتاب على أهل فارس	٣٢ الفيل وقد اجتمع عليه الطير
٦١ كسرى يلبس برزويه التاج بين أعيان مملكته	ينقر عينه
(باب عرض الكتاب)	٣٣ الفيل وقد ارتطم في الهوة
{ الطاع يأمر الحمالين بحمل مافي	٤١ دبشليم مفضبا وقد أمر
{ الكنز — الرجل ينسدم	بسجن يديبا
{ على ماجناه عليه طمعه	٤٢ يديبا في سجنه وقد صدر
	العفو عنه
	٤٤ بيديا يطاف به في المدينة
	وقد استوزر بعد العفو عنه
	٥١ بيديا يقرأ هذا الكتاب

٦٨ الرجل الجاهل يعجب من
تخطئته بعد أن حفظ الصحيفة
الصفراء

٦٩ الرجل شاعر باللص وينتظر
نتيجة فعلته — الرجل مذعوراً
« بعد غفوته » لتمكن اللص
من غايته

٧٢ { الفقير يترصد باللص —
الفقير جذل مسرور بشوب اللص
٧٧ { الصائد فرح بالصدقة —
الصائد يندم على التهاون في شأنها

(باب برزويه)

٨٤ { اللصوص يتسمعون قول
السري وهم على سطح المنزل —
اللس وقد اعترف بانخداعه

٨٦ { ناخب اللؤلؤ يضرب بالصنج —
صاحب اللؤلؤ وثاقبه يتنازعان

٩٢ { الرجل في البئر وقد شغلته
حلاوة العسل — الرجل ساقطاً
في فم التنين

(باب الأسد والثور)

٩٥ الرجل يعظ بنيه ويلومهم على
سوء تبذيرهم

٩٧ { الثور (شترية) وقد ارتطم
في الوحل — شترية وقد
انفض الرجل عنه

٩٨ الأسد (ملك هذه الناحية)
بين حاشيته

١٠٠ { القرد يرقب النجار —
القرد وقد لزم الشق على ذنبه
١٠٥ دخول دمنة على الأسد

١٠٨ الاسد وقد هيج شترية بنحواره
الثعلب يفكر في ضخامة

١٠٩ { صوت الطبل — الثعلب
وقد عاج الطبل حتى شقه

١١٢ { دمنة يجي بشترية لدى الاسد
— الاسد وشترية متصافين

١١٥ { الغراب والأسود —
الأسود يزدرد فراخ الغراب

١١٦ { العليجوم والسرطان — السمك
والسرطان يستشير العليجوم

العلجوم يأكل السمك —
 ١١٨ السرطان وقد صنف بكليته
 عنق العلجوم فات

الغراب يختطف العقده —
 ١١٩ الناس تأخذ العقده وتقتل
 الاسود

الأسد يخدع بظله وظل
 ١٢١ الارنب في الحب —
 الأسد يفرق والارنب تعود

دخول دمنة على شترية كثيراً
 ١٢٨ — إثناس شترية بدمنة
 مقاتلة الأسد للفيل —

١٣٤ الفيل يفلت مشخناً بالجراح
 يأترون بالجل ليعرض نفسه —
 ١٣٧ وثبتهم على الجل وتزقيه

الطيטوى يتحدث الى زوجه
 ١٣٩ — وكيل البحر يتناول فراخ
 الطيטوى

البطتان والسلحفاة —
 ١٤٠ سقوط السلحفاة وموتها
 ١٤٢ الطيטوى يستنجد بالعنقاء —

١٤٢ وكيل البحر يفر من العنقاء
 وجماعة الطير

شترية يدخل على الأسد
 ١٤٣ فيتوسم فيه الشر —
 قتال الأسد والثور

المكار والمغفل يدفنان المال —
 ١٤٧ المكار يبرأ والمغفل يلطم وجهه

أبو المكار يستخرج من الشجرة
 ١٤٨ — المكار يطاف به مشهوراً
 والقاضي يصفع أباه

١٥١ الأسد متعب وهو ينظر
 الى الثور

(باب الفحص عن أمر دمنة)

١٥٣ كيلة يؤنب دمنة على النخمة
 وقد سمعها النمر

١٥٩ دمنة يعترف والفهد يسمع
 ١٦٠ دمنة بين يدى القضاء

الملك يشاور الطبيب الاعمى
 ١٦٢ — الجاهل يزعم علمه بالطب

١٦٣ الجاهل يجمع الدواء في بيت

الحكمة — الجاهل يؤمر
بشرب الدواء القاتل } ١٦٣

شهادة الفهد والنمر —
قتل دمنة في سجنه } ١٧١

(باب الحمامة المطوقة)

الصيدا يفرح بصيده والغراب
ينظر اليه — الصياد يتبع الحمام } ١٧٤

الجرذ جاذ في قطع الحبائل —
الغراب يطلب ود الجرذ } ١٧٥

الغراب يحمل الجرذ الى مكان
السحفاة — الجرذ يقص على
السحفاة والغراب قصته } ١٧٨

الضيف يغضب لتصفيق
الناسك — الجرذ ان تنعم
بعيش الناسك } ١٨٠

الخنزير يدرك القانص —
الذئب وقد أصابته سية
القوس فقتلته } ١٨١

الغراب يخلق ليرى هل للظبي
طالب — الظبي والجرذ } ١٨٧

والغراب والسحفاة — ثأنين
الظبي يتراءى للقانص كأنه
جريح — الظبي يستطرد للقانص } ١٩٠

الظبي والجرذ والغراب
والسحفاة في عريشهم آمنين

(باب البوم والغربان)

هجوم البوم على الغربان
الكرأكي تريد تملك البوم —
الغراب ينفر الكركأكي من البوم } ١٩٣

الفيلة في طريقهم الى الماء
الفيل يسجد للقمير } ١٩٩

السنور يتظاهر بالصلاح
والتقوى — السنور ينقض
على الارنب والصفرد } ٢٠٣

الناسك وقد خدع فسلبه
للصوص عريضة

ملك الغربان يشاور وزراءه —
الوزير الذي طابت نفسه عن
تفريشه } ٢٠٥

الاص والشیطان يتجادلان

في أيهما يسبق بعمله —
 صاحب البقرة يصحو على
 صراخ اللص والشيطان

الغراب يخدع البوم ليقبلوه —
 الغراب يتغفل البوم فيدب
 إلى أهله

ملك الضفادع يتخذ الأسد
 مركباً — الأسود يتناول غذاءه

(باب القرد والغيلم)

ابتداء الصحبة بين القرد والغيلم
 — القرد والغيلم متصافيين

القرد يعود على ظهر الغيلم
 ليحضر قلبه — القرد يعلو

الشجرة ويسخر من الغيلم
 ابن آوى يزين للأسد

افتراس الحمار — الأسد وقد
 خارت قواه فلم يقو على افتراسه

الأسد وقد تمكن من صرع
 الحمار — ابن آوى يستل

قلب الحمار

(باب الناسك وابن عرس)

الناسك يتخيل ماسيجه
 من جرة السمن والعسل —
 الناسك وقد سال ما في الجرة
 على رأسه

ابن عرس يهجم لمقاتلة الأسود
 — ابن عرس مبتهج بعد قتل
 الأسود

الناسك يقتل ابن عرس —
 الناسك يندم وزوجه تؤنبه

(باب الجرذ والسنور)

الجرذ أمام السنور والبوم
 وابن عرس — السنور وقد
 وثب على الشجرة والجرذ
 يدخل جحرًا

(باب الملك والطائر فزة)

الطائر فزة يطعم ابن الملك
 وفرخه — ابن الملك يغضب
 فيقتل ابن فزة

٢٣٧ } الطائر قززة يققأعين الغلام -
 يريدون يستأمن قززة لينتقم
 (باب الأسد وابن آوى)

٢٤٤ } ابن آوى الزاهد المتعفف -
 ابن آوى الزاهد فى صحبة الملك
 ابن آوى الزاهد يتهم باخفائه
 ٢٤٨ } اللحم فى منزله - الأسد يأمر
 بابن آوى الزاهد أن يقتل
 أم الأسد تقص خبر السعاية -
 ٢٥١ } الأسد يرد ابن آوى الزاهد
 الى صحبته وكرامته

(باب ايلاذويلاذوايراخت)

٢٥٣ بلاذ يقص على البراهمة رؤياه
 ٢٥٧ الملكة ايراخت تريد أن
 تعلم ما بالملك

٢٥٩ الملك بلاذ أمام كباريون الحكيم
 ٢٦٢ الملك يأمر وزيره بقتل ايراخت
 ٢٦٢ الملكة ايراخت بين يدي
 الملك حامدة مفكرة

(باب اللبؤة والاسوار والشعمر)
 ٢٦٩ اللبؤة والشعمر ينظران الى
 بقايا شبليهما

(باب السائح والصائغ)
 ٢٧٤ السائح يخرج الرجل وهذه
 الحيوانات تحذر غدر الانسان
 ٢٧٦ البير ينجى السائح بعقد ابنة
 الملك
 ٢٧٨ الملك يأمر بالسائح أن يعذب
 ٢٧٨ الحية تقدم الى السائح فى
 سجنه ورقاً ينفع من سمها
 ٢٧٩ الصائغ يصلب ويعذب
 لجحوده وكفرانه

الثعلب يتوعد الحمامة لتلقى
 ٢٨٦ } بفراخها - الثعلب ينقض
 على الفراخ فيما كاهها

(الحمامة والثعلب ومالك الحزين)
 الثعلب يخدع مالك الحزين
 ٢٨٨ } الثعلب وقد وثب على مالك
 الحزين فقتله

فهرس الحواشى

صفحة		صفحة
١٩	الكيسانىة	٣ على
٢٠	النظام « النظامىة »	» معاوىة
٣١	القبرة	» عبد الملك بن مروان
٥٦	أما « اعراب »	» الوليد بن عبد الملك
٧٠	دودة القز	٧ محمد المهدي
٧٩	برزويه . برز جهر	٨ بشر بن المعتمر « البشرية »
»	المقاتلة . الزمازمة	٩ الجاحظ « الجاحظىة »
٨٠	إلا « اعراب »	» الحسن بن وهب
٨١	أما « اعراب »	» قطرى بن الفجاءة
»	إياك والشر « اعراب »	» الحجاج بن يوسف
٨٢	إذا « اعراب »	١٠ اسماعيل بن يسار « الشعوىة »
»	رويداً « اعراب »	١١ أثر ابن المقفع فى الترجمة
٨٤	قلت بمعنى أحببت	١٤ المعتزلة
٨٨	الحدأة	١٥ عبدالله بن محمد الأحوص
٩٠	الاخلاط الاربعة	١٦ مطيع بن إياس
٩٠	لاسىما « اعراب »	١٧ يحيى بن زياد
٩٢	التنين	١٧ حماد عجرد

صفحة	صفحة
النحل ١٣٢	٩٣ إذ « اعراب »
» النيولوفر	٩٤ دبشليم
الطيوى ١٣٨	» يديبا
السلحفاة ١٤٠	» البراهمة
العنقاء ١٤١	٩٨ الأسد
الخفاش ١٤٤	٩٩ الذئب
التمساح ١٤٥	» بنات آوى ، ابن آوى
» اليراعة	١٠١ الكلب
البازى ١٥٠	» الفيل
الثور ١٥٢	١٠٤ النمر
١٥٦ ويل « اعراب »	١٠٥ فلان وفلانة « اعراب »
١٥٨ لام لأن « اعراب »	١٠٨ الثعلب
١٥٩ الفهد	١١٠ لعل « اعراب »
١٦٤ الخنزير	١١١ النخل
١٦٦ الشعير	١١١ إن أنت « اعراب »
١٦٧ حيث « ماتدل عليها »	١١٤ الغراب
١٧٢ الحمام	١١٥ البط
» الجرذ	» السرطان
١٧٦ السنور	١١٧ سواء « اعراب »
١٨١ الظباء	١٢٩ منذ ومنذ « اعراب »

صفحة	صفحة
٢١٤ الضفدع	١٨٩ ويح « اعراب »
٢١٩ القرد	١٩٢ البوم
٢٢٦ ابن عرس	١٩٦ الكركي
٢٥٤ البختي	١٩٧ الطاووس
٢٧٢ الحجل	» النعام
٢٨٤ المدهد	٢٠٠ هلم « اعراب »
	٢٠١ هراق « تصريف »

تاريخ كلية ودمنة

ومنه يتجلى فضل هذا الكتاب وتتمثل فيه عناية
الأُمم به منذ وضعه الى الآن بالترجمة تارة
وبالبحث أخرى. وهو للمؤرخ الكبير جورجى
بك زيدان مؤسس مجلة الهلال مستعيناً بأراء
المستشرقين ومن عُنوا بالكتاب وحفلوا به



﴿ تاريخه وترجمته ﴾

(تمهيد)

لكل شئ تاريخ حتى النبات والجماد ، فإذا مررت بشجرة في صحراء لم يمر بها أحد قبلك ورأيت في ساقها اعوجاجاً وفي أغصانها انحرافاً ، أو رأيت في قاعدتها نخرأ أو تجويفاً أو نحو ذلك مما يصيب النبات من آثار العوامل الجوية والطيور والحشرات علمت ما قاسته تلك الشجرة من مصادمة الرياح العاصفة والصواعق المنقضة وما انتابها من مخالب الكواسر وقواضم الحشرات - وهو تاريخها - وإذا كنت عالماً بنواميس النبات لم يعجزك تعيين زمن بعض تلك النوازل بالشهر أو العام . وقد يقع نظرك هناك على حصاة ملساء فتدلك القواعد الجيولوجية على ما مرّ بها من السكوارث والطواري منذ آلاف من السنين . فإذا كان ذلك شأن ما ليس للإنسان دخل فيه فكيف فيما كان من صنع يده وقد نفخ فيه من روحه وورصه بشئ من جمال ذوقه كالأبنية والمسلات وسائر المنحوتات والمصنوعات مما نراه في المتاحف والمعارض ، فإن لكل من تلك الآثار تاريخاً منذ خرج من أيدي صانعيه إلى أن ظفر به النقبون ، وتاريخاً آخر منذ اكتشفه إلى الآن

وأجدر أعمال الانسان بالبقاء والتناقل حتى يطول تاريخها ما كان من ثمرة العقل ونتيجة أعمال الفكرة مما يتعلق بمصالح الناس ولا سيما في أخراهم : كالشرائع الدينية والتعاليم الأخلاقية التي تحفظ في الكتب فتتوالى عليها

القرون وهي باقية بقاء الجبال ، إلا ما قد تقتضيه نوايس العمران من الارتقاء .
ولذلك رأيت لكل من كتب الشرائع تاريخاً طويلاً بين ثقل وشرح
وترجمة وتعديل . اعتبر ذلك في التوراة وما مرّت به من الأطوار منذ كتبت
بالعبرانية وجمعت حتى ترجمت إلى اليونانية فالسريانية فاللاتينية فالعربية فألى
سائر لغات العالم ، وما تخلل ذلك من الشروح والتعليق . وانظر الى الانجيل
والقرآن وكتب سائر الأديان الكبرى كالبرهمية والبوذية والزرذشتية وغيرها
فإن لكل منها تاريخاً

ويلى كتب الدين ، بالنظر إلى طول البقاء والانتشار ، كتب الأدب
والأخلاق شعراً أو نثراً بخلاف كتب العلم الطبيعى ، فإنها تنقص بمرور
الأيام . أمّا تلك فقلما يعتورها تغيير لأن طبائع البشر ، ولا سيما إحساسهم النفساني ،
لا يزال كما كان من أول عهد العمران . اقرأ ما يقوله هوميروس أو امرؤ القيس
أو غيرها من قدماء الشعراء في وصف العواطف البشرية أو الانفعالات
النفسية فتراه يعبرون عن عواطفك ويدلون على إحساسك . ولهذا السبب
حفظ الناس تلك الأقوال وتداولوها وتناقلوها على تفاوت في ذلك يختلف
 باختلاف منازعتها من البلاغة والسهولة والفائدة وغيرها فعاش بعضها قروناً
عديدة وترجم إلى لغات كثيرة فعاصر الدول القديمة والحديثة على اختلاف
أطوار تمدنها وذهبت الدول وتبدلت العصور ولا تزال هي حية إلى الآن .
ومن أقدم كتب الأدب وأكثرها تداولاً وانتشاراً على اختلاف
الزعات واللغات كتاب (كليله ودمنة) فلا غرو إذا خصصنا للكلام فيه
فصلاً برأسه لما استراه من أهميته وفضل صاحبه وغرابة تاريخه . — وقد كتب

في هذا الباب غير واحد من العلماء المستشرقين أشهرهم البارون دي ساسي
الفرنساوي وبنفي ونولدكي الألمانيان وكيث فالكونر الإنكليزي فاستعنا
بآرائهم وثمار أبحاثهم فيما نحن فيه فنقول :

(١) — تأليف هذا الكتاب في اللغة السنسكريتية

هو كتاب في إصلاح الأخلاق وتهذيب النفوس وضعه فيلسوف هندي
اسمه بيديا منذ نيف وعشرين قرناً للملك من ملوك الهند اسمه دبشليم ذكروا
أنه تولى الهند بعد فتح الإسكندر وطفى وبغى فأراد بيديا إصلاحه وتدر به
فألف هذا الكتاب ، وجعل النصح فيه على السنة البهائم والطيور على عادة
الهنود البراهمة في عصورهم القديمة فإنهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات
لاعتقادهم بتناسخ الأرواح . والمظنون أن معظم ما يتناقله الناس من أمثال
هذه الأقاصيص أصله من الهند . وقد صنف في هذا الموضوع وعلى هذه
الكيفية غير واحد من الحكماء . ويقال إن بيدبا أول فاتح لهذا الباب وكل
من صنف بعده في نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه . وترجع مواضيع
النصح في هذا الكتاب إلى ما يحتاج إليه الناس في معاملاتهم كوجوب الابتعاد
عن سماع كلام الساعي والنام ، ووخامة خاتمة الأشرار ، ومنافع الأصحاب ،
وعدم جواز الأمن من كيد العدو ، ومضار الإهمال والغفلة ، وآفة التغجيل ،
وفائدة الحزم ، وعدم الاعتماد على أرباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقى
العواطف ، وضمنه حكايات يتفرع بعضها من بعض ترجع إلى ١٢ باباً وهي :

(١) باب الأسد والثور

- (٢) باب الحمامة المطوقة
 (٣) » اليوم والغربان
 (٤) » القرد والغيلم
 (٥) » الناسك وابن عرس
 (٦) » الجرذ والسنور
 (٧) » الملك والطائر فزة
 (٨) » الأسد وابن آوى والناسك
 (٩) » الببؤة والأسوار والشعير
 (١٠) » إيلاذ ويلاذ وإبراخت
 (١١) » السائح والصائغ
 (١٢) » ابن الملك وأصحابه

هذه هي أبواب كتاب كيلة ودمنة عند منشئه في اللغة السنسكريتية ، ثم أخذ الناس في نقله والزيادة فيه — فنقل الى اللغة التيبية والفارسية ، ومن هذه إلى العربية إلى معظم لغات العالم المتمدن حتى الفارسية والهندية فانهم نقلوه إليهما من اللغة العربية كما سيجيء

وقد نهض أهل النقد والبحث من العلماء المستشرقين في هذا العصر للتنقيب عن النسخة السنسكريتية الاصلية فلم يعثروا عليها ولكنهم وقفوا على أبواب منها متفرقة في كتب الهند القديمة ولا سيما المهابهاراتا والبانشاتانترا والهيوتوباديسا — فوجدوا الابواب الخمسة الأولى من باب الأسد والثور إلى باب الناسك وابن عرس في كتاب البانشاتانترا ومعناه : الكتب الخمسة والثلاثة التالية وجدوها في كتاب المهابهاراتا ، ووقفوا على فصلين آخرين في

المهتوباديسا - ولذلك يظن الاستاذ بنفى صاحب البحث فى هذا الشأن أن هذه الأبواب لما ترجمها برزويه إلى الفارسية القديمة لم تكن مجموعة فى كتاب واحد ، وإذا كان مؤلفها واحداً ، كما زعموا ، فلها تشتت بعد ذلك ودخلت فى خلال كتب أخرى . فلما نقلها برزويه جعلها كتاباً واحداً عرف بهذا الاسم

(٢) — الترجمة التيبية —

هى أولى الترجمات وأقدمها ولكنهم لم يعثروا الأعلى قسم منها اكتشفه انطون شفتر — ولا بدءاً من ترجمات أخرى تناقلتها الأمم الجاورة للهند فى الشمال وقد ضاعت بمرور الأعوام .

(٣) — الترجمة الفهلوية أى الفارسية القديمة —

ظل هذا الكتاب محفوظاً فى خزائن ملوك الهند يحرسون عليه حرصهم على أمن الكنوز ، لا يسمحون لسواهم بالاطلاع عليه غير ماتقدم من نقله إلى التيبية حتى القرن السادس للميلاد لما أفضى عرش فارس إلى كسرى أنوشروان ، وكان محباً لأسباب الإصلاح وأخذ فى نقل العلم والأدب فبلغه خبر هذا الكتاب فاستشار خاصته فى رجل يبعث به لهذه المهمة يكون عارفاً باللسانين السنسكريتي والفارسي مع علم وفلسفة . فاختاروا له طبيباً فيلسوفاً اسمه برزويه بن أزهر . فأمر إليه أمر الكتاب وحرصه على نقله ونقل ما يتيسر من علوم الهند التى ليس فى اللغة الفارسية شئ منها وأمدّه بما

يحتاج إليه في سبيل ذلك الغرض . فسافر برزويه بعشرين جراباً من المال كل جراب فيه عشرة آلاف دينار حتى قدم بلاد الهند فجعل يجالس الحكماء ويسأل خواص الملك وجلساءه من العلماء والفلاسفة ، ويوهمهم أنه رجل غريب قدم بلادهم لطلب العلم والأدب وأنه محتاج إلى معونتهم . ولم يزل كذلك ، وهو يبحث سراً عن مكان ذلك الكتاب في خبر طويل استخدم فيه دهاءه ودرايته ، حتى ظفر بالكتاب ونقله من اللسان الهندى السنسكرى إلى اللسان الفارسى : وهو يومئذ الفهلوى . ونقل غيره من كتب العلم وعاد إلى أنوشروان ، فأجازه بالأموال وألبسه التاج ، وأجلسه على سريرته تشريعاً له وزيادة في إجلاله . وقد صدر برزويه ترجمته بفصل سماه باب برزويه لبرزجهر بن البختكان ذكر فيه سيرته وحكاية ذهابه بأمر كسرى لنقل هذا الكتاب من الهند . ومن النسخة الفهلوية المذكورة نقلت الترجمتان السريانية الأولى والعربية

(٤) الترجمة السريانية الأولى

سميها الأولى تمييزاً لها عن ترجمة أخرى سيأتى ذكرها . وكان المظنون قبلاً أن النسخة العربية هي أول ما نقل من الفهلوية ولكنهم عثروا على نسخة سريانية تحققوا من قرائن مختلفة وشواهد عديدة أنها نقلت من الفهلوية رأساً بعيد ذهاب برزويه لنقلها من السنسكرى : ذكر عبد يشوع أسقف نصيبين في قائمة كتبه السريانية رجلاً اسمه (بود) قال : انه كان من أهل العلم وانه ألف كتباً ضد المانية والمارقونية وكانت له رئاسة على نصارى

الهند وفارس نحو سنة ٥٧٠ م الى أن قل (وهو الذى ترجم كتاب كليله ودمنة إلى السريانية ، وقد ضبط بود هذا الكتاب على غير المعروف عندنا فسمه (قَلِيلَجْ وَدَمَنْج) وذلك على ما يظهر أقرب إلى الأصل الفهلوى . ولو بقيت النسخة الفهلوية إلى الآن لرأينا اسمها أقرب إلى لفظه السريانى منه إلى العربى . لأن أصل لفظه فى السنسكريتية (كراتكلاودمناكا) . فالغالب أن برزويه نقلهما الى الفهلوية بلفظ ينهى فى آخره بالجيم فحفظه المترجم السريانى وأطلقه المترجم العربى على عادة العرب فى نقل بعض الألفاظ الفارسية التى تنتهى بهذا الحرف . وقد عثروا على نسخة من الترجمة السريانية الاولى ونشروها مع ترجمتها الألمانية فى ليبسيك سنة ١٨٧٦ وهى مؤلفة من عشرة أبواب فقط

(٥) — الترجمة العربية —

هى أهمُّ ترجمات هذا الكتاب لأنها حفظته وكانت واسطة نقله إلى سائر اللغات الحية . نقله إلى العربية عبد الله بن المقفع كاتب أبى جعفر المنصور العباسى وكان ابن المقفع عريقاً فى الفارسية عالماً بأدائها متمكناً من أساليبها لأنها لغته ولغة آبائه . وكان يعرف اللغتين الفهلوية واليونانية ، وقد نشأ بالبصرة فى النصف الأول من القرن الثانى للهجرة وهى حافلة بالادباء والشعراء فبرع فى اللغة العربية وأدائها ، وكان سليم الذوق ذا قريحة إنشائية . فلما أقدم على نقل كتاب كليله ودمنة من الفهلوية إلى العربية جاءت عبارته شاملة للبلاغة والسهولة . وقد تحداها من جاء بعده لأنه أقدم من حفظ

إنشاؤه في المواضيع الأدبية باللغة العربية (توفي في أواسط القرن الثاني للهجرة) صدر ابن المقفع تلك الترجمة بفصل سماه (عرض الكتاب) وصف به الكتاب وبين فضل العقل والعلم وأبضحه بالأمثال والحكايات على أسلوب الكتاب الأصلي وأفاض في التحريض على مطالعته وتفهمه . فلما اطلع عليه العرب أعجبوا به وأخذوا يتدارسونهُ ويتناقلونهُ ، وكان علماء اللغة الفارسية حسدوا ابن المقفع على سببه في ترجمته فأقدم غيره على نقله ثانية من الفهلوية إلى العربية . وأقدم من فعل ذلك عبد الله بن هلال الأهوازي نقله ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥ هـ واشتغل غيره بنظمه شعراً تسهيلاً لحفظه فنظمه سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد المذكور ، فلما وقف عليه أجازه بألف دينار . وتصدى غيره لمعارضته فصنف سهل بن هرون للامون كتاباً عارض فيه كتاب كليله ودمنة في أبوابه وأمثاله . على أن هذه الكتب ذهبت كلها ولم يبق إلا ترجمة ابن المقفع التي هي بين أيدينا وقد تعدلت بتوالي الأزمان بين تنقيح وتصدير وتذييل فبلغت أبوابها ٢١ باباً ، بعضها هندي الأصل والبعض الآخر فارسي والآخر عربي . فالأبواب الهندية ١٢ قد ذكرناها فيما تقدم والفرسية ثلاثة وهي : مقدمة برزويه التي أشرنا إليها ، وباب بعثة برزويه ، وباب ملك الجرذان . وهناك ستة أبواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية : وهي مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلي بن الشاه الفارسي ، وباب عرض الكتاب لابن المقفع ، وباب الفحص عن أمر دمنة ، وباب الناسك والضييف ، وباب مالك الحزين والبطّة ، وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . وبعض

هذه الفصول لا يوجد الآن في النسخ المطبوعة من الترجمة العربية
 وأول من نشر هذه الترجمة أو شيئاً منها المستشرق شولتنس الهولندي
 سنة ١٧٨٦ نشر منها باب الأسد والثور . أما نشرها كاملة فأول من
 أقدم عليه البارون سلفستردى ساسى المستشرق الفرنساوى الشهير فطبعها
 في باريس سنة ١٨١٦ وأرقها بفصل في أصل الكتاب وما نقل عنه الى
 اللغات الاخرى . ثم طبع طبعات كثيرة في مصر أقدمها طبعة بولاق سنة
 ١٢٤٩ هـ

(٦) — الترجمات المنقولة من النسخة العربية —

ضاعت الترجمة الفهلوية وتبعثر الاصل السنسكرى واختفت الترجمة
 السريانية الأولى وبعثت النسخة التبتية عن العالم المتمدن فلم يبق بين
 أيدي الناس الا الترجمة العربية فلما نضج التمدن الاسلامى وتحاكت الامم
 بالمسلمين وأخذوا ينقلون علومهم وآدابهم كان هذا الكتاب في جملة ما نقلوه
 الى ألسنتهم . وبلغ عدد الترجمات التي نقلت رأساً من العربية عشراً وهى
 (١) السريانية (الثانية) نحو القرن العاشر للميلاد (٢) اليونانية سنة
 ١٠٨٠ (٣) الفارسية سنة ١١٢٠ (٤) العبرانية الأولى (٥) العبرانية
 الثانية في القرن الثالث عشر (٦) اللاتينية في ذلك القرن (٧) الاسبانية
 سنة ١٢٥١ (٨) الملقية (٩) الانكليزية سنة ١٨١٩ (١٠) الروسية
 سنة ١٨٨٩ — وتفرع من بعض هذه الترجمات ترجمات أخرى الى الفرنساوية
 والايطالية والسلافونية والتركية والألمانية والانكليزية والدنماركية والهولندية

وغيرها حتى بلغ عدد الترجمات جميعاً بضعاً وعشرين ترجمة . ترجع بأسرها إلى العربية إما مباشرة أو بواسطة لغة أخرى واليك البيان :

(١) الترجمة السريانية الثانية

هي غير الترجمة الأولى المنقولة عن الفهلوية سنة ٥٧٠ م . أما هذه فقد نقلت عن العربية بين القرن الثامن والقرن الثالث عشر للميلاد : نقلها كاهن مسيحي لم يعرف اسمه ولا السنة التي ترجمها فيها . وقد نقل هذه الترجمة إلى اللغة الانكليزية المستشرق كيث فالكونرو ونشرها سنة ١٨٨٥ وصدورها بمقدمة مسهبة في تاريخ هذا الكتاب وترجماته

(٢) الترجمة اليونانية

نقلها عن العربية سمعان بن شيث نحو سنة ١٠٨٠ م وكانت ضائعة فعثر عليها الأب بطرس بوسينوس اليسوعي في أثناء بحثه عن أوراق فيها تاريخ ميشال باليولوغوس فوجدها في مكتبة ليوألتيوس وترجمها إلى اللاتينية ثم نشرت الترجمة اليونانية سنة ١٦٩٧ عن نسخة أخرى وجدها في هيمبورج نشرها ستارك مع ترجمة لاتينية جديدة لاعتباره ترجمة بوسينوس مغلوطة ، وقد طبعت غير مرة وتفرّع منها ترجمتان : الإيطالية والسلافونية فالترجمة الإيطالية تعرف بالقديمة تمييزاً لها عن الترجمات الحديثة ، وقد نُشرت في فرازا سنة ١٥٨٣ ثم في بولونيا سنة ١٨٧٢ والترجمة السلافونية تعرف بالترجمة الروسية القديمة تمييزاً لها عن الترجمة الروسية الحديثة نُشرت في بطرسبورج سنة ١٧٨٨

(٣) الترجمة الفارسية الحديثة

وفي الفارسية عدة ترجمات من كلیلة ودمنة مرجعها كلها الى النسخة العربية . وأقدم من عزم على ترجمتها إلى الفارسية الحديثة أبو الحسن نصر ابن أحمد الساماني في أواسط القرن الثالث للهجرة : أمر أحد العلماء بنقلها من العربية إلى الفارسية فنقلها ثم نظمها شاعره بالفارسية، ولا نعلم مصير هذه الترجمة وإنما ذكرها صاحب كشف الظنون . وأما الترجمات الباقية فأقدمها نقل أبي المعالي نصر الله بن محمد بن عبد الحمید بأمر أبي المظفر بهرام شاه ابن مسعود الغزنوی المتوفى سنة ١١٥١ للميلاد، وأول من نبه إليها دى ساسى وأشار الى وجودها مخطوطة في مكتبة باريس وسماها (نسخة نصر الله) وكتب فيها مقالة انتقادية أثبت أنها ترجمت حوالى سنة ٥١٥ هـ (١١٢٠ م) ولم تطبع بعد .

وجدد هذه الترجمة وخلصها وهذبها حسين بن علي الواعظ الكاشفي وصدرها بفدلكة في تاريخ الكتاب وتعرف نسخته في أوروبا بترجمة (أنوار السهيلي) نسبة الى الامير السهيلي من أمراء سلطان بيقر في أواخر القرن الخامس عشر للميلاد، وفي هذه الترجمة قصص لا توجد في الأصل العربي، ثم جدد هذه الترجمة في أواخر القرن السادس عشر أبو الفضل بن مبارك في نسخة عرفت باسم (عیاردانش) ولم تنشر

الترجمة التركية * وعن نسخة أنوار السهيلي الفارسية نقلت النسخة

التركية المعروفة (بهمايون نامه) نقلها علي بن صالح الرومي المعروف بعلي جايي

والملقب بعبد الواسع عيسى أستاذ الفقه في مدرسة أدرنه على عهد السلطان سليمان القانوني (سنة ١٥٢٠ - ١٥٦٦) وقد اشتهرت هذه الترجمة بنقلها الى اللغتين الفرنسية والاسبانية . أما الفرنسية فبدأ بها غالان وأتمها كاردون وطبعت في باريس سنة ١٧٢٤ - وأما الاسبانية فنشرت سنة ١٦٥٢ - ١٦٥٨

(٤٥) الترجمة العبرانية * في العبرانية ترجمتان نقلتا من العربية رأساً تنسب إحداهما الى يوثيل وقد نقلها جون كابوا الى اللاتينية سنة ١٢٢٧ م وعرفت ترجمته باسم Directorium Humanac Vitae ومنها نقل كتاب كليلة ودمنة الى معظم لغات أوربا الحديثة . فالترجمة العبرانية المذكورة عظيمة الأهمية في تاريخ هذا الكتاب ، ولكنهم لم يقفوا على تاريخ ترجمتها . على أنها لا ينبغي ان تعدّ أحدث من سنة ١٢٥٠ - وقد عثروا على نسخة وحيدة لها في مكتبة باريس فوصفها دى ساسي مطوّلاً في مفكراته عن المخطوطات . ونشر نيوباورقسما منها مع ترجمة ألمانية في مجلة الشرق والغرب . ونشرت النسخة برمتها يوسف ديرنبرج في باريس سنة ١٨٨١ مع ترجمة فرنساوية قابلها بالترجمة اللاتينية

وأما الترجمة العبرانية الأخرى فهي محفوظة في مكتبة كمبريدج نقلها من العربية يعقوب بن العازر أحد كتاب القرن الثالث عشر وهو صاحب المعجم العبراني الشهير باسم « سفر هشالم » وهي كاملة تقريباً وقد نشرها ديرنبرج مع النسخة الاخرى وعلق عليها بعض الملاحظات والانتقادات .

﴿ترجمات اللغات الحديثة﴾

والنسخة اللاتينية المتقدم ذكرها نشرت في أواخر القرن الخامس عشر وأخيراً سنة ١٨٨٤ - وقد نقلت الى معظم لغات أوروبا فنقلها غراف البهرت دي ورتنبرج سنة ١٤٨٠ إلى الألمانية ، ونقلها جرمانى آخر إلى الاسبانية في سنة ١٤٩٣ - ونقلها دونى إلى الإيطالية نحو سنة ١٥٥٢ ومنها نسخة في مكتبة كبريدج . ومن النسخة الجرمانية نقلت إلى الدنماركية سنة ١٦١٨ وإلى الهولندية سنة ١٦٢٣ - ومن نسخة دونى الإيطالية المذكورة نقلت إلى الإنكليزية بقلم السير توماس نورث ونشرت سنة ١٥٧٠ وسنة ١٦٠١ ومن الاسبانية نقلت إلى الإيطالية أيضاً سنة ١٥٤٨ - ونقل هذه الترجمة إلى الفرنسية جبرائيل كوتيه وطبعت في ليدن سنة ١٥٥٦ ونقلت إلى هذه اللغات ترجمات أخرى في أزمنة أخرى لافائدة من ذكرها

(٦) الترجمة اللاتينية الشعرية : وهناك ترجمة لاتينية شعرية يظن أنها

نقلت عن العربية نحو القرن الثالث عشر وتعرف باسم

Baldos' Alter Aesopus

(٧) الترجمة الاسبانية القديمة : وقد نقلها الاسبان رأساً من العربية في

أثناء نقلهم غيرها من آداب العرب في أواسط القرن الثالث عشر وهى غير النسخة الاسبانية التي تقدم ذكرها . ومن الترجمة الاسبانية القديمة نقلت ترجمة لاتينية أخرى عرفت باسم (نسخة ريموند) ذكرها دى ساسى في جملة مخطوطات مكتبة باريس يؤخذ من مقدمتها أن ريموند بزيار الطبيب نقلها

بإيعاز الملكة حنة دي نافار من الاسبانية إلى اللاتينية سنة ١٣١٣ قدمها إليها
(٨) الترجمة الانكليزية — وهذه الترجمة نقلت عن العربية رأساً
نقلها القس ويندهام ناتشبول ونشرت في اوكسفورد سنة ١٨١٩ — ثم أعاد
طبعها الأستاذ ادوار فانديك في سنة (١٩٠٥) ليفرقها في تلامذته
(٩) الترجمة الروسية الحديثة — وهي آخر ما نقل من الترجمات
الافرنجية رأساً عن العربية نقلها مخائيل عطايا ونشرت في موسكو سنة ١٨٨٩
(١٠) الترجمة الهندية الملقية — وفي جامعة ليدن ترجمة ملقية منقولة
عن العربية

هذه أهم الترجمات التي نقل اليها هذا الكتاب الجليل ومصدرها النسخة
العربية التي نقلها ابن المقفع في أواسط القرن الثاني للهجرة كما رأيت . وهناك
شذرات من ترجمات أخرى جاء ذكرها في بعض النصوص كالترجمة الحبشية
والأرمنية وترجمة أخرى لاتينية وغيرها
وفي الصفحة التالية جدول فيه نسبة ترجمات هذا الكتاب بعضها إلى
بعض من تصنيفه بالسنسكريتيّة إلى الآن .

الاصل السنسكريتي (الهندي القديم)

الترجمة التبتية

الترجمة الفهلوية (الفارسية القديمة) نحو سنة ٥٦٠ م

السريانية القديمة سنة ٥٧٠ م

الترجمة العربية نحو سنة ٧٥٠ م

الرومية لمطايلا. الانكليزية. المقلية. الفارسية لنصر الله. الاسبانية القديمة. المبرانية. المبرانية لابن المازر. اللاتينية الشعرية. اليونانية. السريانية الحديثة سنة ١٨٨٩ سنة ١٨١٩ سنة ١١٢٠ سنة ١٢٥١

في القرن ١٣ قبل سنة ١٣٠٠ سنة ١٠٨٠ نحو القرن العاشر

السلافونية القديمة الإيطالية سنة ١٥٨٣

انوار السهيلي اللاتينية ترجمة ريعوند سنة ١٣١٣ في آخر القرن ١٥

هيايون نامه في أول القرن ١٦ اللاتينية الديونكتوروم سنة ١٢٧٠ م

الفرنساوية لنانان

الالمانية سنة ١٥٨٣

الاسبانية الحديثة سنة ١٤٩٣

الهولندية سنة ١٦٢٣ الدانماركية سنة ١٦١٨

الإيطالية: ترجمة دوني سنة ١٥٥٢

الانكليزية لنورث ١٥٧٠

الفرنساوية سنة ١٥٤٦

حياة ابن المقفع

عناصر الموضوع

مصدر النبوغ — عصر ابن المقفع — براعته في الكتابة — الكتابة العربية في عصر ابن المقفع — الأساليب المستحدثة في عصره — أسلوب ابن المقفع — زهده في السجع — سهولة لفظه — حرصه على الإيجاز — إقلاله من المترادف — الحاجة إلى الترجمة في عصر ابن المقفع — نبوغه في الترجمة — عنايته بالحكم والأخلاق — أثر الآراء الاجتماعية في السياسة والعقائد — الزندقة بين المسلمين — ديانة ابن المقفع — أثر الانتقال الاجتماعي في العقائد — شرعة أدبي الأموية والعباسية — سيرة ابن المقفع — حرصه على الوفاء — مقتله

مصدر النبوغ

ينبغ شأن النابغة ويعلمو مكان الرجل العظيم ، فينفى الناس في إجلاله وتمجيد خصاله ، ويغفلون في الإعجاب بذكائه ورجاحة عقله ، ويفرقون في الثناء على ما جمع إلى ثقب البصيرة من حسن الفطنة ، وإلى بُعد النظر من أصالة الرأي ، وما أَلَفَ بين مضاء العزيمة وشدة الشكيمة ، ومرارة البأس وحلاوة الرحمة ، وما امتاز به من لسان عَصَبَ وبيان عذب . ثم يصوغ لهم

الخيال من هذه الخصائص كلها شخصاً قد جمع الله له الفضائل ، فيردون إليه ما كان وما يكون : من جسام الأمور وجلال الأعمال لم يبعد هؤلاء الناس في شيء من ذلك ولم يسرفوا ، وإنما رأوا جميلاً فأجلوه وعظموه . ومن ذا الذي ينكر أن الرجل الفذ يظهر العظمة والجلال ؟ غير أن نظر العامة قصير المدى ، فهم يرون أن الرجل العظيم علّة ما اختصّه الله به من نبوغ . وعلى سُنَنهم مضى المترفون من العلماء ، وهم الذين يُغنيهم قليل البحث عن كثيره ، وميسوره عن عسيره

وإنما نبوغ الرجل النابغة وتبريزه حادثة ذات خطر ، لها من الأسباب والعلل ما لغيرها من حوادث التاريخ . فمن أجله فإنما يحلّ البيئة التي أنشأته والحوادث التي أنبغته والعصر الذي عاش فيه

ذلك بأنه ليس في هذا العالم شيء إلا وله علّة أجنبية منه وسبب ناء عنه : يعمل فيه ويظهر ما له من نتائج وآثار

وعلى هذا فالترجمة لنابغة كبن المقفع^١ لا ينبغي أن تكون وصفاً له مقصوراً عليه . بل يجب أن تكون بياناً واضحاً وشرحاً مستقصي لأحوال التاريخ في أيامه ، حتى تستخلص من حياة الفرد حياة أمته وتُسندب من أحواله أحوال جيله . ولعمري ما القول في ميلاد الرجل ووفاته وفي أسفاره

١ قيل : سمي كذلك لانه لما ولى خراج فارس للحجاج ومد يده الى أموال الناس ضربه الحجاج فتفتت يده أى تشجّت . وقيل بل الذى ولاه خالد بن عبدالله القسرى والذى عذبه يوسف بن عمر الثقفى لما تولى العراق بعد خالد . وروى بعض الناس أن (المقفع) على صيغة اسم الفاعل لاسم المفعول لانه كان يعمل القفّاع ويبيعها ، والاول أرجح عند أهل الرأى

ومؤلفاته بكافٍ لمعرفة نفسه وما انتابت عليه من أسباب حقيقة : هي مصدر ما ظهر على يديه من تفوق ونبوغ

عصر ابن المقفع

ولقد نشأ ابن المقفع في عصر اضطراب وهلك ، خلف عصر هذوء واطمئنان . فقد مضى القرن الأول إلا أقله على المسلمين وهم في حروب وكروب بين فتوح وفتن . فامضوا ثلثه الأول في الفتح وإقامة الملك وتشديد السلطان ، ثم عدت عليهم عوادي الشر فتنزعوا القوة ، ونهضت فيهم فتن ذهبت بخيارهم أيام علي^١ . ثم جاءت أيام الجماعة ، فما كاد الناس يُرْمَحون ويستريحون حتى اقتبض عنهم ظلها بموت معاوية^٢ . فعادوا إلى ما كانوا فيه من خلاف وفرقة ، ومن اضطراب وانتقاض أمر ، حتى كان عصر عبد الملك^٣ . فجمع الأمة ووحّد الكلمة ووفق بين الآراء المختلفة والأهواء المتباينة ، وهذا الناس في أيام بنيه الوليد^٤ وسليمان^٥ ويزيد^٦

١ هو رابع الخلفاء الراشدين وابن عم الرسول الكريم وزوج ابنته فاطمة الزهراء وأول من أسلم من الصبيان . قتل سنة ٤٠ هـ . ٢ أول ملوك بني أمية وهو الذي كانت بينه وبين علي الفتن . كان كاتباً للنبي صلى الله عليه وسلم وأدهى دهاة العرب ، وتوفى سنة ٦١ هـ . ٣ عبد الملك بن مروان رابع خلفاء الأمويين وأول من تسمى عبد الملك في الاسلام وأول من ضرب الدراهم والدنانير بسكة الاسلام وكان النقش على الدنانير بالرومية وعلى الدراهم بالفارسية ، وتولى الخلافة من سنة ٦٥ إلى سنة ٨٦ هـ . ٤ الوليد هو ابن عبد الملك بن مروان ولي الخلافة يوم وفاة أبيه وكان عند أهل الشام أفضل خلفائهم فقد بنى المساجد بدمشق وبنى الجامع الأموي ولم يمته إلا أخوه سليمان بعد وفاته وتوفى سنة ٩٦ هـ عن ست وأربعين سنة . ٥ ثم قام بعده سليمان فأتم بناء الجامع الأموي وتوفى سنة ٩٨ هـ . ٦ يزيد بن عبد الملك كان بينه وبين أخيه سليمان خلافة ابن عمه عمر بن عبد العزيز تولى الخلافة سنة ١٠١ هـ وتوفى سنة ١٠٥ هـ

وهشام^١، وأيام ابن أخيه عمر^٢ بين ذلك ، اللهم إلا من خارجة تخرج أو طائفة تنجم . وبآخر هذا العصر انتكث قتل بنى أمية وانبثت في أرجاء المملكة الإسلامية دعوة بنى العباس ، وأخذت أطراف الدولة تنفصل . فانقسم بنو أمية بعضهم على بعض ، وأصبح بأسهم بينهم شديداً . وفي هذه الحال السيئة المملوءة بالرعب والفرع شبّ ابن المقفع : فقد ولد من أب فارسي^٣ ينتحل نحلة المجوس ويعمل للحجاج : وإنما كانت إمرة الحجاج في أيام الوليد وأبيه . فنشأ بين هذه العواصف المختلفة . فلم يكن له بد من أن يثبت لها ويقاوم زعازعها — ولا سيما إذ كانت له نفس طموح إلى المعالي نزاعة إلى الجحد — وابن المقفع من أصل فارسي كما قدّمنا ، والفرس أهل حضارة قديمة وعزّ تليد ، وبينهم وبين العلم أسباب متصلة وعزى موقّعة ، فليس عجيباً أن ينشأ ابن المقفع على طرف منه وأثارة صالحة على أن علوم الفرس وحضارتهم لم تكن وحدها كلّ ما للفرس في هذا العصر ، بل أضيف إليهم علوم جديدة مصدرها انتحالهم للإسلام وخضوعهم لدولة العرب ، فنبغ فيهم الرواة والقراء والمؤلفون وأصحاب الأخبار واللغويون وأهل الغريب وأصحاب معاني الأشعار . وإنما كان همّ الناشئ منهم أن يجد في إتقان ما أورثه أسلافهم من العلم وتحصيل ما أفاده عصره من المعرفة ، ليكون ذا فضيلة تقربه من أهل الملك وذوى السلطان ،

١ ثم قام بعده هشام وتوفى سنة ١٢٥ هـ ٢ هو عمر بن عبد العزيز الذى تولى بين سليمان ويزيد وهو الاشج الذى يقال فيه انه أعبدل بنى مروان ٣ وكان اسمه (داؤديه)

وترفع شأنه عند أولئك الأميين الذين كانوا لا بآئه أتباعا ، فأصبحوا له ملوكا
فليس بدعاً أن يُعنى ابنُ المقفع بهذه العلوم فيُحرز منها قسطاً موفوراً

براعته في الكتابة

ولما كانت دولة العرب في هذا العصر بعيدة الأطراف مختلفة الأعمال ،
والعرب على ذلك أمة أمية قليلة الحظ من الكتابة شديدة الحرص على
مداومتها والاحتفاظ بمضاربيها ، والمغلوبون من الفرس والرُّوم أهلُ دراية
بالسياسة وحِذق في العلم وبَصَر بالأُمور كانت لهم من ذلك فُرصة حرصوا على
أن يستفيدوا منها وينتفعوا بها . ففرغت طائفة منهم لإجادة ما يتصل
بأعمال السلطان : من كتابة وحساب ، ومن إدارة ووزارة . فنبغ منهم في
هذا نفر كثير : هم الذين دبّروا أمور الدولة ورفعوا مُنَادَها في عصرها
الأخير وفي أيام بني العباس . فكان من كبار كتابهم ابن المقفع الذي جمع
مختلفاً من العلوم ومتنوعاً من الفنون وأجاد الكتابة السياسية حتى كان في
آخر أمره من كتاب الأمراء

ولسنا بسبيل القول في رسائل ابن المقفع السياسية وكتاباته المتصلة
بأعمال الدولة . وإنما نقول : إنه قد اختصّ بفتنٍ أجادهما كلَّ الإجادة ،
وأقنعهما جدَّ الاتقان : أحدهما الترجمة ، والثاني تجبير الرسائل الخُلُقِيَّة التي
ترجع إلى سياسة الملوك للرعية وطاعة الرعية للملك
وقد يكون مما ينبغي أن نبين شيئاً من حال الأساليب العربية في

الكتابة ، ومن حال التدوين والتأليف في عصر ابن المقفع ، تمهيداً لبسط القول في الفئتين اللذين نبغ فيهما واختصّ بهما

الكتابة العربية في عصر ابن المقفع

لم يكن للعرب في جاهليتهم وكذلك في صدر الإسلام عهد بتحرير الرسائل وتنميقها ، وإنما كانت قصارهم إجادة الخطبة ونظم القصيد : يذهبون فيهما المذاهب . فإذا اضطرّ أحدهم إلى الكتابة فحسبُه من ذلك ما فيه بلاغ وتأدية المراد مع إيجاز حسن وسهولة فطرية في اللفظ : تماثل يمتثلهم وأحوالهم الاجتماعية . فلما حضروا بعد البداوة ، وأصبحوا أهل ملك مشيد وسلطان مبسوط على الشعوب ، وخالطوا أمماً ذات حظّ من إحسان القول والإجادة فيه ، أخذوا من الكتابة بحظّ وكثرت في أنفسهم المعاني الزائدة على المراد المحسنة له

الاساليب المستحدثة في عصره

فلم يكن أحدهم تكفيه أن يُبلغ صاحبه حاجته بلفظ موجز كما كان يفعل في القرن الأول . بل كان يحيطها بمعان كثيرة : يجعلها من بين يديها ومن خلفها : شافهاً مرة ومستعظماً أخرى ، وذاهباً إلى الإنذار حيناً وإلى التبشير حيناً ، إلى غير ذلك من المعاني التي تنتهي إلى التأثير في النفس وأخصّ ما امتازت به الكتابة العربية في عصرها الأول أن الرسائل كانت تشتمل في أسلوبها على ما يرجع إلى ربط الأمور بأسبابها ، واستنباط النتائج من مقدماتها ، وردّ الأشباه إلى نظائرها والآثار إلى

مصادرها . فترى الكاتب يلتمس العلة لكل حكم ، والسبب في كل قضية راجعاً بكل عمل إلى منشئه من أخلاق الإنسان . يعرف هذا من قرأ رسائل ابن المقفع وعبد الحميد وكتب الخلفاء ومشاورة المهدي لأهل بيته^١ .

وتلك طريقة فارسية يتيبنها من قرأ الحكم والرسائل المنقولة عن بُزْجَمَهْر والأَكْاسِرَة^٢ . بل من قرأ مقدمة بُرْزَوِيَه في هذا الكتاب . ولعل هذه الطريقة لم تكن الشيء الوحيد الذي أخذته العرب عن الفرس في كتابتهم . فقد أخذوا مع ذلك عنهم التبسط في اللفظ والانحدار في ترتيبه . فبينما تقرأ ما يروى لعلّي والخلفاء من الخطب ، فترى نفسك في كلام متناسق الأجزاء متفق الأسلوب متساوٍ في الجزالة ، إذ ترى نفسك في أسلوب ابن المقفع وأضرابه من كتاب هذا العصر ، تنتقل من سهل إلى أسهل ومن يسير إلى أيسر مع ترتيب في المعاني وتهذيب في التركيب

أسلوب ابن المقفع

هذه المزية عامة للكتابة العربية في ذلك العصر . وقد كان لأفذاذ الكتاب ونوابغهم مميزات خاصة استأثروا بها وانفردوا بحسنها ، فكانت أمانة دالة عليهم ومشيئة إليهم . وأخص ما امتاز به ابن المقفع أشياء قلما اجتمعت لكتاب

١ هو محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور : ثالث الخلفاء العباسيين تولى الخلافة سنة ١٥٨ . وأما هذه المشاورة فكانت حين خرج أهل خراسان عليه وطرّدوا العمال وكسروا الحراج ، قالوا وهو أول من رتب البريد بين مكة والمدينة واليمن من بغال وابل
٢ راجع عيون الاخبار لابن قتيبة وغيره

زهده في السجع

فمنها إنزال السجع منزله وجعله بحيث لا ينبغي أن يحرص عليه الكاتب ويستهلك فيه المعنى ويقع به في التعقيد . بل يأخذ ما جاد به الخاطر عفواً ، وسمحت به القريحة من غير تكلف . وإنك لتقرأ الفصل المطول والباب المبسوط من كتب ابن المقفع ، فلا تجد فيه سجة مستكرهة ولا وزناً متكلفاً . وكفى بهذا عاصماً للكاتب من الاستغلاق وغموض المراد

سهولة لفظه

ومنها اصطناع الألفاظ السهلة التي لا تلتطف على الدِّهَاء^١ ولا تجفون عن الأَكْفَاء كما يقول بشر بن الْمُعْتَمِر^٢ . وتلك صفة الكاتب الذي يقصد بكتابته إلى إفادة العامة والخاصة من غير أن يكون مرذولاً ولا ممقوتاً عند طائفة منهما

حرصه على الإيجاز

ومنها الحرص على الإيجاز مع الوفاء بالمعنى ، وليس إيجاز ابن المقفع كما إيجاز الأحنف بن قيس ، بل هو كإطناب علي . فما لا شك فيه أن أوصاف الأساليب من إيجاز وإطناب وسهولة وغرابة تختلف باختلاف

١ الدهماء : جماعة الناس والمراد الطبقة الكثيرة في الامة ٢ بشر بن المعتز هذا : زعيم من زعماء المعتزلة تتبعه طائفة منهم تسمت باسمه فأطلق عليها (البشرية) ومن تعاليمه الخاصة (أن التوبة الاولى موقوفة على الثانية) وأنها لا تنفع الا بعمد الوقوع في الذي وقع فيه فان وقع لم تنفعه التوبة الاولى)

العصور وتتفاوت بتفاوت أحوال الحضارة : أى إنها معانٍ إضافيةٌ ليس لها حقائق ثابتة في أنفسها . فكلام ابن المقفع موجز مختصر بالإضافة^١ إلى كلام الجاحظ^٢ والحسن بن وهب^٣ وإن كان بالقياس إلى كلام قطري بن الفُجاءة^٤ والحجاج بن يوسف^٥ مُسهباً مبسوطاً

اقتاله من المترادف

ومنها القصد في المترادف من اللفظ والمتشاكل من الكلم . وهذه صفة لازمة لمحِبِّ الإيجاز الراغب فيه . فبينما تجد الجاحظ مشغولاً برصف المترادفات والإغراق فيها — حتى إنه ليُعبر عن المعنى الواحد بعبارات عشر متساوية الوضوح — تجد ابن المقفع حريصاً على ألاَّ يلبس المعنى ثوبا سائفاً ضافى الأذيال ، وألاَّ يُسرف في اللفظ ولا يغلو في الرديف إلا إذا كان

١ المراد بمقارنته إلى كلام الجاحظ ٢ وأما الجاحظ فهو أيضاً زعيم من زعماء المعتزلة صاحب فرقة تعرف بالجاحظية أديب له أسلوب جميل في اللغة إلا أنه كما وصفنا واسع المادة غنى الالفاظ لا يعجزه كثرة الترادف والتوارد وتوفى سنة ٢٥٥ هـ
٣ الحسن بن وهب : أديب من أدباء العباسيين وظريف من ظرفائهم له ميل كثير إلى الطرب وشرب الخمر وقضى زهو حياته أيام الوائق والمتوكل . ولبنان وإياه مداعبات خيمة ومثلها مع إبراهيم بن العباس ٤ قطري بن الفجاءة كان من الذين ناوأوا الدولة الأموية زماناً كثيراً طلباً للإصلاح فقد خرج على مصعب بن الزبير حين تولى العراق عن أخيه عبد الله سنة ٦٦ هـ وظل يقاتل ويسلم عليه بالخلافة (٢٠) سنة وقد كان الحجاج يسير إليه الجيش بعد الجيش وهو يلحق بهم الهزائم وبه من اللسن والشجاعة ما جعله في مصاف عظماء الخطباء والشجعان . وقد انتهى أمره أن عثر به فرسه فاندقت نخذه فمات سنة ٧٨ هـ ٥ الحجاج بن يوسف قائد قواد العرب المشهورين وداهية من دواهيهم اتخذ عبد الملك بن مروان رئيساً على حرسه ومنحه ولاية العراق أبان اضطرابها ، ويعد أهل الأدب من أول الخطباء الذين يبلغون بالقول وينالون بالكلم

له على صاحبه فضلُ الوضوح أو الزيادة في المعنى
هذه بعض خصائص ابن المقفع في كتابته ، وهي تنطق بنباهة الشأن
وعلو المكانة وبثبوت القدم ورسوخها في هذا الفن
أمّا ما اختص به من قِيّ الترجمة والكتابة الخلّقية فالإيك كلمة عنها
غير موجزة ولا منبسطة

الحاجة الى الترجمة في عصر ابن المقفع

لم يكن للعرب حظّ من العلم كما قدّمنا وقد اتّسع بهم العمران ومكّن
لهم في الأرض . فاحتاجوا إلى كثير من العلوم المختلفة ، ولا سيما السياسية
التي تمكّنهم من رياضة الأمم المغلوبة والأخذ بشكائم الشعوب المقهورة التي
تأنف أن تدعن لهم بالسيادة ، لما كن لها في الحضارة والمجد من سابقة
استطالت بها على العرب ، حتى إن بعض الفرس وهو اسماعيل بن يسار
أشد بين يدي أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك قصيدة طويلة فخر فيها
بشرف آبائه من الفرس ودلّ على العرب بما لهم من سيادة وسلطان حتى
غضب هشام وأمر به فألقي في بركة من الماء بين يديه . كذلك يروون
فلم يكن من الأمر المستغرب أن ينهض في هذا العصر تراجمة ينقلون
إلى العرب علوم الأمم التي سبقتهم إلى البحث عن أحوال هذا الكون وما

١ هو مولى تيم بن مرة أصله من سبي فارس وهو شديد التعصب الى العجم وله
في ذلك شعر كثير فالتفت حوله رجالات من الفرس ودانوا بدينه فنشأ مذهب الشعوبية
وهو المذهب الذي يرى أن العجم أفضل من العرب ، فانبرى لهم من العرب من يرد عليهم
ويسفه أحلامهم حتى بلغ الجدل بالفريقين حداً ليس لاحدهما فيه دليل سليم على مزاعمه

فيه ، بادئين من ذلك بما تشدّد الحاجة اليه والحرص عليه . فترجموا لهم في السياسة والطب والنجوم . ولقد كانت الترجمة في أوّل أمرها مقصورة على ما كتب الفرس وأهل الهند ، لشدة المخالطة بينهم وبين العرب ، ولم يعرف النقل عن اليونانية إلا في أيام المهديّ والرشيد^١ والمأمون^٢

نبوغه في الترجمة

وكان أسبق المترجمين إلى النقل ابن المقفع ، فقد عني بترجمة كِليلة ودِمْنَة : وهو هذا الكتاب الذي ألفه بعض فلاسفة الهند في سياسة الملوك ومحاسن الأخلاق

وذكر المؤرخون أن ابن المقفع ترجم غير هذا الكتاب في الحكمة والمنطق^٣ . ومهما يكن ذلك حقاً فإن الكتاب الذي بقي على الدهر وانتفعت به أمم مختلفة هو كتاب كِليلة ودِمْنَة

وعليّنا أن نعرف هنا شيئين : أحدهما مصدر ميّل ابن المقفع إلى الترجمة في هذا الفن خاصّةً ، مع أنه فنّ قد لا يتلقّى بالقبول من أصحاب السطوة وسياسة الدولة . الثاني مصدر بقاء هذا الكتاب واندثار غيره مما ترجمه ابن المقفع في المنطق والحكمة ، حتى اضطرّ العرب أنفسهم إلى إعادة نقلها أيام الرشيد والمأمون

١ الرشيد : خليفة عباسي تبوأ الخلافة بعد الهادي سنة ١٧٠ الى سنة ١٩٣ هـ فكان خامس خلفاء هذه الدولة ٢ وأما المأمون فهو ابن الرشيد تولى بعد أخيه الأمين سنة ١٩٨ الى ٢١٨ هـ فكان سابغ الخلفاء ٣ قيل ترجم كتب أرسطاطاليس الثلاثة في المنطق وهي كتاب قاطيغوريوس وكتاب باري أرمينياس وكتاب أناطوطيقا . وقيل أيضاً ترجم إيساغوجي تأليف فرفوريوس الصوري

فأما الأمر الأول فلا نعرف له مصدراً إلا الحالة الاجتماعية التي كانت عليها الأمة الإسلامية في ذلك العصر : أى اشتعال الحروب واضطراب نيرانها وظلم الخلفاء وعسف الأمراء واحتياج الناس إلى ما يسترشدون به في العلاقة بينهم وبين رعايتهم وافتقار الملوك والأمراء إلى ما يستعينون به على سياسة الرعية وضبط أمورها . فكأن هذا الكتاب كان من مقتضيات العصر الذي ترجم فيه . فلم يكن من الممكن استغناء الناس عنه أو رغبتهم عن قراءته واستظهاره

وأما الأمر الثانى فمصدره ما ذكره المؤرخون من أن ابن المقفع قد ترجم المنطق والفلسفة من اللغة الفارسية ، وكانت قد نقلت إليها من اليونانية ، وما ذكر الجاحظ من أن ابن المقفع أيضاً كان لا يحسن الكلام وما يتصل به . فكأن نقل هذه العلوم من الفارسية بعد نقلها من اليونانية مع صعوبة معانيها وخفاء أغراضها وقف حائلاً بين ابن المقفع وبين إتقان نقلها ، مع أنه لم يكن بها بصيراً ولا بدقائقتها محيطاً . أو كأن نقلها من اليونانية إلى العربية من غير واسطة — مع أن الذين نقلوها بعده على علم غزيرها وحذق وفير فيها — كان أوضح وأدنى إلى العقول والأفهام فجَنَحَ الناس إلى كتب غيره وأما كتبه فقد استأثر بها الاندثار والعفاء

عنايته بالحكم والأخلاق

ومن جملة هذا يظهر السبب في عناية الرجل بالحكم والأخلاق فيما كتب بعد كلية ودمنة ، إذ يظهر أن هذا الكتاب قد أثر في نفسه تأثيراً

حسناً ، فمال إلى محاكاة واحتذاء مثاله ، وهو مع ذلك بصير بالفارسية مليء بما فيها من حكم وآداب ، ولا يحسن غير ذلك من العلوم المعروفة عند العرب في ذلك العصر

فليس غريباً أن يقتصر في كتابته على هذا الفن . وحسبه أنه قد أدرك المنزلة الرفيعة والمكانة السامية فيه

أثر الآراء الاجتماعية في السياسة والعقائد

يخطئون حين يظنون أن قيام دولة وسقوط أخرى أثر لخطر جاش به صدر فرد أو جماعة من الناس ، فإن هذه الدولة الناهضة وتلك الدولة العائرة إنما تقوم على أعناق الأمة كلها . فلا يمكن أن تسقط إلا إذا سئمتها الأمة ولا أن تنهض إلا إذا رغبت فيها وحرصت عليها . وإثارة الحب والبغض أو الرغبة والرغبة في نفوس الأمم أمر غير يسير ، بل يحتاج إلى عناء شديد وزمن بعيد ، والآراء الاجتماعية الناشئة عن دين أو فلسفة أو أدب هي التي توجده وتعمل فيه .

فليست الدولة العباسية أثراً لما جاش في نفوس بني هاشم من حبّ المجد والرفعة ، وإنما هي أثر لعمل كثير قامت به أمة الفرس وجدت فيه حتى استطاعت أن تغلب العرب على قلوبها وأهوائها مستعينة على ذلك بما كان لها من سابقة في المجد ونافلة من السلطان ، وبما شجّر بين العرب أنفسهم من الخلاف والفرقة واللجاج في العصبية والادعاء للأباء والانتساب إلى الأجداد . وكما أن هذه الآراء الاجتماعية هي المؤثر الحقيقي في إنهاض

دولة وسقوط أخرى فهي أيضاً المؤثر الحقيقي في نشوء فنون من العلم والأوان من الرأي : ربما يكون بينها وبين ما سبقها من الآراء والفنون تفاوت غير قليل . فقد كانت الأمة الإسلامية في أيام بني أمية قائمة على آراء عربية خالصة بينها وبين الدين أشد اتصال . فلما نهض الفرس لإقامة الدولة العباسية راجت في الأمة آراء جديدة لم يكن لها عهد بها ولا سابق معرفة . فكانت هذه الآراء في أول أمرها غريبة مستنكرة يعدها عامة الناس ودعواؤهم مخالفة للدين أو بعيدة منه . وربما كانت كذلك في نفس الأمر

منشأ الزندقة بين المسلمين

وشيع هذه الآراء هو منشأ ما يسمى عند العرب بالزندقة . فإن الزنادقة نفرّ ظهر أمرهم وعُرفت مقالاتهم في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية وهم يُرمون بإضمار الكفر وإنكار وحدة الإله والميل إلى أن للعالم إلهين كما يقول الجوس ، ويتبع ذلك أنواع من الإباحة واستحلال المحرمات والخروج مما يآلف الناس في آرائهم وعقائدهم . وكل هذه نحل فارسية أو راجعة إليها رُمي بها جماعة من نوابغ العرب والموالي . وربما سُمي المعتزلة^١ في عُرف بعض النلاة زنادقة لشذوذ بعضهم في المقالات عما تألفه الجماعة .

١ المعتزلة هم الفرقة (الإسلامية) التي اعتزلت أهل السنة وذهبت إلى مبادئ خاصة اتخذوها من أصول الدين بالآى والبرهان . ومن مبادئهم وآرائهم نفي رؤية الله بالأبصار في الآخرة وأن العبد قادر خالق لأفعاله خيرا وشرها والله تعالى منزّه أن يضاف إليه شر أو ظلم . واتفقوا على أن المؤمن إن ارتكب كبيرة ومات قبل أن يتوب منها خلد في النار ولهم في ذلك براهين قلما يثبت أمامها تنقض

ديانة ابن المقفع

وكان ابن المقفع أحد الذين أصابتهم تهمة الزندقة وكثر عليه التشنيع فيها بعد موته . وقد انقسم الناس في أمره بين شيعة له وناع عليه . ونحن نذهب في أمره مذهباً وسطاً . فقد زعم المؤرخون أن ابن المقفع كان ينتحل في أول أمره نحلة أبيه : وهي المجوسية ، وكان اسمه (رَوَزَبَة ^١) فلما كانت دولة بني العباس واتصل بعيسى بن عليّ زعم له أنه اشتاق إلى الإسلام ويحب أن يسلم على يديه . فطلب إليه عيسى أن يغدو عليه بين القواد ورؤساء الأجناد ليكون إسلامه مشهوداً . قالوا : ثم حضر معه المائدة في المساء فجعل يأكل ويُرزم ^٢ على عادة المجوس . فلما كلفه عيسى في ذلك قال : كرهت أن أبيت على غير دين !! . ثم غدا عليه فأعلن إسلامه ، وتسمى (عبد الله) واكتنى (أبا محمد)

وزعموا كذلك أنه مرّ بيت نار بعد إسلامه فتمثل قول الأخوص ^٣
يا ليت عاتكة الذي أتزل * حذر العدى وبه القواد موكل
إني لأمنحك الصدود وإني * قسماً إليك مع الصدود لأميل

١ وأما كنيته فأبو عمرو ٢ زعموا أن زمنة المجوس ان يتفاهوا بالفاظ تخرج من خياشيمهم فلا تكاد تفهم لها معنى ٣ الاخوص : لقب لشاعر أموي يسمى عبد الله ابن محمد نال من النسيب حظاً ومن البلاغة نصيباً كما أن شعره قد جراه من الالام غير قليل كثير التشبيب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة وغيرها وهو وان لم يتقرب من الملوك ولا حظى عندهم فقد كان هيباً لدى أقرانه الشعراء كجبر والفرزدق محبوباً لدى أهل البصر بالشعر وتأثيره فظالماً تغنى بشعره الفحول من المنين وحسبه من ذلك أن يكثر (معبد) من الفناء به

هذا كل ما تحدّث به المؤرّخون في دين الرجل وعقيدته رويناه إلا أشياء اغتمزها فيه الجاحظ والمرضى وليس لها في هذا مكان وما قدّمناه تُستنبط أمور :

الأول — أن إسلام ابن المقفع لم يكن إلا بعد ظهور الدولة العباسية وهي الدولة التي قامت بأعين الفرس وحدهم . فهم لذلك أطمع ما يكونون في الاستئثار بسلطانها وحسن المكانة عند الخلفاء وأولى الشوكة فيها ، ولا سيما إذا كان الرجل منهم ذكي القلب نبيل النفس له من العلم حظّ ومن السياسة نصيب

الثاني — أن إسلام ابن المقفع لم يكن في ظاهر أمره خالصاً لله . وإلا فما قوله على المائدة : كرهت أن أبيت على غير دين ؟! وهل كان من الجهل بالإسلام والغفلة عنه بحيث يعلم أو يظنّ أن إسلام الرجل لا يصح عند الله إلا إذا أعلنه إلى الناس ! وهلاًّ أشعر قلبه حلاوة الإيمان وطمأنينة اليقين ، حتى إذا كان الغد أعلن ذلك وجّهه به ! وأى معنى لتمثله شعراً لأحوص حين مرّ بيت النار ، إلا أن به على دينه القديم وجداً وإلى نجلته الأولى حينئذٍ

الثالث — أنهم يروون عنه محاورات بينه وبين أصحابه كمطيع بن إياس

١ . مطيع بن إياس من محضرى الدولتين الاموية والعباسية وليس من فحول الشعراء في تلك ولكنه كان ظريفاً خليماً حلوا العشرة مليح النادرة ماجناً متهماً في دينه بالزندقة نادم الوليد بن يزيد والمنصور ومن بينها وفيه يقول بعض معاصريه : (كنت ترى رجلاً يصبر عليه العاقل إذا رآه ولا يصحبه أحد الا افتضح به) وفيه يقال أيضاً (كان اذا حضر ملكك وان غاب شاكك واذا عرفت بصحبته فضحك) . وله مع يحيى بن زياد وحامد كثير المجون وغزير الهجو والأخبار في ذلك مستفيضة

ويحيى بن زياد^١ وحماد عجرد^٢ مملوءة بالمجون والآغو اللذين لا يصدران عن قلب خاشع أو نفس مطمئنة إلى الله . وكلّ هذا يدلّ على أن إسلام ابن المقفع لم يكن كإسلام الزهاد والنسّاك ، وإنما كان كإسلام بعض الأدباء والفلاسفة الذين يصطنعون رضى الحكّام ويتقنون كره العامة بما ينتحلون من نخلة وما يُظهرون من دين . ولهم بعد ذلك ميل مع الهوى ومتابعة لظاهر الرأى واتقياد للشهوات : قلما يوافق نفساً صالحة أو قلباً خاشعاً

أثر الانتقال الاجتماعى فى العقائد

وليس شىء من ذلك بغريب . فإن عصرًا كالعصر العباسى قد راجت فيه آراء الفلاسفة ومقالات أهل البدع وأهواء أهل الكتاب كثيرًا ما يخرج نفراً من المتعلمين يُظهرون الدين ويجوّرون به ، ولكنهم لا يلتزمون التورّع والخشوع ، والبرهان على ذلك فى عصرنا يسير . فقد كنّا فى القرن الماضى وليس منّا إلا حريص على الأوضاع الدينية والشعائر الإسلامية يرى التقصير فيها نقصاً والانحراف عنها سبّة وعاراً . فلما اتّصلت بيننا وبين الغرب الأسباب والأواصر وتقلنا عن الإفرتجة شيئاً من علومهم وفلسفتهم نشأ فينا نشء حرّ فى الدين (كما يقولون) لا يلتزمون أطواره ولا يحِرِّصون على آدابه

١ يحيى بن زياد الحارثى فى المجون والزندقة والخلاعة هو ومطيع سواسية . مطيع بن اياس على حماد عجرد ويحيى بن زياد وهما فى الحديث فقال لهما : فيم تتحدّثان ؟ فقالا : فى قذف المحصّنات . فقال : أوفى الارض محصنة فتقدّفانها ٢ حماد عجرد هو كصاحبيه مطيع ويحيى غير أنه أشمر منهما . وقد عنى الادباء فى الدولة العباسية بمهاجراتهم بن برد كما عنيوا فى الدولة الاموية بالمهاجرة بين جرير والفرزدق . وكانت له مكانة لاتنال حتى أسقطه بشار بما كان بينهما . ويذكرون وفاته سنة ١٦١

ولسنا في سبيل مثل هذا الرأي والشكاة منه . وإنما نحن نقيم البرهان على أن عصر الانتقال من حال اجتماعية إلى حال أخرى تشمل على أشياء يُنكرها الجمهور وتخالف ماله من عادات موروثه وآداب مستحسنة وعقائد محتفظ بها .

والويل ثم الويل لهذا الجمهور إذا كانت تلك الأشياء سيئة في نفسها مردولة في طبيعتها ، ولم يكن له من قوته الفطرية وحرصه على تراثه القديم عاصم يقيه شرّها ويردّ عنه عادية ما فيها من سوء

ولم يكن عصر بني العباس في أول أمره إلا عصر انتقال من حال إلى حال . فليس عجيباً أن يكثر فيه المخالفون للجمهور المنكرون لعاداته وآدابه وعقائده . إلا أن الدين لم يزل في ذلك العصر شديد السلطان حسن الأثر قادراً على مقاومة البدعة وردّ المحدثات ، فتغلب بعض التغلب على تلك الأمور السيئة التي نجمت من رواج الفلسفة الوثنية وآراء المجوس وأهواء الصابئة عند المسلمين . ومع أن مذاهب الزنادقة وأضرابهم كانت سيئة المغبة على المسلمين نجد من مؤرخيهم وأهل العلم منهم من أنكر على أمير المؤمنين المهديّ شدته على الزنادقة وأخذها فيها بالمشبهة ، ورأى أن في الدين وقوته وفي سطوع نوره وجلاء برهانه ما يكفي لردّ بدع المبتدعة . وإذا فستطيع الحكم بأن ابن المتفجع قد كان مسلماً في ظاهر أمره وربما بدرت منه بوادر لا تدلّ على اطمئنان القلب واستشعاره حلاوة الإسلام

فأما الجرم بذات نفسه والإيمان بما انطوت عليه فليس لنا أن نخوض فيهما . بل ينبغي أن نتركهما لله الذي استأثر بعلمهما . وعلينا أن نشير إلى

دليل آخر على أن الفرس إنما كانوا ينتحلون الإسلام ويُظهرونه توسلاً إلى رضى الملوك وابتغاءً للمكانة لديهم ، وحرصاً على أن يستردّوا لأنفسهم عهد الجهد والسطوة ، ويعيدوا بهجة أيام الأكلاسة . بل كثيراً ما كانوا ينتحلون رأى الخليفة ويضُمرون غيره : كما يتحدّث المؤرخون عن البرامكة أنهم كانوا شيعية لعلى ، وهم على ذلك يظهرون الدين لبني العباس ويقولون بمقالة الكيسانية^١ ، وكذلك تحدّثوا عن الحسن بن سهل وأخيه الفضل وزيرى المؤمنين

فليس من البعيد أن يكون ابن المقفع قد ساء إلى شئ من هذا حين آنس من نفسه النبل والفضل وحسن الفطنة وجودة الرأى ، ولم يرم ما يقصّر به عن مناصبة كبار الرجال وسياسة الملك إلا دينه ، فأثر الإسلام ديناً ، واختاره إلى مبتغاه سبيلاً

شرعة أدبى الدولتين

ومما قدّمناه من الكلام عن ابن المقفع يظهر الفرق جلياً واضحاً بين أدبى الدولتين الأموية والعباسية . فقد كان الأوّل لا يُعنى بأكثر من رواية الشعر والخطب وما يتصل بهما من أيام العرب وأخبارها وأنسابها ،

١ الكيسانية : أصحاب كيسان . ولى أمير المؤمنين على بن أبى طالب وقيل تلميذ السيد محمد بن الحنفية يعتقدون فيه اعتقاداً بالغاً من احاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السديدن الاسرار بجملة ما من علم التأويل والباطن وعلم الآفاق والانفس ويجمعهم القول بأن الدين طاعة رجل حتى حملهم ذلك على تأويل الاركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها وحمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة وحمل بعضهم على القول بالتناسخ والحلول والرجبة بعد الموت الى آخر ما عرف عنهم

ولا يحرص على غير الحِذْق في رواية الحديث والقرآن ومعرفة التأويل والتفسير وما قال أهل العلم ، بينما الثاني يجمع من هذا كله مقداراً صالحاً ، ثم يضيف إليه ما أفادته الحضارة وأثَّره العُمران من علم وما نقل عن غير العرب من حكمة وفلسفة . وكانت تظهر آثار العلمين في أقوال الرجلين ، فلست ترى في كلام العباسيّ نظماً ونثراً من السِّدَاجَةِ الفُطْرِيَّةِ والبدَاوَةِ ما تراه في كلام الأمويّ . بل يظهر مثل هذا الفرق مع الأمل بين الأديب الأمويّ والأديب في صدر الإسلام

لذلك يكثر القول في ترجمة العباسيّ دون غيره ، لأن الأول قد عرّضت له شؤون ، واختلفت عليه أحوال لم ينل مثلها الثاني . فلزندقة لم تكن معروفة في أوائل العصر الأمويّ . وكذلك الترسُّل في الأساليب والتبسُّط في تركيب الكلام . وربما كان القول في العباسيّ الناشئ في أيام الرشيد والمأمون أضعاف القول فيمن عاش أيام السفّاح والمنصور . فليست الترجمة للجاحظ والنظام كالترجمة لابن المقفع ومطيع بن إيس ، لأن الأولين كانا في زمن أكثر حضارة وعُمراناً من زمن الأخيرين ، ولأن المقالات ومذاهب الفلاسفة كانت أكثر شيوعاً وانتشاراً في أيام الجاحظ والنظام منها في أيام ابن المقفع ومطيع . وكذلك الحال كلما اختلفت أعصر الأدباء علواً وهبوطاً ورقياً وسقوطاً

١ النظام كبير من معاصري الجاحظ واسمه إبراهيم بن سيار بن هانيّ طالع كبيراً من كتب الفلاسفة وخط كلامهم بكلام المعتزلة واتخذ له من ذلك مذهباً يعرف أهله بالنظامية

سيرة ابن المقفع

تحدثنا كتب ابن المقفع بأنه كان من أَرْضَى الناس أخلاقاً وأَكْرَمَهُم خِلالاً وأَحْسَنَهُم شِيمَةً وأَرْقَاهُمْ شِمَائِلًا . فَإِنْ مِنْ تَصَدَّرُ عَنْهُ الْيَتِيمَةُ وَأَدَبُ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ خَلِيقٌ أَنْ يَكُونَ طَاهِرَ النَّفْسِ مِنَ الْغَيِّ بَرِيءَ الْقَلْبِ مِنَ الرِّجْسِ : قَدْ عَرَفَ الدُّنْيَا وَابْتَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، فَلَمْ تَزَعْجْهُ صُرُوفُهَا وَلَمْ تَبْطُرْهُ نَعْمَاؤُهَا . وَيَحْدِثُنَا التَّارِيخُ وَأَخْبَارُ الرِّوَاةِ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ كَانَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّعَابَةِ وَالْمُجُونِ مَكَّنَّهُ مِنْ صُحْبَةِ مُطِيعٍ وَيَحْيَى وَحَسَادٍ . وَبَيْنَ هَذَيْنِ الْحَدِيثَيْنِ مِنَ التَّضَارِبِ وَالتَّنَاقُضِ فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ شَيْءٌ كَثِيرٌ . غَيْرَ أَنَّ مِمَّا لَا رَيْبَ فِيهِ أَنَّ الْعِلْمَ وَحْدَهُ قَلِمًا يُؤَثِّرُ فِي الْأَخْلَاقِ فَيُصْلِحُ مِنْهَا فَاسِدًا أَوْ يُقِيمُ مَنْتَآدًا ، وَإِنَّمَا النَّسَافُ فِي ذَلِكَ هُوَ الدِّينَ الَّذِي يُشْعِرُ الْقَلْبَ خَشْيَةَ اللَّهِ وَالرَّهْبَةَ مِنْهُ ، وَيَحْبِبُّ إِلَيْهِ طَاعَتَهُ وَالرَّغْبَةَ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ نَعِيمٍ . وَقَدْ كَانَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ مِنَ الدِّينِ بِحَيْثُ قَدَّمْنَا لَكَ . فَلَيْسَ بِدَعَا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنَ الْمُجُونِ حِظٌّ أَوْ أَنْ يَضْرِبَ فِي اللَّهِو بِسَهْمٍ

أَمَّا كِتَابُهُ الْمَمْلُوءُ بِالْحِكْمَةِ الْمُفَعَّمَةُ بِالْأَدَبِ فَلَنْ تَعْدُوَ أَنْ تَكُونَ تَتِيحَةً مِنْ نَتَائِجِ عِلْمِهِ الْجَمِّ وَأَدَبِهِ الْغَضِّ وَفَضْلِهِ الْكَثِيرِ

حرصه على الوفاء

عَلَى أَنَّا مُلْزَمُونَ أَنْ نَعْتَرِفَ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ بِحِظٍّ مَوْفُورٍ مِنْ فَضِيلَةِ الْوَفَاءِ لِلصَّدِيقِ وَالنَّصِيحِ لِلرَّئِيسِ . وَحَسَبُكَ بَرَهَانًا عَلَى ذَلِكَ مَوْاسَاتُهُ لِعَبْدِ الْحَمِيدِ

الكتاب ، فقد أخفاه^١ في بيته سنة . فلما علم السلطان بمكانه منه بعث إليه الشرطه فأتوه فسألوه : أيُّكما عبد الحميد ؟ فقال كلٌّ : أنا هو ، ولجَّ في الطلب حتى تبين السلطان طلبته فأنفذ فيه أمره .

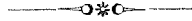
مقتله

وحسبك كذلك بُرهاناً على ذلك حادثة كانت المؤدية بحياته والذاهبة بنفسه . فقد كان ابن المقفع متصلاً بعبد الله بن علي أيام خروجه على المنصور . فلما فُلت شبَّاته واستأمن إلى المنصور كتب ابن المقفع عقد الأمان وشدَّ فيه وغلظ الأيمان على أمير المؤمنين : فطأق نساءه وأعتق عبيده وأحلَّ الناس من بيَّعته إن نكثَ عهدَه لعمه عبد الله أو غدر به . فأحفظ ذلك المنصور وأسرَّها في نفسه لابن المقفع . قال المؤرخون : فأوحى المنصور إلى سفيان بن معاوية عامله على البصرة أن يقتله وكانت بينه وبين ابن المقفع إحْن^٢ وقيل بل اغتاله سفيان فلما رفع أمره إلى المنصور رَضِيَه واحتال في إهدار دم ابن المقفع وصَرَفَ الثَّائرين عما كانوا يبتغون^٣

١ تلك إحدى الروايتين في موت عبد الحميد ٢ ذلك لان ابن المقفع كان كثير الاستخفاف بسفيان وكان أنف سفيان كبيراً فإذا دخل عليه ابن المقفع استخف به وهزأ قائلاً : السلام عليكما . يعني بذلك سفيان وأنه . قال له يوماً علي مسمع من كثير ساخرأ : ما تقول ياسفيان في شخص مات وخلف زوجاً وزوجة . وقال سفيان يوماً : مандت على سكوت قط . فقال له ابن المقفع : الحرس زين لك فكيف تندم عليه . فلذلك وأمثاله كان يقول سفيان : والله لا قطعنه أرباً أرباً وعينه تنظر ٣ اغتاله سفيان سرأ في داره بعد ثلاثين من عمره وسأل عنه سليمان وعيسى فقول : انه دخل دار سفيان سليماً ولم يخرج ، لخاصمائه الى المنصور وأحضراه بين يديه مقيداً وحضر اليهود الذين شاهدوه دخل داره ولم يخرج . فأقاموا الشهادة . فقال لهم

هذه جملة من حياة ابن القفيع مملوءة بالعبرة والموعظة تحدثت بجليل
خطره ونباهة شأنه وتنبيء بأن حياة الرجل العظيم مهما يكن فيها الخير لا تخلو
من هفوة أو كبراة لأنها لم تعد أن تكون حياة إنسان ضعيف لا يملك لنفسه
العصمة ولا يقدر لها من الخير والشر على كثير أو قليل م
محمد حسن نائل المصطفى

القاهرة في اكتوبر سنة ١٩١٢ انثى عشرة وتسعائة وألف



— صور : أنا أنظر في هذا الامر . ثم قال لهم : أرايتم ان قتلت سفيان به ثم خرج
ابن القفيع من هذا البيت (وأشار الى باب خلفه) وخاطبكم ما ترون صانعا بكم ؟
أأقتلكم بسفيان ؟ فرجعوا كلهم من الشهادة وأضرب سليمان عن ذكره وعلم أنه قتل بيلمه

باب مقدمة الكتاب

قدّمها بهنود بن سحوان ، ويعرف بعليّ بن الشاه الفارسيّ . ذكر فيها السبب الذي من أجله عمل بيّتابا الفيلسوف الهنديّ رأس البراهمة الدبشليم ملك الهند كتابه الذي سماه كليملة ودمنة ، وجعله على السنّ البهائم والطيور ، صيانة لغرضه فيه من العوام ، وضناً بما ضمّه عن الطغام^٢ ، وتنزيهاً للحكمة وفنونها ، ومحاسنها وعيونها^٣ . إذ هي للفيلسوف مندوحة^٤ ، ولخاطره مفتوحة ولحبيبها تنقيف^٥ ، ولطالبيها تشریف . وذكر السبب الذي من أجله أنفذ كسرى أنوشروان بن قباد^٦ بن قيروز ملك الفرس برزويه رأس الأطباء إلى بلاد الهند ، لأجل كتاب كليملة ودمنة ، وما كان من تلطّف برزويه عند دخوله إلى الهند ، حتى حضر إليه الرجل الذي استنسخه له سرّاً من خزانة الملك ليلاً ، مع ما وجد من كتب علماء الهند . وقد ذكر الذي كان من بعثة برزويه إلى مملكة الهند لأجل نقل هذا الكتاب . وذكر فيها ما يلزم مطالعه من إقتان قراءته ، والقيام بدراسته ، والنظر إلى باطن كلامه وأنه إن لم يكن كذلك لم يحصل على الغاية منه . وذكر فيها حضور برزويه وقراءة الكتاب جهراً . وقد ذكر السبب الذي من أجله وضع برزجهر^٧ باباً مفرداً يسمى باب برزويه المتطّيب ، وذكر فيه شأن برزويه من أوّل أمره

١ البراهمة : قوم لا يجوزون على الله بعثة الرسل وسيأتي ما هو أوضح في أوّل باب الاسد والثور ٢ الضن بالفتح والكسر : البخل . والطفام بالفتح : الاوغاد والارذال الواحد فيه والجمع سواء ٣ عيونها : خيارها ٤ المندوحة والمتنّح : السعة والفسحة ٥ التنقيف : التقويم والتهديب ٦ هو أبو كسرى ٧ وزير كسرى

وأن مولده ، إلى أن بلغ التأديب وأحب الحكمة ، واعتبر^١ في أقسامها .
وجعله قبل باب الأسد والثور الذى هو أول الكتاب .

قال على بن الشاه الفارسى : كان السبب الذى من أجله وضع يديا
الفيلسوف لدبشليم ملك الهند كتاب كيلة ودمنة أن الإسكندر ذا القرنين
الرومى ، لما فرغ من أمر الملوك الذين كانوا بناحية المغرب سار يريد ملوك
المشرق من الفرس وغيرهم . فلم يزل يحارب من نازعه^٢ ، ويواقع من واقعه ،
ويسلم من وادعه ، من ملوك الفرس وهم الطبقة الأولى ، حتى ظهر عليهم^٣
وقهر من ناوئه^٤ ، وتغلب على من حاربه ، فتفرقوا طرائق^٥ ، وتمزقوا حزائق^٦ ،
فتوجه بالجنود نحو بلاد الصين ، فبدأ فى طريقه بملك الهند ليدعوه إلى
طاعته ، والدخول فى مملكته وولايته . وكان على الهند فى ذلك الزمان ملك
ذو سطاوة وبأس ، وقوة ومراس^٧ ، يقال له فور^٨ . فلما بلغه إقبال ذى القرنين
نحوه تأهب لمحاربتة ، واستعد لمحاذبتة^٩ ، وضم إليه أطرافه^{١٠} ، وجد فى
التألب^{١١} عليه ، وجمع له العدة^{١٢} ، فى أسرع مدة ، من الفيلة المعدة للحروب^{١٣}
والسباع المضرّة بالوثوب^{١٤} ، مع الخيول المشرجة ، والسيوف القواطع ،
والحراب^{١٥} اللوامع . فلما قرب ذو القرنين من فور الهندى ، وبلغه ما قد

١ اعتبر : نظر . والحكمة هى ما يبحث فيه عن حقائق الاشياء على ما هى فى الوجود
بقدر الطاقة البشرية ٢ خاصه ٣ غلبهم ٤ عاداه ٥ طرائق :
جمع طريقة بمعنى رجال أشرف أو مطلق فرقة ٦ حزائى جمع حزيقه وهى كالحزقة
القطعة من كل شئ ٧ المراس : الشدة ٨ يريد استعد لمنازعته وأصل المجاذبة
التنازع فى الجذب ٩ يريد من الاطراف ما تفرق من قواه ١٠ التألب : التجمع
١١ العدة بالضم : ما يعيد من مال أو سلاح ١٢ الفيلة كمنية جمع فیل
١٣ من قوهم ضراء به أغراء ١٤ جمع حربه

أعدَّ له من الخيل التي كانت قطع الليل^١، مما لم يلقه بمثله أحد من الملوك الذين كانوا في الأقاليم، تخوف ذو القرنين من تقصير يقع به إن عجل المبارزة. وكان ذو القرنين رجلاً ذا حيل ومكيد، مع حسن تدبير وتجربة. فرأى أعمال الحيلة والتمهل، واحتفر خندقاً على عسكره^٢، وأقام بمكانه لاستنباط الحيلة والتدبير لأمره، وكيف ينبغي له أن يقدم على الإيقاع به^٣. فاستدعى بالمنجمين، وأمرهم بالاختيار ليوم موافق، تكون له فيه سعادة لمحاربة ملك الهند والنصرة عليه. فاشتغلوا بذلك



ذو القرنين بين المنجمين يخبرون له الوقت الصالح

وكان ذو القرنين لا يمر بمدينة إلا أخذ الصناع المشهورين من صناعتها بالحندق من كل صنف. فأتتجت له همته، ودأبه فطنته، أن يقدم إلى الصناع الذين معه أن يصنعوا خيلاً من نحاس مجوفة، عليها تماثيل من

١ القطع : جزء من الليل يريد منها أن الجيوش لكثرتها وكثافتها تشبه ظلام الليل
٢ الحندق : خندق حول أسوار المدن (مغرب) ٣ الاسراع

الرجال على بكر تجرى ، إذا دُفعت مرّت سِراعا . وأمر إذا فرغوا منها أن
تُحشى أجوافها باللفظ والكبريت ، وتلبّسَ وتقدّم أمام الصفّ في القلب .
ووقت ما يلتقى الجمعان تضرم فيها النيران ، فإن الفيلة إذا لفت خراطيمها
على الفرسان وهي حامية وات هاربة . وأوعز إلى الصّناع بالتشمير والانكماش^١
والفراغ منها . فجدّوا في ذلك وعجّلوا . وقرب أيضاً وقت اختيار المنجمين .
فأعاد ذو القرنين رسله إلى فور بما يدعوّه إليه من طاعته ، والإذعان لدولته^٢
فأجاب جواب مصرّ على مخالفته ، مقيم على محاربتّه . فلما رأى ذو القرنين



حينئذ الأسكندر وهو يركب الفيل

بميشور الهندى

عزيمته سار إليه بأهبة^٣ ، وقدم فور الفيلة أمامه . ودفعت الرجال تلك الخيل
وتمايل الفرسان . فأقبلت الفيلة نحوها ، ولفّت خراطيمها عليها

١ الاسراع ٢ الانقياد والخضوع ٣ الأهبة : العدة التى اعتدها للملاقاة مثله

فلما أحست بالحرارة ألقت من كان عليها ، وداستهم تحت أرجلها ،
ومضت مهزومة هاربة ، لا تلوى على شيء^١ ، ولا تمر بأحد إلا وطئته .
وتقطع^٢ فور^٣ وجمعه ، وتبعهم أصحاب الإسكندر ، وأثخنوا^٤ فيهم الجراح .
وصاح الإسكندر : يا ملك الهند ابرز إلينا ، وأبق على عدتك وعيالك ،
ولا تحملهم على الفناء . فإنه ليس من المروءة أن يرى الملك بعدته في المهالك
المتلفة ، والمواقع المبحجة^٥ ، بل يقيهم بماله ، ويدفع عنهم بنفسه ، فابرز إلى
ودع الجند ، فأينا قهر صاحبه فهو الأسعد . فلما سمع فور من ذى القرنين
ذلك الكلام ، دعت نفسه للملاقاة طمعاً فيه ، وظن ذلك فرصة



ذو القرنين وفور الهندى يتصارعان على ظهرى فرسئيهما
فبرز إليه الإسكندر ، فتجاولا على ظهرى فرسئيهما ساعات من النهار

١ أى لا تنظر الى شيء ٢ تشنت وتفرق ٣ أكثروا من الاثخن
في الشيء وهو المبالغة فيه والاكثر ٤ أجحف الدهر بالناس : استأصلهم

ليس يلقى أحدهما من صاحبه فُرصة ، ولم يزالا يتعاركان . فلما أعيأ^١ الإسكندر أمره ، ولم يجد له فُرصة ولا حيلة ، أوقع ذو القرنين في عسكره صيحة عظيمة ارتجت لها الأرض والعساكر ، فلتفت فور عندما سمع الزعقة وظنها مكيدة في عسكره ، فعاجله ذو القرنين بضربة أمالته عن سرجه ، وتبعه بأخرى ، فوقع على الأرض . فلما رأت الهند ما نزل بهم ، وما صار إليه ملكهم ، حملوا على الإسكندر ، فقاتلوه قتالا أجبوا معه الموت ، فوعدهم من نفسه الإحسان ، ومنحه الله أكنافهم^٢ ، فاستولى على بلادهم ، وملك عليهم رجالا من ثقاته ، وأقام بالهند حتى استوثق^٣ له ما أراد من أمرهم ، واتفاق كلمتهم . ثم انصرف عن الهند وخلف ذلك الرجل عابهم ، ومضى متوجهاً نحو ما قصد له . فلما بعد ذو القرنين عن الهند بجيوشه ، تغيرت الهند عما كانوا عليه من طاعة الرجل الذي خلفه عليهم ، وقالوا : ليس يصلح للسياسة ، ولا ترضى الخاصة والعامة أن يملكوا عليهم رجالا ليس هو منهم ، ولا من أهل بيوتهم ، فإنه لا يزال يستذلهم ويستقلهم . واجتمعوا يملكون عابهم رجالا من أولاد ملوكهم ، فملكوا عليهم ملكا يقال له دبشليم ، وخلفوا الرجل الذي كان خلفه عليهم الإسكندر . فلما استوثق له الأمر ، واستقر له الملك ، طغى وبنى ، وتجبّر وتكبر ، وجعل يغزو من حوله من الملوك ، وكان مع ذلك مؤيدا مظفرا منصورا ، فهابته الرعية . فلما رأى ما هو عليه من الملك والسطوة ، عيث بالرية^٤ ، واستصغر أمرهم ، وأساء

١ أعيأ : أعجز ٢ يريد مكنهم ٣ اجتمع ٤ استوثق له الأمر : أمكنه
٥ يريد أفسد أحوال الرعية

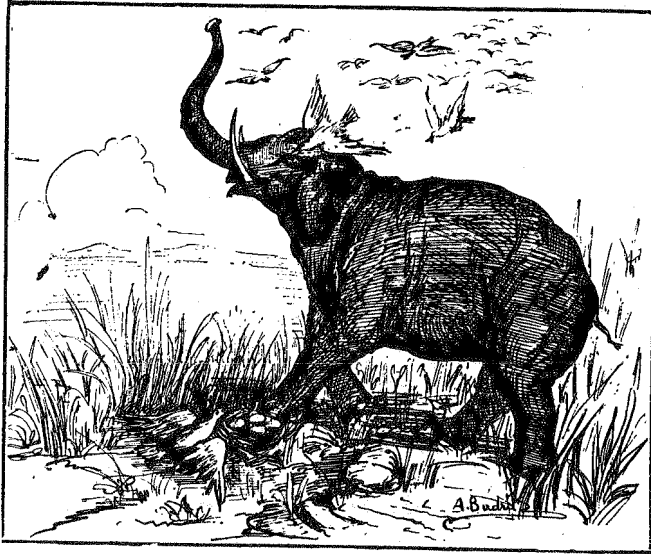
السيرة فيهم ، وكان لا يرتقى حاله إلا ازداد عتوًّا^١ . فمكث على ذلك برهة من دهره^٢ . وكان في زمانه رجل فيلسوف من البراهمة فاضل حكيم يعرف بفضله ، ويرجع في الأمور إلى قوله ، يقال له بَيِّدْ بَا . فلما رأى الملك وما هو عليه من الظلم للرعية ، فكّر في وجه الحيلة في صرفه عما هو عليه ، وردّه إلى العدل والإنصاف . فجمع لذلك تلاميذه ، وقال : أتعلّمون ما أريد أن أشاوركم فيه ؟ إعلموا أني أطلت الفكرة في دبشليم ، وما هو عليه من الخروج عن العدل ، ولزوم الشرّ ، ورداءة السيرة ، وسوء العشرة مع الرعية . ونحن ما نروض أنفسنا^٣ لمثل هذه الأمور إذا ظهرت من الملوك إلا انردّهم إلى فعل الخير ، ولزوم العدل . ومتى أغفلنا ذلك وأهملناه لزم وقوع المكروه بنا ، وبلوغ المحذورات إلينا ، إذ كنا في أنفس الجهال أجهل منهم ، وفي العيون عندهم أقلّ منهم . وليس الرأي عندى الجلاء عن الوطن ، ولا يسعنا في حِكْمَتنا إيقاؤه على ما هو عليه من سوء السيرة وقبح الطريقة . ولا يمكننا مجاهدته بغير أسلحتنا . ولو ذهبنا إلى أن نستعين بغيرنا لم تنهنا لمعاندته . وإن أحسنّ منّا مخالفته وإنكارنا سوء سيرته كان في ذلك بوارنا^٤ . وقد تعلمون إن مجاورة السعّ والكلب والحية والثور على طيب الوطن ونضارة^٥ العيش ، لغدر بالنفس^٦ ، وإن الفيلسوف لحقيق أن تكون همته مصروفة إلى

١ العتو : الاستكبار وخروج الانسان عن الحد ٢ البرهة : الزمن الطويل وربما قيل فيها ما تفهه العامة من أنها الوقت القصير ٣ من قولهم رضت الدابة أروضها : مهدتها وذلتها ويريد : نوطن أنفسنا ٤ هلاكنا ٥ طيبه ٦ اللام في لغدر تسمى لام التعليق ولذا وجب كسر همزة ان السابقة وتعلمون حيثئذ لم تعمل الا في الحل لتعلقها عن العمل

ما يحصن به نفسه من نوازل المكروه ولواحق المحذور ، ويدفع الخوف
لاستجلاب المحبوب . ولقد كنت أسمع أن فيلسوفا كتب لتلميذه يقول :
إن مجاور رجال السوء ومصاحبهم كراكب البحر ، إن سلم من الفرق لم يسلم
من المخاوف ، فإذا هو أورد نفسه موارد الهلكات ، ومصادر المخوفات ،
عدّ من الخير التي لا نفس لها ، لأن الحيوانات البهيمة قد خُصت في
طبائعها بمعرفة ما تكتسب به النفع ، وتتوقى المكروه ، وذلك أننا لم نرها
تورد أنفسها مورداً فيه هلكتها ، وأنها متى أشرفت على مورد مهلك لها
مالت بطبيعتها التي رُكبت فيها — شحاً بأنفسها وصيانة لها — إلى النفور
والتباعد عنه . وقد جمعتم لهذا الأمر لأنكم أُسرتى ومكان سرى ،
وموضع معرفتى ، وبكم أعتصد ، وعليكم أعتمد . فإن الوحيد في نفسه ،
والمنفرد برأيه حيث كان ، فهو ضائع ، ولا ناصر له . على أن العاقل قد يبلغ
بحيلته ما لا يبلغ بالخيال والجنود . والمثل في ذلك أن قُبْرَةَ^١ اتخذت
أدحية^٢ وباضت فيها على طريق الفيل ، وكان للفيل مشرب يتردّد إليه ، فمرّ
ذات يوم على عادته ، ليردّ مورده ، فوطئ عِشَّ القُبْرَةِ وهشم بيضها ، وقتل
فراخها . فلما نظرت ما ساءها ، علمت أن الذى نالها من الفيل لا من غيره
فطارَت فوقت على رأسه باكية . ثم قالت : أيها الملك لم هشمت بيضى ؟
وقتل فراخى وأنا فى جوارك ؟ أفعلت هذا استصغاراً منك لأمرى ،

١ القبرة على وزن سكرة : نوع من الصائير ٢ الأدحية بضم الهزة
وتكسر : مبيض النعامة فى الرمل قال الجوهرى : لأنها تدحوها برجلها أى تفحصها ثم
أطلقت هنا على مبيض القبرة

واحتقاراً لثأني؟ قال: هو الذي حماني على ذلك . ففكرته وانصرفت إلى
جماعة الطير، فشكت إليهما ما نالها من الفيل . فقلن لها : وما عسى أن نبلغ
منه ، ونحن طيور؟ فقالت للعقاق^١ والغربان : أحب منكن أن تصيرن معي
إليه فتفقأن عينيهِ ، فإني أحتال له بعد ذلك بحيلة أخرى

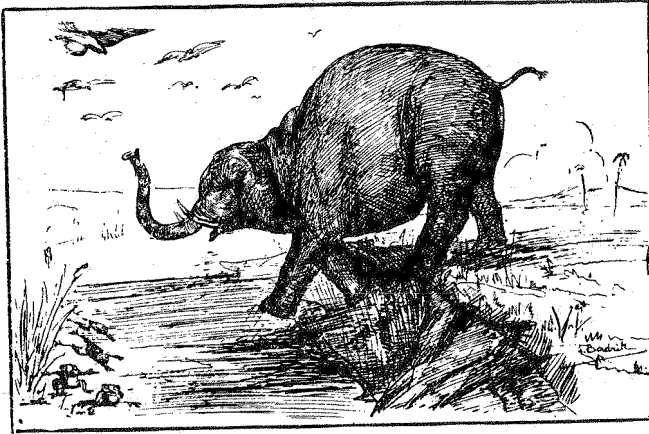


الفيل وقت حبتع علي الطير ينقر عينه

فأجبتها إلى ذلك ، وذهبن إلى الفيل ، ولم يزلن ينقرن عينيهِ حتى ذهبن
بهما ، وبقِيَ لا يهتدي إلى طريق مطعمه ومشر به ، إلا ما يَقُمُّه من موضعه^٢
فلما علمت ذلك منه جاءت إلى غدير فيه ضفادع كثيرة . فشكت إليهما ما نالها

١ جمع عقق وهو طير أبيض بسواد وياض
٢ قم الشيء كنصر : كنسه ،
وقت الشاة وغيرها : أكلت ما على الأرض

من الفيل . قالت الضفادع : ما حيلتنا نحن في عظم الفيل ؟ وأين نبلغ منه ؟
 قالت : أحبّ منكنّ أن تصرن معي إلى وَهْدَةِ^١ قريسة منه فننقنّ فيها
 وتضججن ، فإنه إذا سمع أصواتكن لم يشكّ في الماء فيهبوي فيها . فأجبتها
 إلى ذلك ، واجتمعن في الهاوية . فسمع الفيل تقيق الضفادع وقد أجهده
 العطش ، فأقبل حتى وقع في الوهدة فارتطم^٢ فيها



الفيل وقد ارتطم في الوهدة

وجاءت القُبْرَةُ تُرفرف على رأسه . وقالت : أيها الطاغى المغترّ بقوة ،
 المحترّ لأمرى ، كيف رأيت عِظَمَ حياتي مع صِغَرِ جُثِّي عند عِظَمِ جُثِّكَ
 وصِغَرِ هَمِّكَ ؟

فليشركل واحد منكم بما يَسْنَحُ له مِنَ الرأى . قالوا بأجمعهم : أيها
 الفيلسوف الفاضل ، والحكيم العسادل ، أنت المقدّم فينا ، والفاضل علينا .

١ الوهدة : المنخفض من الارض ومثلها الهوة ٢ وقع

وما عسى أن يكون مبلغ رأينا عند رأيك ، وفهمنا عند فهمك ؟ غير أننا نعلم أن السباحة في الماء مع التمساح تغريراً ، والذنب فيه لمن دخل عليه في موضعه ، والذي يستخرج السم من ناب الحية فيبتلعه ليحربه على نفسه ، فليس الذنب للحية . ومن دخل على الأسد في غابته لم يأمن وثبته . وهذا الملك لم تفرعه النوايب ، ولم تؤدبه التجارب ، ولسنا نأمن عليك ولا على أنفسنا سطوته ، وإنا نخاف عليك من سورته^٢ ومبادرته بسوء إذا لقيته بغير ما يحب . فقال الحكيم بيدبا : لعمري لقد قلم فأحسستم . لكن ذا الرأي الحازم لا يدع أن يشاور من هو دونه أو فوقه في المنزلة . والرأي الفرد لا يكتفى به في الخاصة ، ولا ينتفع به في العامة . وقد صحت عزيمتي على لقاء دبشليم . وقد سمعت مقالاتكم ، وتبين لي نصيحتكم والإشفاق على عليكم . غير أنني قد رأيت رأياً ، وعزمت عزماً ، وستعرفون حديثي عند الملك ومجاوبتي إيا . فإذا اتصل بكم خروجي من عنده فاجتمعوا إلي .

وصرفهم وهم يدعون له بالسلامة

ثم إن بيدبا اختار يوماً للدخول على الملك ، حتى إذا كان ذلك الوقت ألقى عليه مسوحة^٣ ، وهي لباس البراهمة ، وقصد باب الملك ، وسأل عن صاحب إذنه ، وأرشد إليه ، وسلم عليه ، وأعلمه ، وقال له : إني رجل قصدت الملك في نصيحة . فدخل الأذن على الملك في وقته ، وقال : بالباب رجل من البراهمة يقال له بيدبا : ذكر أن معه للملك نصيحة . فأذن له .

١ يريد الألقاء بالنفس إلى التهلكة ٢ سطوته واعتدائه ٣ جمع مسح وهو الكساء من الشعر

فدخل ووقف بين يديه ، وكفراً وسجدة له ، واستوى قائماً ، وسكت . وفكر
 دبلشليم في سكوته وقال : إن هذا لم يقصدنا إلا لأمرين : إما لالتماس شيء
 يصلح به حاله ، أو لأمر لحقه فلم يكن له به طاقة . ثم قال : إن كان للملوك
 فضل في مملكتها ، فإن للحكماء فضلاً في حكمتها أعظم ، لأن الحكماء أغنياء
 عن الملوك بالعلم ، وليس الملوك بأغنياء عن الحكماء بالمال . وقد وجدت العلم
 والحياة إلفين متآلفين لا يفترقان ، متى فقد أحدهما لم يوجد الآخر ،
 كالتصافيين إن عدم منهما أحد لم يطب صاحبه نفساً بالبقاء بعده تأسفاً
 عليه . ومن لم يستعني من الحكماء ويكرمهم ويعرف فضلهم على غيرهم ،
 ويصنهم عن المواقف الواهنة^٢ ، وينزهمهم عن المواطن الرذلة ، كان ممن حرم
 عقله ، وخسر ديناه ، وظلم الحكماء حقوقهم ، وعد من الجهال . ثم رفع رأسه
 إلى بيدبا ، وقال له : نظرت إليك يا بيدبا ساكتاً لا تعرض حاجتك ، ولا
 تذكر بُغيثك^٣ . فقلت : إن الذي أسكنته هيبة ساورته^٤ ، أو حيرة أدركته .
 وتأملت عند ذلك من طول وقوفك ، وقلت : لم يكن لبیدبا أن يطرُقنا على
 غير عادة^٥ ، إلا لأمر حرره لذلك ، فإنه من أفضل أهل زمانه ، فهلاً نسأله
 عن سبب دخوله ؟ فإن يكن من ضيم ناله ، كنت أولى من أخذ بيده ،
 وسارع في تشريفه ، وتقدم في البلوغ إلى مراده وإعزازه . وإن كانت بُغيثه
 غرضاً من أغراض الدنيا أمرت بإرضائه من ذلك فيما أحب . وإن يكن من

١ عظم . والكفر من معانيه تعظيم الفارسي للملك والتكفير من معانيه إيماء الذي برأسه

٢ الواهنة : الضعيفة والمراد المنحطة ٣ هي الطلبة ٤ غلبته وأخذت برأسه

٥ يحضر إلينا

أمر الملك ومما لا ينبغي للملوك أن يبدلوه من أنفسهم ولا ينقادوا إليه ، نظرت في قدر عقوبته . على أن مثله لم يكن ليحتريء على إدخال نفسه في باب مسألة الملوك . وإن كان شيئاً من أمور الرعية يقصد فيه أني أصرف عنايتي إليهم نظرت ما هو ، فإن الحكماء لا يُشيرون إلا بالخير ، والجهال يشيرون بضده . وأنا قد فسحت^١ لك في الكلام . فلما سمع بيدبا ذلك من الملك أفرخ عنه روعه^٢ ، وسُرّي عنه ما كان وقع في نفسه من خوفه^٣ ، وكفر له وسجد ، ثم قام بين يديه ، وقال : أول ما أقول : أسأل الله تعالى بقاء الملك على الأبد ، ودوام ملكه على الأمد ، لأن الملك قد منحني في مقامي هذا محلاً جعله شرفاً لي على جميع من بعدي من العلماء ، وذكرًا باقياً على الدهر عند الحكماء . ثم أقبل على الملك بوجهه مستبشراً به ، فرحاً بما بداله منه ، وقال : قد عطف الملك على بكره وإحسانه . والأمر الذي دعاني إلى الدخول على الملك ، وحملني على المخاطرة لكلامه والإقدام عليه ، نصيحة اختصصته بها دون غيره . وسيعلم من يتصل به ذلك أني لم أقصر عن غاية فيما يجب للمولى على الحكماء . فإن فسح في كلامي ووءاه عني فهو حقيتي بذلك وما يراه ، وإن هو ألقاه فقد باغت ما يلزمي ، وخرجت من لوم يلحطني . قال الملك : يا بيدبا تكلم كيف شئت ، فإنني مُصغٍ إليك ، ومقبل عليك ، وسامع منك ، حتى أستفرغ ما عندك إلى آخره ، وأجزيك على ذلك بما أنت أهله . قال بيدبا : إني وجدت الأمور التي اختص بها

١ فسحت لك : سعت من قولهم فسح له المكان فرج ووسع ٢ ذهب خوفه

٣ زال ما كان قد نزل به من الحوف

الإنسان من بين سائر الحيوان أربعة أشياء ، وهي جماع ما في العالم : وهي الحكمة ، والعفة^٢ ، والعقل ، والعدل^٣ . والعلم^٤ والأدب^٥ والروية^٦ داخلية في باب الحكمة . والحلم^٧ والصبر^٨ والوقار^٩ داخلية في باب العقل . والحياء^{١٠} والكرم^{١١} والصيانة^{١٢} والأففة^{١٣} داخلية في باب العفة . والصدق^{١٤} والإحسان^{١٥} والمراقبة وحسن الخلق داخلية في باب العدل . وهذه هي المحاسن ، وأضدادها هي المساوي . فتمت كلمت هذه في واحد^{١٦} ، لم تخرجه الزيادة في نعمة إلى سوء الحظ من دنياه ، ولا إلى نقص في عقابه^{١٧} ، ولم يتأسف على ما لم يكن التوفيق ببقائه ، ولم يحزنه ما تجرى به المقادير في ملكه ، ولم يدهش عند مكروه .

- ١ جماع الشيء بالكسر : جمعه وأما الجماع على وزن رمان فهو إخلاط الناس من قبائل شتى
- ٢ العفة : هي فضيلة الحس الشهواني ، وتظهر في الإنسان إذا صرف شهواته بحسب الرأي أعنى أن يوافق التمييز الصحيح فيصير بذلك حراً غير متعبد لشيء من شهواته . والعفة وسط بين رذيلتين : هما الشره وهو الانهماك في اللذات والخروج فيها عما ينبغي : والجمود في الشهوات وهو السكون عن الحركة التي تسلك نحو اللذة
- ٣ العدل : مصدر بمعنى العدالة ، وهي فضيلة للنفس يختار بها صاحبها الانصاف من نفسه على نفسه أولاً ثم الانصاف والانتصاف من غيره
- ٤ العلم عند الحكماء : حصول صورة الشيء في العقل
- ٥ الأدب : معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطأ
- ٦ اعمال الفكر والتدبير
- ٧ الحلم : هو الظمأنينة عند سورة الغضب
- ٨ الصبر : هو مقاومة النفس للهوى حتى لا تنقاد للشكوى
- ٩ الوقار : الثاني في التوجه نحو المطالب
- ١٠ الحياء : انقباض النفس من شيء وتركه حذراً من الذم والسب والصادق
- ١١ الكرم : انفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الامور الجليلة القدر الكثيرة النفع كما ينبغي
- ١٢ الصيانة : حفظ النفس من مثل المعاييب
- ١٣ الأففة : الترفع عن الدنيا
- ١٤ الصدق هنا : قول الحق في مواطن الهلاك
- ١٥ الاحسان هو التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة
- ١٦ كلمت من باب نصر أنصح منها من باب كرم وأما أردأ لغاتها أن تكون من باب علم
- ١٧ آخرته

فالحكمة كنز لا يفنى على إيفاق ، وذخيرة لا يضرب لها بالإملاق^١ . وحلّة لا تخلق جدتها^٢ ، ولذة لا تُصرم مدتها . ولئن كنت عند مقامى بين يدى الملك أمسكت عن ابتدائه بالكلام ، فإن ذلك لم يكن منى إلا لهيبته والإجلال له . ولعمري إن الملوك لأهل أن يُهابوا^٣ ، لا سيما من هو فى المنزلة التى جلّ فيها الملك عن منازل الملوك قبله . وقد قالت العلماء : الزم السكوت فإن فيه سلامة ، وتجنب الكلام الفارغ فإن عاقبته الندامة . وحكى : أن أربعة من العلماء ضمّهم مجلس ملك . فقال لهم : ليتكلم كل بكلام يكون أصلاً للأدب . فقال أحدهم : أفضل خلة العلم السكوت^٤ . وقال الثانى : إن من أنفع الأشياء للإنسان أن يعرف قدر منزلته من عقله . وقال الثالث : أنفع الأشياء للإنسان ألا يتكلم بما لا يعنيه . وقال الرابع : أروح الأمور على الإنسان التسليم للعقاديرو . واجتمع فى بعض الزمان ملوك الأقاليم : من الصين والهند وفارس والروم ، وقالوا : ينبغى أن يتكلم كل واحد منا بكلمة تدوّن عنه على غابر الدهر^٥ . فقال ملك الصين : أنا على

١ الإملاق مصدر أملق الرجل : أنفق ماله حتى افتقر ، وأصله من الملق بالتسكين وهو التلين لأن الفقر يذل الإنسان ويلينه ، ويريد ذخيرة لا تنفك ٢ الحدة بكسر فتشديد : ضد البلى . تخلق : تبلى ، يعنى حلة لا تزال على بهجة الجديد . ٣ اللام فى لعمري لتأكيد الابتداء وعمري مبتدأ والخبر محذوف وجوباً تقديره (قسمى أو ما أقسم به) ومعنى العمر بالفتح : البقاء فإذا قالت لعمري الله مثلاً كان المراد : أحلف بدوام الله وبقائه ، وفيها لغة أخرى وهى ابدال لام التوكيد راء مفتوحة أيضاً ، وهنا يجوز كسر همزة ان وفتحها لأنه لم يصرح بفعل القسم ٤ الخلة هنا بالفتح ومعناها الخصلة ، وأما الخلة بالكسر فهى نوع من الثبات وأما بالضم فهى الألفة والمصادقة ٥ يريد أكثر الأشياء راحة ٦ الغابر : الماضى ، والحاضر ضده

ما لم أقل أقدر مني على ردِّ ما قلت . وقال ملك الهند : عجبت لمن يتكلم بالكلمة ، فإن كانت له لم تنفعه ، وإن كانت عليه أوبقته^١ . وقال ملك فارس أنا إذا تكلمت بالكلمة ملكتني ، وإذا لم أتكلَّم بها ملكتها . وقال ملك الروم : ما ندمت على ما لم أتكلَّم به قطُّ ، ولقد ندمت على ما تكلمت به كثيراً . والسكوت عند الملوك أحسن من الهدر^٢ الذي لا يرجع منه إلى نفع . وأفضل^٣ ما استظلَّ به الإنسان لسانه . غير أن الملك أطال الله مدَّته لما فسَّح لي في الكلام وأوسع لي فيه ، كان أولى ما أبدأ به من الأمور التي هي غرضي أن يكون ثمرة ذلك له دُوني ، وأن أختصَّ بالفائدة قبلي . على أن العقبى هي ما أقصد في كلامي له ، وإنما نفعه وشرفه راجع إليه ، وأكون أنا قد قضيت فرضاً وجبَّ عليَّ فأقول :

أيها الملك إنك في منازل آبائك وأجدادك من الجبابرة الذين أسسوا الملك قبلك ، وشيّدوا دُونك ، وبنَوْا القلاع والحصون ، ومهدّوا البِلاد ، وقادوا الجيوش ، واستجاشوا العُدَّة^٤ ، وطالت لهم المدَّة ، واستكثروا من السلاح والكرّاع^٥ ، وعاشوا الدُّهور ، في الغبطة والشُّرور^٦ . فلم يمنعهم ذلك من اكتساب جميل الذِّكر^٧ ، ولا قطعهم من اغتنام الشكر ، ولا استعمال الإحسان إلى من خولوه^٨ ، والإرفاق بمن وُلَّوه ، وحسن السيرة فيما تقلّدوه^٩ .

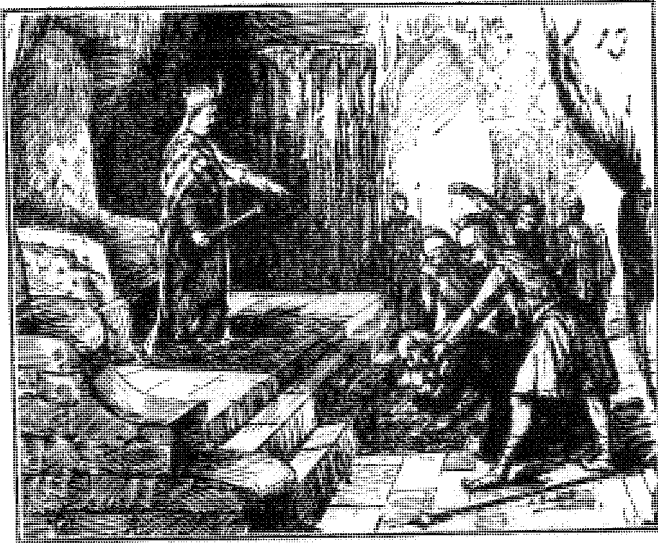
١ أهلكته ٢ الهديان ٣ وفي نسخة وأعضل ما استظل به الإنسان لسانه
٤ يقال استجاش الجيش : جمعه واستجاش فلاناً : استشاره وطلب منه جيشاً
وَمَدَدَا يَتَقَوَّى بِهِ ٥ الكراع بالضم اسم يجمع الخيل وقيل الخيل والسلاح
٦ الغبطة بالكسر : وهي هنا حسن الحال ٧ من قولهم خوله الله الشيء
تخويلاً : ملكه إياه

مع عظم ما كانوا عليه من غرّة الملك^١ وسكرة الاقتدار . وإنك أيها الملك — السعيد جدّه ، الطالع كوكب سعيده — قد ورثت أرضهم وديارهم ، وأموالهم ومنازلهم التي كانت عندّهم . فأقمت فيها خوّلّت من الملك ، وورثت من الأموال والجنود ، فلم تقم في ذلك بحق ما يجب عليك . بل طغيت وبلغيت ، وعتوت وعلوت على الرعية ، وأسأت السيرة ، وعظمت منك البلية . وكان الأولى والأشبه بك^٢ أن تسلك سبيل أسلافك ، وتتبع آثار الملوك قبلك . وتتقو^٣ محاسن ما أبوه لك ، وتقلع^٤ عما عاره لازم لك ، وشينه واقع بك ، وتحسن النظر برعيتك ، وتسنّ لهم سنن الخير الذي يبقى بعدك ذكره ويعقبك الجليل نفعه . ويكون ذلك أبقي على السلامة ، وأدوم على الاستقامة فإن الجاهل المغتر من استعمل في أموره البطر والأمنية ، والحازم اللبيب من ساس الملك بالمدارة والرفق . فانظر أيها الملك ما ألقيت إليك ، ولا يثقلن ذلك عليك . فلم أتكلّم بهذا ابتغاء غرض تجازيني به ، ولا التماس معروف تكافئني فيه . ولكني أتيتك ناصحاً مشفقاً عليك

فلما فرغ بيدياً من مقالته وقضى مناصحته ، أوغر صدر الملك ، فأغلظ له في الجواب استصغاراً لأمره . وقال : لقد تكلمت بكلام ما كنت أظن أن أحداً من أهل مملكتي يستقبلني بمثله ، ولا يندم على ما أقدمت عليه فكيف أنت مع صغر شأنك ، وضعف منيتك^٥ ، وعجز قوتك^٦ ؟ ولقد أكرّرت

١ الغرة بالكسر : اسم من الاغترار ٢ من أشبه الولد أباه : اذا شاركه في صفة من صفاته ٣ تتبع ٤ تكف وتنزع ٥ أوغر قلبه : ملأه غيظاً ٦ قوتك

إعجابي من إقدامك عليّ ، وتسَلَّطك بلسانك ، فيما جاوزت فيه حدّك ، وما أجد شيئاً في تأديب غيرك أبلغ من التنكيل بك^١ ، فذاك عبرة وموعظة لمن عساه أن يبلغ ويروم ما رمت أنت من الملوك ، إذا أوسعوا لهم في مجالسهم . ثم أمر به أن يُقتل ويُصلب

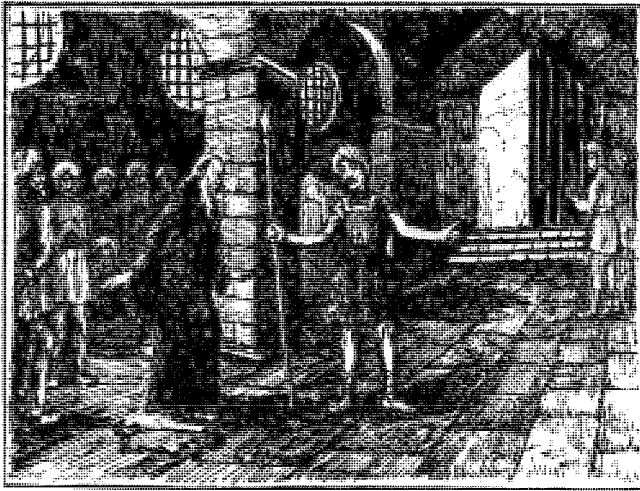


وَبَشِيرِمْ مَغْضِبًا وَتَدَامِرِمْ بَسْجِنِ بَيْدَا

فلما مضوا به فيما أمر ، فكرفيا أمر به فأحجم عنه^٢ . ثم أمر بحبسه وتقييده فلما حُبِسَ أنفذ في طلب تلاميذه ، ومن كان يجتمع إليه ، فهُرَبُوا في البلاد واعتصموا بجزائر البحار^٣ . فكثَّ بيدا في محبسه أياماً لا يسأل الملك عنه ،

١ يريد : من أن أجمعك عبرة ونكالا لغيرك
٢ رجع عما قد عزم عليه
٣ اعتصم بالثغى : امتنع به وتحصن

ولا يلتفت إليه ، ولا يجسر أحد أن يذكره عنده . حتى إذا كان ليلة من الليالي سجد الملك سهداً شديداً^٢ ، فطال سهده ، ومد إلى الفلك بصره ، وتفكر في تفلك^٣ الفلك وحركات الكواكب ، فأغرق الفكر فيه ، فسلك به إلى ، استنباط شيء عرّض له من أمور الفلك والمسألة عنه^٤ . فذكر عند ذلك بيدبا ، وتفكر فيما كلفه به ، فارعوى^٥ لذلك ، وقال في نفسه : لقد أسأت فيما صنعت بهذا الفيلسوف ، وضيعت واجب حقّه ، وحتلني على ذلك سرعة الغضب . وقد قالت العلماء : أربعة لا ينبغي أن تكون في الملوك : الغضب فإنه أجبر الأشياء مقتاً^٦ . والبخل فإن صاحبه ليس بمعذور مع ذات يده^٧ .



بيدبا في سجدة وتصدر العفو عنه

- ١ كان هنا تامة بمعنى حدث ٢ يريد أرق وسهر وأفض عليه المضجع فلم ينم
٣ استدارة ٤ يريد بالغ وأمعن ٥ المسألة بمعنى السؤال
٦ ارتدع ورجع عن عزمه ٧ بنضاً ٨ يريد ميسرته وغنام

والكذب فإنه ليس لأحد أن يجاوره . والعنف في المحاورة ، فإن السفه ليس من شأنها . وإني أتى إلى رجل نصّح لى ولم يكن مبلياً^١ ، فعاملته بضدّ ما يستحقّ ، وكفأته بخلاف ما يستوجب . وما كان هذا جزاءه منى . بل كان الواجب أن أسمع كلامه ، وأتقاد لما يُشير به

ثم أنفذ في ساعته من يأتبه به . فلما مثّل بين يديه^٢ قال له : يا بيدبا ألسنت الذى قصّدت إلى تقصير همّتى ؟ وعجّزت رأيى فى سيرتى بما تكلمت به آنفاً^٣ . قال له بيدبا : أيها الملك الناصح الشفيق ، والصادق الرفيق ، إنما نبأْتُكَ بما فيه صلاح لك ولرعيّتك ، ودوام ملكك لك . قال له الملك : يا بيدبا أعد علىّ كلامك كله ، ولا تدع منه حرفاً إلا جئت به . فجعل بيدبا ينثر كلامه والمالك مُضغ إليه . وجعل دَبشليم كلما سمع منه شيئاً ينكت الأرض بشيء كان فى يده^٤ . ثم رفع طرفه إلى بيدبا وأمره بالجلوس . وقال له : يا بيدبا إني قد استعذبت كلامك ، وحسن موقعه فى قلبى . وأنا ناظر فى الذى أشرت به ، وعامل بما أمرت . ثم أمر بتيوده فخلّت . وألقى عليه من لباسه وتلقاه بالقبول . فقال بيدبا : يا أيها الملك إن فى دون ما كلمتك به نهيّة^٥ لمثلك . قال : صدّقت أيها الحكيم الفاضل . وقد وليّتك من مجلسى هذا إلى جميع أقاصى مملكى . فقال له : أيها الملك أعفني من هذا الأمر

١ من البلاغات وهى الوشايات كأنه جمع بلاغة ، يقال : لا يفلح أهل البلاغات ، والفعل بلغ بالتشديد أو بلغ بمعنى أوصل ٢ وقف وشخص بين يديه ٣ سابقاً ٤ وذلك أن تضرب الأرض بقضيب فتؤثر فيها وهو مما يفعله المنكر المهموم ٥ النهيّة بالضم اسم من النهى ، ودون بمعنى أقل

فإني غير مضطلع بتقويمه إلا بك . فأعفاه من ذلك . فلما انصرف علم أن
الذي فعله ليس برأى ، فبعث فردّه . وقال : إني فكّرت في إعفائك مما
عرّضته عليك ، فوجدته لا يقوم إلا بك ، ولا ينهض به غيرك ، ولا يضطلع
به سواك . فلا تخالفني فيه . فأجابه ببدا إلى ذلك



بَيْدَا يُطَافُ بِرَأْيِ الْمَدِينَةِ وَقَدْ اسْتُوزِرَ رَأْيُ الْعَفْوَةِ

وكان عادة ذلك الزمان إذا استوزروا وزيراً أن يعقدوا على رأسه تاجاً
ويركب في أهل المملكة ، ويطاف به في المدينة . فأمر الملك أن يفعل
ببَيْدَا ذلك . فوضع التاج على رأسه ، وركب في المدينة ، ورجع فجلس
بمجلس العدل والإنصاف ، يأخذ للذي من الشريف ، ويساوي بين القويّ
والضعيف ، وردّ المظالم ، ووضع سنن العدل ، وأكثر من العطاء والبذل .
واتّصل الخُبر بتلاميذه فجاءوه من كل مكان فرحين بما جدد الله له من جديد

رأى الملك فى بيدبا ، وشكروا الله تعالى على توفيق بيدبا فى إزالة دَبشليم عما كان عليه من سوء السيرة . واتخذوا ذلك اليوم عيداً يُعيّدون فيه . فهو إلى اليوم عيد عندهم فى بلاد الهند

ثم إن بيدبا لما أخلى فكره من اشتغاله بدَبشليم تفرّغ لوضع كتب السياسة ونشط لها^١ . فعمل كتباً كثيرة فيها دقائق الحيل . ومضى الملك على ما رَسَم له بيدبا من حسن السيرة والعدل فى الرعية . فرغبت إليه الملوك الذين كانوا فى نواحيه ، واتقادت له الأمور على استوائها ، وفريحت به رعيته وأهل مملكته . ثم إن بيدبا جمع تلاميذ فأحسن صلتهم ، ووعدهم وعداً جميلاً . وقال لهم : لست أشك أنه وقع فى نفوسكم وقت دخولى على الملك أن قلتم : إن بيدبا قد ضاعت حكمته ، وبطلت فكرته ، إذ عزم على الدخول على هذا الجبار الطاغى . فقد علمتم نتيجة رأيي ، وصحة فكري . وإنى لم آت به جهلاً به ، لأننى كنت أسمع من الحكماء قبلى تقول : إن الملوك لها سورة كسورة^٢ الشراب . فالملوك لا تفيق من السورة إلا بمواعظ العلماء وأدب الحكماء . والواجب على الملوك أن يتعظوا بمواعظ العلماء . والواجب على العلماء تقويم الملوك بأستنها ، وتأديبها بحكمتها ، وإظهار الحجة البينة اللازمة لهم ، ليرتدعوا عما هم عليه من الاعوجاج والخروج عن العدل . فوجدت ما قالت الحكماء فرضاً واجباً على الحكماء ملوكهم ليوقظوهم من رقدهم ، كالطبيب الذى يجب عليه فى صناعته حفظ الأجساد على صحتها

أوردّها إلى الصحة . فكّر هت أن يموت أو أموت ، وما يَبْقَى على الأرض إلا من يقول : إنه كان يبدا . الفيلسوف في زمان دَبْشليم الطاغى فلم يَرُدّه عما كان عليه . فإن قال قائل : إنه لم يَمْكِنه كلامه خوفا على نفسه ، قالوا : كان الهَرَب منه ومن جواره أولى به . والانزعاج عن الوطن شديدا . فرأيت أن أجود بحياتي ، فأكون قد أتيت فيما بيني وبين الحكماء بعدى عنذراً ، فحملتها على التفرير أو الظفر بما أريده^٢ . وكان من ذلك ما أتم معانيوه^٣ . فإنه يقال في بعض الأمثال : إنه لم يَبْلُغ أحد مرتبة إلا بإحدى ثلاث : إما بمشقة تناله في نفسه ، وإما بوضيعة^٤ في ماله ، أو وكس في دينه^٥ . ومن لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب . وإن الملك دبشليم قد بسط لسانى^٦ في أن أضع كتاباً فيه ضروب الحكمة^٧ . فليضع كل واحد منكم شيئاً في أى فن شاء ، وليعرضه علىّ ، لأنظر مقدار عقله ، وأين بلغ من الحكمة فهمه . قالوا : -- أيها الحكيم الفاضل ، واللييب العاقل -- والذي^٨ وهب لك ما منحك من الحكمة والعقل والأدب والفضيلة ، ما خطر هذا بقلوبنا ساعة قط ، وأنت رئيسنا وفاضلنا ، وبك شرفنا ، وعلى يدك انتعاشنا^٩ ، ولكن سنُجهد أنفسنا فيما أمرت . ومكث الملك على ذلك من حسن السيرة زماناً يتولى ذلك له يبدا ويقوم به

١ الانزعاج : الانشغال ويريد منه الارتحال ٢ التفرير : تعريض النفس للهلكة ، ويريد إما أن تقبر وإما أن تظفر ٣ كان : حدث ٤ الوضيعة : الحسارة ٥ الكس : النقص وفعله من باب ضرب يتعدى ويلزم ٦ أى أطلقه ٧ أنواعها ٨ الواو للقسم والذي مقسم به ٩ أى لا ينهض ولا يملو

ثم إن الملك دبشليم لما استقرَّ له الملك ، وسقط عنه النظر في أمور
الاعداء^١ ، بما قد كفاه ذلك يبدا ، صرفَ همَّته إلى النظر في الكتب التي
وضعتها فلاسفة الهند لأبائه وأجداده ، فوقع في نفسه^٢ أن يكون له أيضاً
كتاب مشروح يُنسب إليه ، وتذكر فيه أيامه كما ذكر آباؤه وأجداده من
قبله . فلما عزم على ذلك علم أنه لا يقوم ذلك إلا ببدا . فدعاه وخلا به ،
وقال له : يا ببدا إنك حكيم الهند وفيلسوفها ، وإني فكرت ونظرت في خزائن
الحكمة التي كانت للملوك قبلي ، فلم أرفيهم أحداً إلا وقد وضع كتاباً يذكر
فيه أيامه وسيرته ، ويُنْبئ عن أدبه وأهل مملكته : فمنها ما وضعه الملوك
لأنفسها ، وذلك لفضل حكمة فيها ، ومنها ما وضعته حكماؤها . وأخاف أن
يلحقني ما لحق أولئك مما لا حيلة لي فيه ، ولا يوجد في خزائني كتاب
أذكر به بعدي ، وأنسب إليه ، كما ذكر من كان قبلي بكتبهم . وقد
أحببت أن تضع لي كتاباً بليغاً تستفرغ فيه عقلك : يكون ظاهره سياسة
العامّة وتأديبها ، وباطنه أخلاق الملوك وسياستها للرعية على طاعة الملك
وخدمته ، فيسقط بذلك عنى وعنهم كثير مما نحتاج إليه في معاناة الملك ،
وأريد أن يبقى لي هذا الكتاب بعدي ذكراً على غابر الدهور^٣ . فلما سمع
ببدا كلامه خرَّ له ساجداً^٤ ورفع رأسه ، وقال : أيها الملك السعيد جدّه
— علا تجمك ، وغاب تحسك ، ودامت أيامك — إن الذي قد طُبع

١ يريد أن يبدا قد كفي الملك متاعب النظر في أمر الملك والتدبير في أحواله
٢ أي خطر به ٣ الغابر من الاضداد فيطلق على الماضي والباقي وهو المتصود
٤ خر : انكب على الارض . وساجداً : حال مؤكدة ومثله في القرآن يخرون
للاذقان سجدا

عليه الملك من جودة القريحة^١، ووفور العقل حرَّكه إلى أعلى الأمور، وسمت به نفسه وهمته إلى أشرف المراتب منزلة، وأبعدها غاية — وأدام الله سعادة الملك وأعانه على ما عزم من ذلك وأعانني على بلوغ مراده — فليأمر الملك بما شاء من ذلك، فإني صائر إلى غرضه مجتهد فيه برأيي. قال له الملك: يا بيدبا لم تنزل موصوفاً بحسن الرأي وطاعة الملوك في أمورهم، وقد اخترت منك ذلك، واخترت أن تضع هذا الكتاب، وتعمل فيه فكرك، وتجاهد فيه نفسك، بغاية ما تجد إليه السبيل. ولكن مشتملاً على الجِدِّ^٢، والهزل^٣، والحكمة^٤، والفلسفة^٤. فكفر له بيدبا وسجد، وقال: قد أحببت الملك أدام الله أيامه إلى ما أمرني به، وجعلت بيني وبينه أجلاً^٥. قال: وكم هو الأجل؟ قال: سنة. قال: قد أجلتلك. وأمر له بجائزة سنوية تُعينه على عمل الكتاب. فبقي بيدبا مفكراً في الأخذ فيه وفي أي صورة ينتدى بها فيه وفي وضعه

ثم إن بيدبا جمع تلاميذه وقال لهم: إن الملك قد ندبني لأمر فيه فخرى وغركم^٦، وقد جمعتكم لهذا الأمر. ثم وصف لهم ما سأل الملك من أمر الكتاب، والغرض الذي قصده فيه، فلم يقع لهم الفكر فيه^٧. فلما لم يجد

١ الجودة بالفتح والضم ٢ الجد: أن يراد باللفظ معناه الحقيقي أو المجازي وهو ضد الهزل ٣ هو الذي يتلذذ به الإنسان فيلهيه ثم ينقضي ٤ الفلسفة: ترادف الحكمة اصطلاحاً يونانية وتأويلها: محبة الحكمة، وقد يراد بالفلسفة: التأنيق في المسائل العلمية والتفنن فيها وربما كان المراد من ذكرها (بعد) لفظ الحكمة ٥ جعل بمعنى اتخذ. والأجل: الموعد ٦ يقال ندبه إلى الأمر والأمر: دعاه ورشحه للقيام به وبابه نصر ٧ يريد فلم يخطر لهم شيء مما يريد

عندهم ما يُريده فكَرَّ بفضل حكمته ، وعلم أن ذلك أمرٌ إنما يتمُّ باستفراغ العقل ، وإعمال الفكر . وقال : أرى السفينة لا تجرّ في البحر إلا بالملاحين^١ لأنهم يعدّونها . وإنما تسلك اللّجة بمدبرها الذي تفرّد بإمرتها^٢ . ومضى شحنت بالركاب الكثيرين وكثُر ملاحوها لم يؤمن عليها من الفرق . ولم يرزل يُفكر فيما يعمّله في باب الكتاب حتى وَضَعَه على الانفراد بنفسه مع رجل من تلاميذه كان يَتَّق به ، فحلا به منفرداً معه ، بعد أن أعدَّ من الورق الذي كانت تكتب فيه الهند شيئاً ، ومن القوت ما يقوم به وتلميذه تلك المدة ، وجلسا في مقصورة^٣ وردّا عليهما الباب . ثم بدأ في نظم الكتاب وتصنيفه ، ولم يرزل هو يُعلّي وتلميذه يكتب ويرجع هو فيه ، حتى استقرَّ الكتاب على غاية الاتقان والإحكام ، ورتّب فيه أربعة عشر باباً^٤ : كل باب منها قائم بنفسه . وفي كل باب مسألة والجواب عليها ، ليكون لمن نظر فيه حظّ من الهداية^٥ . وضمّن تلك الأبواب كتاباً واحداً ، وسماه كتاب (كَلِيلَة ودِمْنَة) ثم جعل كلامه على ألسن البهائم والسناع والطير ، ليكون ظاهره لهُوًّا للخواص والعوام ، وباطنه رياضة لعقول الخاصة^٦ . وضمّنه أيضاً ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه ، وأهله وخاصته ، وجميع ما يحتاج إليه من أمر دينه ودنياه ، وآخرته وأولاده ، ويخصّه على حسن طاعته للملوك ، ويجنبه ما تكون مجانبته خيراً له . ثم جمّعه باطناً وظاهراً كرسم سائر الكتب التي

١ الملاحون : الذين يديهم سياسة السفينة وتديرها ٢ الامرة بالكسر : الولاية
٣ المقصورة : أقل من الدار ولا تسمع كثيرين ٤ بعض النسخ تعد الأبواب
خمس عشرة جاعلة باب الفحص عن أمر دمنة باباً مستقلاً ٥ الحظ : النصيب
٦ الرياضة : التدريب والتحرين

برسم الحكمة . فصار الحيوان لهواً ، وما ينطبق به حكماً وأدباً . فلما ابتدأ
بيدبا بذلك جعل أول الكتاب وصف الصديق ، وكيف يكون الصديقان ،
وكيف تُقطع المودة الثابتة بينهما بحيلة ذى النعمة . وأمر تلميذه أن يكتب
على لسان بيدبا مثل ما كان الملك قد شرّطه في أن جعله لهواً وحكمة : فذكر
بيدبا أن الحكمة متى دخلها كلام النقلة أفسدها ، واستجمل حكمته . فلم يزل
هو وتلميذه يعملان الفكر فيما سألهم الملك ، حتى فتح لهما العقل أن يكون
كلامهما على لسان بهيمتين . فوقع لهما موضع اللهو والهزل بكلام البهائم .
وكانت الحكمة ما نطقا به . فأصغت الحكماء الى حكمه ، وتركوها البهائم
واللهو ، وعلموا أنها السبب في الذي وضع لهم ، ومالت إليه الجهال عجباً من
محاورة بهيمتين ، ولم يشكوا في ذلك ، واتخذوه لهواً ، وتركوها معنى الكلام
أن يفهموه ، ولم يعلموا الغرض الذي وُضع له ، لأن الفيلسوف إنما كان
غرضه في الباب الأول أن يُخبر عن تواصل الإخوان كيف تتأكد المودة
بينهم على التحفظ من أهل السعاية^١ ، والتحرّز من وقوع العداوة بين المتحابين ،
ليجرب بذلك نفعاً إلى نفسه . فلم يزل بيدبا وتلميذه في المتصورة حتى استتم
عمل الكتاب في مدة سنة . فلما تمّ الحول^٢ أنفذ إليه الملك أن قد جاء الوعد
فماذا صنعت ؟ فأنفذ إليه بيدبا : إني على ما وعدت الملك ، فلما أمرني بحمله
بعد أن يجتمع أهل المملكة ، لتكون قراءتي هذا الكتاب بحضورهم . فلما
رجع الرسول إلى الملك سرّ بذلك ، ووعدته يوماً يجتمع فيه أهل المملكة . ثم
نادى في أقصى بلاد الهند ليحضروا قراءة الكتاب . فلما كان ذلك اليوم

أمر الملك أن يُنصب لميديا سرير مثل سريريه ، وكراسي لأبناء الملوك والعلماء . وأنفذ فأحضره . فلما جاء الرسول قام فلبس الثياب التي كان يلبسها إذا دخل على الملوك : وهي المُسُوح السود . وحمل الكتاب تلميذه ، فلما دَخَلَ على الملك وَتَبَّ اخِلاَّتق بأجمعهم وقام الملك شاكرًا . فلما قَرُبَ من الملك كَفَّرَ له وسَجَدَ ، ولم يَرَفَعْ رأسه . فقال له الملك : يا ميديا ارفع رأسك ، فإن هذا يوم هَناء وفرح وسرور ، وأمره أن يجلس . فحين جَلَسَ لقراءة الكتاب



بَيَّبا يقرأ هذه الخُطاب بين يدي وشبههم في جمع من نساء بلاذ

سأله عن معنى كل باب من أبواب الكتاب ، وإلى أيّ شيء قصَدَ فيه ؟ فأخبره بغرضه فيه ، وفي كل باب . فازداد الملك منه تعجبًا وسرورًا . فقال له : يا ميديا ما عَدَوْتُ الذي في نفسي وهذا الذي كنت أطلب .

١ أي ما تجاوزت الذي أريد وقد وافق

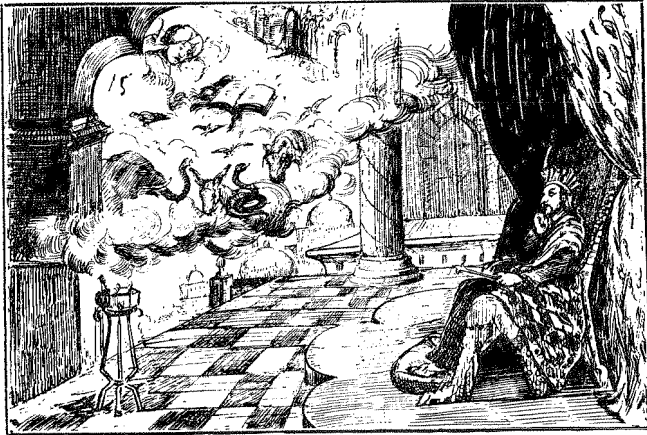
فاطلب ما شئت وتحكم . فدعا له بيدبا بالسعادة وطول الجِدِّ . وقال : أيها الملك ، أما المال فلا حاجة لي فيه ، وأما السكوة فلا أختار على لباسي هذا شيئاً ، ولست أُخْلِى الملك من حاجة . قال الملك : يا بيدبا ما حاجتك ؟ فكل حاجة لك قبلنا مفضية . قل : يأمر الملك أن يدون كتابي هذا كما دون آباؤه وأجداده كتبهم ، ويأمر بالمحافظة عليه ، فإنني أخاف أن يخرج من بلاد الهند ، فيتناوله أهل فارس إذا علموا به ، فالملك يأمر ألا يخرج من بيت الحكمة . ثم دعا الملك بتلاميذه ، وأحسن لهم الجوائز . ثم إنه لما ملك كسرى أنوشروان ، وكان مستائراً بالكتب والعلم والأدب والنظر في أخبار الأوائل ، وقع له خبر الكتاب ، فلم يقرّ قراره حتى بعث برزويه الطبيب وتلطّف حتى أخرجه من بلاد الهند فأقرّه في خزائن فارس

باب بعثة برزويه إلى بلاد الهند

أما بعد . فإن الله تعالى خلق الخلق برحمته ، ومنّ على عباده بفضله وكرمه ، ورزقهم ما يقدرّون به على إصلاح معاشهم في الدنيا ، ويُدركون به استنقاذ^١ أرواحهم من العذاب في الآخرة . وأفضل ما يرزقهم الله تعالى ومنّ به عليهم العقل الذي هو الدّعاة لجميع الأشياء ، والذي لا يقدر أحد في الدنيا على إصلاح معيشتهم ، ولا إحراز نفع^٢ ، ولا دفع ضرر إلا به . وكذلك طالب الآخرة المجتهد في العمل المنجى به رُوحه لا يقدر على إتمام

١ تخليص ٢ يقال : أحرزت المال حصلت عليه

عمله وإكماله إلا بالعقل ، الذى هو سبب كل خير ، ووفتح كل سعادة .
فليس لأحد غنى عن العقل . والعقل مكتسب بالتجارب والأدب . وله
غريزة مكنونة فى الإنسان ، كامنة كالنار فى الحجر : لا تظهر ولا يرى
ضوءها حتى يقدحها قاذح من الناس^١ . فإذا قدحت ظهرت طبيعتها .
وكذلك العقل كامن فى الإنسان ، لا يظهر حتى يظهره الأدب ، وتقوية
التجارب . ومن رزق العقل ومن به عليه ، وأعين على صدق قريحته
بالأدب ، حرص على سعد جدّه^٢ ، وأدرك فى الدنيا أمله ، وحاز فى الآخرة
ثواب الصالحين . وقد رزق الله الملك السعيد أنوشروان من العقل أفضله ،



كسرى أنوشروان فى خلوة يفكر فى أمره الخائب قد تشلت له صورة وناسحت

ومن العلم أجرته ، ومن المعرفة بالأمور أصوبها ، ومن الأفعال أسدها^٣ ،
ومن البحث عن الأصول والفروع أنفعه ، وبلغه من فنون اختلاف العلم

١ القاذح الذى يحك الزند ليخرج الشرر

٢ الجد بالكسر : الحظ

٣ يريد أكثرها صوابا

و بلوغ منزلة الفلسفة ما لم يبلغه ملك قطُّ من الملوك قبله ، حتى كان فيما طلب
و بحث عنه من العلم أن بلغه عن كتاب بالهند : علم أنه أصل كل أدب ،
ورأس كل علم ، والدليل على كل منفعة ، ومفتاح عمل الآخرة وعلمها ، ومعرفة
النجاة من هولها . فأمر الملك وزيره بُزْرَجْمَهْرَ أن يبحث له عن رجل أديب
عاقل من أهل مملكته ، بصير بلسان الفارسية ، ماهر في كلام الهند ،
ويكون بليغاً باللسانين جميعاً ، حريصاً على العلم ، مبادراً في طلبه ،
مجتهداً في استعمال الأدب ، والبحث عن كتب الفلسفة . فأتاه برجل
أديب ، كامل العقل والأدب ، معروف بصناعة الطب ، ماهر في الفارسية
والهندية : يقال له بَرَزَوِيه . فلما دخل عليه كفر وسجد بين يديه . فقال
له الملك : يا بَرَزَوِيه ، إني قد اخترتك لما بلغني من فضلك وعلمك وعقلك
وحرصك على طلب العلم حيث كان . وقد بلغني عن كتاب بالهند مخزون
في خزائهم . وقصَّ عليه ما بلغه عنه ، وقال له : تجهِّز فاني مُرَحِّلُكَ إلى
أرض الهند ، فتلطَّف بعقلك ، وحسن أدبك ، وناقد رأيك ، لاستخراج
هذا الكتاب من خزائهم ومن قبِلَ علمائهم ، فتستفيد بذلك وتفيدنا .
وما قدرت عليه من كتب الهند ، مما ليس في خزائننا منه شيء فاحمله معك
وخذ معك من المال ما تحتاج إليه ، وعجل ذلك ، ولا تُقصِّر في طلب العلوم
وإن أ كثرت فيه الثقة فإن جميع ما في خزائني مبدول لك في طلب العلوم ،
وأمر بإحضار المنجمين . فاختاروا له يوماً يسير فيه ، وساعة صالحة يخرج
فيها ، وحمل معه من المال عشرين جراباً : كل جراب فيه عشرة آلاف

دينار. فلما قديم برزويه بلاد الهند طاف بباب الملك ، ومجالس السوقة^١ ،
وسأل عن خواص الملك والأشراف والعلماء والفلاسفة . فجعل يغشاهم في
منازلهم^٢ ، ويتلقاهم بالتحية ، ويخبرهم بأنه رجل غريب : قديم بلادهم لطلب
العلوم والأدب ، وأنه محتاج إلى معاونتهم في ذلك . فلم يزل كذلك زماناً
طويلاً ، يتأدب عن علماء الهند بما هو عالم بجميعه ، وكأنه لا يعلم منه شيئاً .
وهو فيما بين ذلك يستر بُغيته وحاجته . واتخذ في تلك الحالة لطول مقامه
أصدقاء كثيرين : من الأشراف والعلماء والفلاسفة والسوقة ، ومن أهل كل
طبقة وصناعة . وكان قد اتخذ من بين أصدقائه رجلاً واحداً : قد اختاره
لسره ، وما يحب مشاورته فيه ، للذي ظهر له من فضله وأدبه ، واستبان له
من صحة إخائه . وكان يُشاوره في الأمور ، ويرتاح إليه في جميع ما أهمه ،
إلا أنه كان يكتُم منه الأمر الذي قديم من أجله ، لكي يبلّوه ويخبره ،
وينظر : هل هو أهل أن يُطلعه على سره ، فقال له يوماً وهما جالسان :
يا أخي ، ما أريد أن أكتُمك من أمرى فوق الذي كُتِمك ، فاعلم أني
لأمر قديم ، وهو غير الذي يظهر مني . والعقل يكتفي من الرجل
بالعلامات من نظره ، حتى يعلم سر نفسه ، وما يُضمره قلبه . قال له الهندي :
إني وإن لم أكن بدأت وأخبرتكم بما جئت له ، وإياه تريد ، وأنك تكتم
أمرأ تطلبه وتُظهر غيره ما خفي على ذلك منك ، ولكني لرغبتي في إخوانك

١ السوقة بالضم : الرعية من الناس للواحد والجمع والمذكر والمؤنث وقيل سموا كذلك
لأن الملك يسوقهم الى ماشاء ومنه قول جبلة بن الأيهم : ألا يفضل في هذا الدين ملك
على سوقة فقيل له : ان الملك والسوقة عندنا سواء ٢ أي يزورهم ويطلق دورهم

كَرِهَتْ أَنْ أَوَاجِبَكَ بِهِ . وَإِنَّهُ قَدْ اسْتَبَانَ مَا تُخْفِيهِ مِنِّي . فَأَمَّا ^١ إِذَا قَدْ أَظْهَرْتَ ذَلِكَ ، وَأَفْصَحْتَ بِهِ ، وَبِالْكَلَامِ فِيهِ ، فَإِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ نَفْسِكَ ، وَمُظْهِرُكَ لِكَسْرِيَّتِكَ ، وَمَعْلَمُكَ بِحَالِكَ الَّتِي قَدِمْتَ لَهَا . فَإِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادَنَا لَتَسْلُبُنَا كَنْزَنَا النِّفِيسَةَ ، فَتَذْهَبَ بِهَا إِلَى بِلَادِكَ ، وَتَسُرَّ بِهَا مَلِكَكَ . وَكَانَ قَدُومُكَ بِالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ . وَلَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صَبْرَكَ وَمَوَاطِنَتَكَ عَلَى طَلَبِ حَاجَتِكَ ، وَالتَّحَفُّظُ مِنْ أَنْ يَسْقُطَ مِنْكَ الْكَلَامُ مَعَ طَوْلِ مُكْثِكَ عِنْدَنَا ، بَشَىءٌ يَسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى سَرِيرَتِكَ وَأُمُورِكَ أَرَدْتُ رَغْبَةً فِي إِخَائِكَ ، وَثِقَةً بِعَقْلِكَ ، فَأَحْبَبْتُ مَوَدَّتَكَ . فَإِنِّي لَمْ أَرَفِ الرِّجَالَ رَجُلًا هُوَ أَرْضَنُ مِنْكَ عَقْلًا ، وَلَا أَحْسَنُ أَدَبًا ، وَلَا أَصْبَرَ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ ، وَلَا أَكْتَمُ لِسَرِّهِ مِنْكَ ، وَلَا سِيمَا فِي بِلَادِ غَرْبَةٍ ، وَمَمْلَكَةٍ غَيْرِ مَمْلَكَتِكَ ، عِنْدَ قَوْمٍ لَا تَعْرِفُ سُنَنَهُمْ . وَإِنْ عَقَلَ الرَّجُلُ لِيَبِينُ فِي ثَمَانِي خِصَالٍ : الْأُولَى الرِّفْقُ . وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فِيَحْفَظُهَا . وَالثَّلَاثَةُ طَاعَةُ الْمُلُوكِ وَالتَّحَرُّيُّ لِمَا يُرْضِيهِمْ . وَالرَّابِعَةُ مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ مَوْضِعَ سَرِّهِ ، وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يُطْلَعَ عَلَيْهِ صَدِيقُهُ . وَالخَامِسَةُ أَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِ الْمُلُوكِ أَدِيبًا مَلِيقَ اللِّسَانِ ^٢ . وَالسَّادِسَةُ أَنْ يَكُونَ لِسَرِّهِ

١ أما : حرف شرط وتفصيل وتوكيد قالوا ويجب أن يرتبط جوابها بالفاء ، وأما قوله تعالى (أما الذين أسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم) فعلى هذا التقدير أى فيقال لهم أكفرتم ، ويفصل بينها وبين الفاء بواحد من ستة أمور : المبتدأ نحو فأما الذين آمنوا واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه ونضل ، والخبر نحو أما في الدار فزيد ، وجملة الشرط نحو فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم ، والرابع اسم منصوب نحو فأما اليتيم فلا تقهر ، والخامس اسم مفعول لمحذوف يفسره ما بعد الفاء نحو أما المهمل فوضعه ، والسادس ظرف لمفعول لأما وذلك لأن فيها معنى الفعل الذي ثابت عنه نحو أما اليوم فإني ذاهب ٢ من قولهم ملق فلان كفرح : تودد وتلطف وأظهر بلسانه ما ليس في قلبه

وسرّ غيره حافظاً . والسابعة أن يكون على لسانه قادراً : فلا يتكلم إلا بما يأمن تبعته^١ . والثامنة إن كان بالحفل لا يتكلم إلا بما يسأل عنه . فمن اجتمعت فيه هذه الخصال كان هو الداعي الخير إلى نفسه . وهذه الخصال كلها قد اجتمعت فيك ، وبانت لي منك . فالله تعالى يحفظك ، ويعينك على ما قديمت له . فصادقتك إياي وإن كانت لتسلبني كنزى وغرى وعلمى ، تجعلك أهلاً لأن تسعف بحاجتك ، وتسفع بطلبتك^٢ ، وتعطى سؤلك . فقال له برزويه : إني قد كنت هيات كلاماً كثيراً ، وشعبت له شعوباً ، وأنشأت له أصولاً وطرقاً ، فلما انتهيت إلى ما بدأته به : من إطلاعك على أمرى والذي قديمت له ، وألقيته على من ذات نفسك ، ورغبتك فيما ألقىت من القول ، اكتفيت باليسير من الخطاب معك ، وعرفت الكبير من أمورى بالصغير من الكلام ، واقتصرت به معك على الإيجاز ، ورأيت من إسعافك إياي بحاجتي ما دلني على كرمك وحسن وفائك ، فان الكلام إذا ألقى إلى الفيلسوف ، والسر إذا استودع إلى اللبيب الحافظ ، فقد حصن وبلغ به نهاية أمل صاحبه ، كما يحصن الشيء النفيس في القلاع الحصينة . قال له الهندي : لا شيء أفضل من المودة ، ومن خلصت مودته كان أهلاً أن يخلطه الرجل بنفسه ، ولا يبتخر عنه شيئاً ، ولا يكتمه سرّاً ، فان حفظ السر رأس الأدب . فاذا كان السر عند الأمين الكتوم فقد احترز من التضضيع ، مع أنه خليق ألا يتكلم به . ولا يتم سرّ بين اثنين قد علماهما

١ التبعة بفتح فكسر : ما يطلب من ظلامة ونحوها ٢ من شغفت الشيء بالشيء : ضمته اليه ، والطلبة : المطلوب

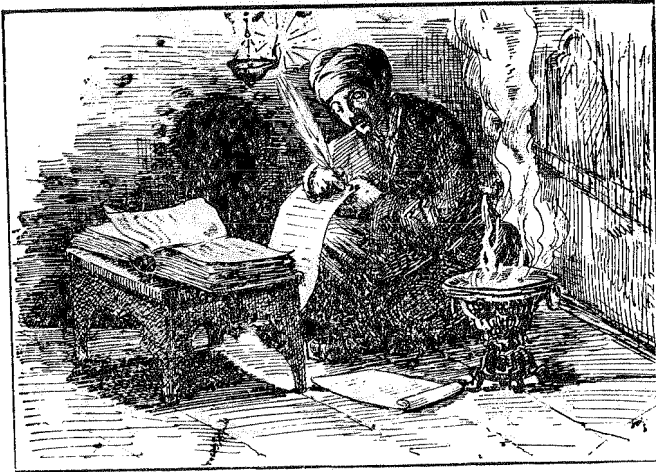
وتفاوضاه . فإذا تكلم بالسرّ اثنان فلا بدّ من ثالث من جهة أحدهما .
فإذا صار إلى الثلاثة فقد شاع وذاع ، حتى لا يستطيع صاحبه أن يجعده
ويكابر عنه ، كالغيم إذا كان متقطعاً في السماء ، فقال قائل : هذا غيم متقطع
لا يقدر أحد على تكذيبه . وأنا قد يُدخلني من مودّتك وخلطتك سرور



برزويّه پيادش خازن كتب الملك في بيته

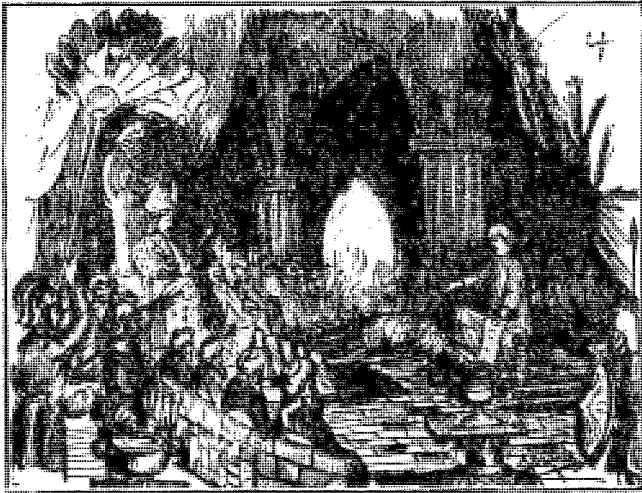
لا يَعدِلُه شيء ، وهذا الأمر الذي تَطلبُه مني أعلم أنه من الأسرار التي
لا تُكتم فلا بدّ أن يَفشو ويَظهر ، حتى يتحدّث به الناس . فإذا فشا فقد

سَعَيْتَ فِي هَلَاكِ هَلا كَلا أَقْدِرُ عَلَى الْفِدَاءِ مِنْهُ بِالْمَالِ وَإِنْ كَثُرَ ، لَأَنْ
مَلِكُنَا فَطَّ غَلِيظٌ يُعَاقِبُ عَلَى الذَّنْبِ الصَّغِيرِ أَشَدَّ الْعِقَابِ ، فَكَيْفَ مِثْلُ
هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ ! وَإِذَا حَمَلْتَنِي الْمَوَدَّةَ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنِكَ ، فَأَسْعِفْنِكَ
بِمُحَاجَّتِكَ ، لَمْ يَرُدَّ عِقَابُهُ عَنِّي شَيْءٌ . قَالَ بَرَزَوِيه : إِنْ الْعُلَمَاءُ قَدْ مَدَحَتْ
الصَّدِيقَ إِذَا كَتَمَ سِرَّ صَدِيقِهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى الْفُوزِ . وَهَذَا الْأَمْرُ الَّذِي قَدِمْتُ
لَهُ لِمَلِكِكَ ذَخْرَتَهُ ، وَبِكَ أَرْجُو بُلُوغَهُ ، وَأَنَا وَاثِقٌ بِكَرَمِ طِبَاعِكَ وَوُفُورِ عَقْلِكَ
وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَخْشَى مِنِّي ، وَلَا تَخَافُ أَنْ أُبْدِيَهُ ، بَلْ تَخْشَى أَهْلَ بَيْتِكَ
الطَّائِفِينَ بِكَ وَبِالْمَلِكِ أَنْ يَسْعَوْا بِكَ إِلَيْهِ . وَأَنَا أَرْجُو أَلَّا يَشِيعَ شَيْءٌ مِنْ
هَذَا الْأَمْرِ ، لِأَنِّي أَنَا ظَالِعُنْ وَأَنْتَ مُقِيمٌ . وَمَا أَقْتُ فَلَانَاكَ يَنْبَنَّا . فَتَعَاهِدَا
عَلَى هَذَا جَمِيعًا . وَكَانَ الْهُنْدِيُّ خَازِنَ الْمَلِكِ ، وَبِيَدِهِ مِفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ . فَأَجَابَهُ
إِلَى ذَلِكَ الْكِتَابِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنَ السُّكُتِ ، فَأَكْبَّ عَلَى تَفْسِيرِهِ ، وَنَقَلَ مَنْ



برزويه مكتبة على نسخ الكتاب

اللسان الهندي إلى اللسان الفارسي . وأتعب نفسه ، وأنصب بدنه ليلاً ونهاراً . وهو مع ذلك وجِلٌّ وفَزِعٌ من ملك الهند ، خائف على نفسه من أن يذكر الملك الكتاب في وقت ، ولا يُصادفه في خِزَانَتِهِ . فلما فرغ من اتِّسَاخِ الكتاب وغيره : مما أراد من سائر الكتب ، كَتَبَ إلى أنوشِروان يُعَلِّمُهُ بذلك . فلما وَصَلَ إليه الكتاب سرَّ بذلك سروراً شديداً . ثم تَخَوَّفَ معاجلةَ المُقَادِيرِ أَنْ تُنْغَصَّ عَلَيْهِ فَرَحُهُ ، فكتب إلى بَرزويه : يأمره بتعجيل القدوم . فسار بَرزويه متوجّهاً نحو كسرى . فلما رأى الملك ما قد مَسَّهُ من الشُّحوب والتعب والنَّصَبِ قال له : أيها العبد الناصح الذي يأكل ثمرة ما قد غَرَسَ ، أبشروني عينا ، فاني مشرِّفك وبالغ بك أفضل درجة . وأمره أن يريح بدنه سبعة أيام . فلما كان اليوم الثامن أمر الملك أن يجتمع إليه الأمراء والعلماء . فلما اجتمعوا أمر بَرزويه بالحضور فحضر ومعه الكتب ، ففتحها وقرأها



برزويه بين يدي كسرى يقرأ عليه الكتاب على أهل فارس

على من حضر من أهل المملكة . فلما سمعوا ما فيها من العلم فرحوا فرحاً شديداً ، وشكروا الله على ما رزقهم ، ومدحوا برزويه وأنشأوا عليه . وأمر الملك أن تفتح لبرزويه خزان اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة . وأمره أن يأخذ من الخزائن ما شاء من مال أو كِسوة . وقال : يا برزويه إني قد أمرت أن تجلس على مثل سريري هذا ، وتلبس تاجاً ،



كسرى يلبس برزويه التاج بين انيمان ملكته

وتتأس على جميع الأشراف . فسجد برزويه للملك ودعاه ، وطلب من الله وقال : أكرم الله تعالى الملك كرامة الدنيا والآخرة ، وأحسن عني ثوابه وجزاءه . فأنى بحمد الله مستغن عن المال بما رزقني الله على يد الملك السعيد الجدد ، العظيم الملك ، فلا حاجة لي بالمسال . لكن لما كَفَّنِي الملك ذلك

وَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَسُرُّ ، أَنَا أَمْضِي إِلَى الْخَزَائِنِ ، فَأَخَذَ مِنْهَا طَلِبًا لِمَرْضَاتِهِ ،
وَامْتِثَالًا لَأَمْرِهِ . ثُمَّ قَصَدَ خِزَانَةَ الثِّيَابِ فَأَخَذَ مِنْهَا تَحْتًا^١ مِنْ طَرَائِفِ
خُرَاسَانَ مِنْ مَلَابِسِ الْمُلُوكِ . فَلَمَّا قَبِضَ بِرُزُويَه مَا اخْتَارَهُ وَرَضِيَهُ مِنَ الثِّيَابِ
قَالَ : — أَكْرَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ ، وَمَدَّ فِي عُمُرِهِ أَبَدَ الْأَبَدِ — إِنْ الْإِنْسَانُ إِذَا
أَكْرَمَ وَجِبَ عَلَيْهِ الشُّكْرُ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ اسْتَوْجَبَهُ تَعَبٌ وَمَشَقَّةٌ فَقَدْ كَانَ فِيهِمَا
رِضَاءُ الْمَلِكِ ، وَأَمَّا أَنَا فَمَا لَقِيْتَهُ مِنْ كَعْنَاءٍ وَتَعَبٍ وَمَشَقَّةٍ لَمَّا أَعْلَمَ أَنَّ لَكُمْ فِيهِ
الشَّرَفَ يَا أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ ، فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ تَابِعًا رِضَاكُمْ ، أَرَى
الْعَسِيرَ فِيهِ يَسِيرًا ، وَالشَّاقَّ هَيِّنًا ، وَالنَّصَبَ وَالْأَذَى سُرُورًا وَلَذَّةً ، لَمَّا أَعْلَمَ
أَنَّ لَكُمْ فِيهِ رِضَاءٌ وَقُرْبَةٌ عِنْدَكُمْ^٢ ، وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَاجَةً تُسَعِّفُنِي
بِهَا ، وَتُعْطِينِي فِيهَا سُؤْلِي ، فَإِنِ حَاجَتِي يَسِيرَةٌ ، وَفِي قَضَائِهَا فَائِدَةٌ كَثِيرَةٌ .
قَالَ أَنْوَشِرَوَانُ : قُلْ ، فَكُلْ حَاجَةً لَكَ قِيلْنَا مَقْضِيَّةً ، فَإِنَّكَ عِنْدَنَا عَظِيمٌ ،
وَلَوْ طَلَبْتَ مِشَارَكَتَنَا فِي مُلْكِنَا لَفَعَلْنَا ، وَلَمْ نُرَدِّ طَلِبَتِكَ ، فَكَيْفَ مَا سَوَى
ذَلِكَ ، فَقُلْ وَلَا تَحْتَشِمُ^٣ ، فَإِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا مَبْدُولَةٌ لَكَ . قَالَ بِرُزُويَه : أَيُّهَا الْمَلِكُ
لَا تَنْظُرْ إِلَى عَنَائِي فِي رِضَاكَ وَانْكَاشِي^٤ فِي طَاعَتِكَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ يَلْزَمُنِي
بَذَلُ مَهْجَتِي فِي رِضَاكَ^٥ ، وَلَوْ لَمْ تَجْزِنِي لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ عِنْدِي عَظِيمًا ، وَلَا وَاجِبًا
عَلَى الْمَلِكِ ، وَلَكِن لِكْرَمِهِ وَشَرَفِ مَنْصِبِهِ عَمَدًا إِلَى مَجَازَاتِي ، وَخَصَّتِي وَأَهْلَ

١ التخت : وعاء تصان فيه الثياب ، ويطلق أيضاً على السرير من خشب وغيره
وقد استعمل غالباً في سرير الملك وهو فارسي معرب وأصله : تختة أى خشب
٢ أصل القرية ما يتقرب به إلى الله من البر وعمل الصالحات ٣ يريد :
لا تستحي ٤ اسراعى فيها بجحد ٥ المهجة بالضم : النفس

يأتي بعلو المرتبة ورفع الدرجة ، حتى لو قدر أن يجمع لنا بين شرف الدنيا والآخرة لفعل ، فجزاه الله عنا أفضل الجزاء . قال أنوشروان : أذكرك حاجتك فعلى ما يسرك . فقال برزويه : حاجتي أن يأمر الملك — أعلاه الله تعالى — وزيره بُزُرْجَمَهْرُ بن البَحْتَكَن ، ويُقسم عليه أن يُعْمَلَ فكره ، ويجمع رأيه ويُجهد طاقته ، ويُفرغ قلبه في نظم تأليف كلام مُتَقَن مُحْكَم ، ويجعله باباً يذكر فيه أمرى ويصف حالى ، ولا يدع من المبالغة في ذلك أقصى ما يقدر عليه ، ويأمره إذا استتمه أن يجعله أول الأبواب التي تقرأ قبل باب الأسد والثور ، فإن الملك إذا فعل ذلك فقد بلغ بى وبأهلى غاية الشرف وأعلى المراتب ، وأبقى لنا ما لا يزال ذكره باقياً على الأبد ، حينما قرئ هذا الكتاب . فلما سمع كسرى أنوشروان والعظماء مقالته ، وما سمت إليه نفسه من محبة إبقاء الذكر ، واستحسنوا طلبته واختياره ، قل كسرى : حباً وكرامة لك يا برزويه ، إنك لأهل أن تسعف بحاجتك ، فما أقل ما قُيِّعَ به ، وأيسره عندنا ! وإن كان خطره عندك عظيماً . ثم أقبل أنوشروان على وزيره بُزُرْجَمَهْرَ فقال له : قد عرفت مُنَاصِحَةَ برزويه لنا ، وتَجَشُّمَهُ^٢ المخاوف والمهاالك فيما يقرّبه منّا ، وإتباعه بدنه فيما يَسُرُّنا ، وما أتى به إلينا من المعروف ، وما أفادنا الله على يد من الحكمة والأدب الباقي لنا نخره ، وما عرضنا عليه من خزائننا لتجزيه بذلك على ما كان منه ، فلم تمل نفسه إلى شئ من ذلك ، وكان بُغْيَتَهُ وطلّبتُهُ منّا أمراً يسيراً رآه هو الثواب منّا له ، والكرامة

الجليلة عنده ، فإنني أحب أن تتكلم في ذلك وتسعفه بحاجته وطلبته .
واعلم أن ذلك مما يسرني ، ولا تدع شيئاً من الاجتهاد والمبالغة إلا بقلته ،
وإن نالتك فيه مشقة : وهو أن تكتب باباً مضارعا لتلك الأبواب التي في
الكتاب ، وتذكر فيه فضل برزويه ، وكيف كان ابتداء أمره وشأنه ، وتنسبه
إليه وإلى حسبه وصناعته ، وتذكر فيه بعثته إلى بلاد الهند في حاجتنا ،
وما أقدنا على يديه من هنالك وشرّفنا به وفُضّلنا على غيرنا ، وكيف كان
حال برزويه وقدمه من بلاد الهند . فقل ما تقدر عليه من التقريظ والاطناب
في مدحه ، وبالغ في ذلك أفضل المبالغة ، واجتهد في ذلك اجتهاداً يسرّ
برزويه وأهل المملكة ، وإن برزويه أهل لذلك مني ، ومن جميع أهل المملكة
ومنك أيضاً لمحبتك للعلوم . واجتهد أن يكون غرض هذا الكتاب الذي
يُنسب إلى برزويه أفضل من أغراض تلك الأبواب عند الخاصّ والعامّ ،
وأشدّ مشاكلةً لحال هذا العلم ، فانك أسعد الناس كلّهم بذلك لانفرادك
بهذا الكتاب . واجعله أول الأبواب . فاذا أنت عملته ووضّعته في موضعه
فأعطني لأجمع أهل المملكة وتقرأ عليهم ، فيظهر فضلك واجتهادك في محبّتنا
فيكون لك بذلك نحر . فلما سمع بُرزجهر مقالة الملك خرّ له ساجداً ، وقال :
— أدام الله لك أيها الملك البقاء وبلغك أفضل منازل الصالحين في الآخرة
والأولى — لقد شرّفتني بذلك شرفاً باقياً إلى الأبد . ثم خرج برزجهر من
عند الملك ، فوصف برزويه من أول يوم دفعه أبواه إلى العلم ومُضِيّة إلى

بلاد الهند في طلب العقاقير^١ والأدوية ، وكيف تعلم خطوطهم ولغتهم إلى أن بعثه أنوشروان إلى الهند في طلب الكتاب ، ولم يدع من فضائل برزويه وحكمته وخلايقه ومذهبه أمراً إلا نسقه وأتى به بأجود ما يكون من الشرح . ثم أعلم الملك بفرأغه منه . فجمع أنوشروان أشرف قومه وأهل مملكته ، وأدخلهم إليه ، وأمر برزجهر بقراءة الكتاب ، وبرزويه قائم إلى جانب برزجهر . وابتدأ بوصف برزويه حتي انتهى إلى آخره . ففرح الملك بما أتى برزجهر من الحكمة والعلم ، ثم أننى الملك وجميع من حضره على برزجهر ، وشكروه ومدحوه ، وأمر له الملك بمال جزيل وكسوة وحلى وأوان ، فلم يقبل من ذلك شيئاً غير كسوة كانت من ثياب الملوك ، ثم شكر له ذلك برزويه ، وقبل رأسه ويده . وأقبل برزويه على الملك . وقال : — أدام الله لك الملك والسعادة — فقد بلغت بى وبأهلى غاية الشرف بما أمرت به برزجهر من صنعة الكتاب^٢ في أمرى وإبقاء ذكرى

باب عرض الكتاب ، ترجمة عبد الله بن المقفع

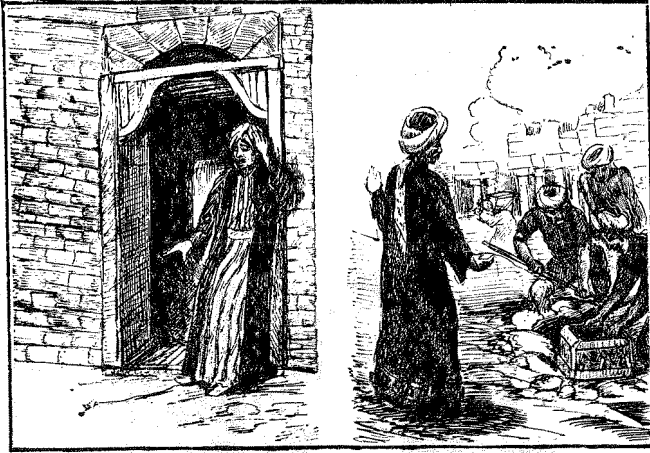
هذا كتاب كليل ودمنة : وهو مما وضعته علماء الهند من الأمثال والأحاديث التي ألهموا أن يدخلوها فيها أبلغ ما وجدوا من القول في النحو الذى أرادوا . ولم تزل العلماء من أهل كل ملة يلتسمون أن يعقل عنهم ،

١ العقاقير : هى الأدوية أو أصولها واحدا عقار بالتشديد ومنه يقال (حديد جيد العقاقير أى كريم الطبع) ٢ يريد الكتابة وهى وما نشر مصدر لكتب

ويحتالون في ذلك بصنوف الحيل ، ويتتغون إخراج ما عندهم من العِلل ،
 حتي كان من تلك العِلل وضع هذا الكتاب على أفواه البهائم والطيور ،
 فاجتمع لهم بذلك خِلال . أمّا هم فوجدوا مُنصرَفًا في القول ، وشِعَابًا
 يأخذون منها . وأما الكتاب فجمع حكمة ولهُوًا ، فاخترام الحكماء لحكمته ،
 والسفهاء للهو ، والمتعلّم من الأحداث ناشط في حفظ ما صار إليه من أمر
 يُربط في صدره ولا يدرى ما هو ، بل عرف أنه قد ظفّر من ذلك بمكتوب
 مرقوم ، وكان كالرجل الذي لما استكمل الرجولية وجد أبويه قد كنّزا له
 كنوزًا ، وعقدا له عقودًا ، استغنى بها عن الكدح فيما يعملّه من أمر
 معيشته ، فأغناه ما أشرف عليه من الحكمة عن الحاجة إلى غيرها من
 وجوه الأدب

وينبغي لمن قرأ هذا الكتاب أن يعرف الوجوه التي وُضعت له ،
 وإلى أي غاية جرى مؤلفه فيه عند ما نسبه إلى البهائم ، وأضافه^٢ إلى غير
 مفصح ، وغير ذلك من الأوضاع التي جعلها أمثالا . فان قارّنه متى لم يفعل
 ذلك لم يدر ما أريد بتلك المعاني ، ولا أي ثمرة يجتني منها ، ولا أي نتيجة
 تحصل له من مقدّمات ما تضمّنه هذا الكتاب . وإنه وإن كان غاية
 استتمام قراءته إلى آخره دون معرفة ما يقرأ منه ، لم يعد عليه شيء يرجع
 إليه نفعه . ومن استكثر من جمع العلوم وقراءة الكتب من غير أعمال
 الرويّة فيما يقرؤه كان خليقًا ألا يصيبه إلا ما أصاب الرجل الذي زعمت العلماء

أنه اجتاز بعض المفاز، فظهر له موضع آثار كنز، فجعل يحفر ويطلب،
فوقع على شيء من عين وورق^١. فقال في نفسه : إن أنا أخذت في نقل
هذا المال قليلاً قليلاً طال عليّ، وقطعتني الاشتغال بنقله وإحرازه عن
اللذة بما أصبت منه . ولكن سأستأجر أقواماً يحملونه إلى منزلي ، وأكون
أنا آخرهم ، ولا يكون قد بقي ورائي شيء يشغل فكري بنقله ، وأكون قد
استظهرت^٢ لنفسي في إراحة بدني عن الكد يسير أجره أعطيهم إياها .



الرجل يمد يده إلى ما في الجحر

الطاع يأمر الخاملين بحمل ما في الجحر

ثم جاء بالحمالين ، فجعل يحمل كل واحد منهم ما يطيق ، فينطلق به إلى
منزله ، فيفوز به . حتى إذا لم يبق من الكنز شيء انطلق خلفهم إلى منزله
فلم يجد فيه من المال شيئاً لا قليلاً ولا كثيراً ، وإذا كل واحد من الحمالين

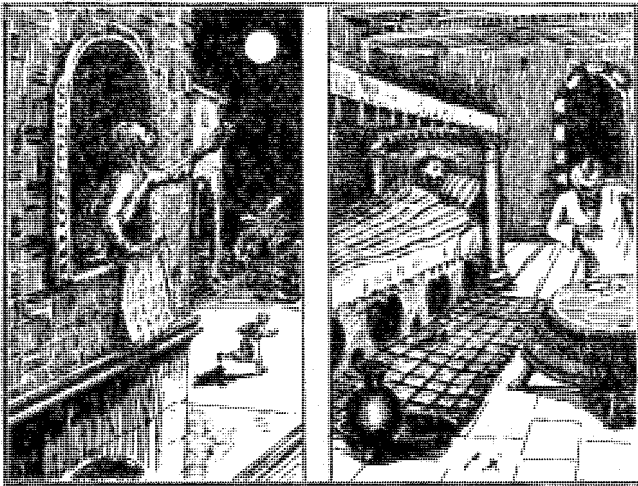
١ العين : الذهب ، والورق بوزن كتف وتمر وحمل : الدراهم المضروبة وقد يحرك
فيكون على وزن قر ٢ يريد استعنت

قد فاز بما حمله لنفسه ، ولم يكن له من ذلك إلا العناء والتعب ، لأنه لم يفكر في آخر أمره . وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيه ولم يعلم غرضه ظاهراً وباطناً لم ينتفع بما بدا له من خبائه ونقشه . كما لو أن رجلاً قدّم له جوز صحيح لم ينتفع به إلا أن يكسره . وكان أيضاً كالرجل الذي طلب علم الفصيح من كلام الناس ، فأتى صديقاً له من العلماء له علم بالفصاحة ، فأعلمه حاجته إلى علم الفصيح ، فرسم له صديقه في صحيفة صفراء فصيح الكلام وتصاريفه ووجوهه . فانصرف المتعلم إلى منزله ، فجعل يكثر قراءتها ولا يقف على معانيها . ثم إنه جلس ذات يوم في محفل من أهل العلم والأدب ، فأخذ في محاورتهم ، فجرت له كلمة أخطأ فيها ، فقال له بعض الجماعة : إنك قد أخطأت ، والوجه غير ما تكلمت به . فقال : كيف أخطئ



الرجل الجاهل بعجب من تخطئته بعد أن حفظ الصحيفة الصفراء

وقد قرأت الصحيفة الصفراء ؟ ! وهى فى منزلى . فكانت مقالته لم أوجب للحجة عليه ، وزاده ذلك قرباً من الجهل ، وبعداً من الأدب .
ثم إن العاقل إذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهاية علمه فيه ينبغى له أن يعمل بما علم منه ، لينتفع به ، ويجعله مثلاً لا يحيد عنه . فإذا لم يفعل ذلك كان مثله كالرجل الذى زعموا أن سارقاً تسوّر عليه وهو نائم فى منزله . فعلم به . فقال : والله لأسكتن حتى أنظر ماذا يصنع ، ولا أدعره ، ولا أعلمه أنى قد علمت به ، فإذا بلغ مراده قمت إليه ، ففحصت ذلك عليه . ثم إنه أمسك عنه ، وجعل السارق يتردد وطال تردده فى جمعه ما يجده . فغلب الرجل الثعاسُ فنام . وفرغ اللصّ مما أراد ، وأمكنه الذهاب .



الرجل يدعو (بعد غفوة) ليجوز اليقظ من غايته

الرجل شاعر باليقظ فيتميز نتيجة ففعل

واستيقظ الرجل فوجد اللصّ قد أخذ المتاع وفاز به . فأقبل على نفسه يلومها

وعرف أنه لم ينتفع بعلمه باللص ، إذ لم يستعمل في أمره ما يجب . فالعلم لا يتم إلا بالعمل . فهو كالشجرة ، والعمل به كالثمرة . وإنما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع به ، وإن لم يستعمل ما يعلم لا يسمى عالماً . ولو أن رجلاً كان عالماً بطريق مخوف ، ثم سلكه على علم به تسمى جاهلاً . ولعله إن حاسب نفسه وجدها قد ركب أهواء^١ هجمت بها فيما هو أعرف بضررها فيه وأذاها من ذلك السالك في الطريق المخوف الذي قد جهله . ومن ركب هواه ورفض ما ينبغي أن يعمل بما جرب به هو ، أو أعلمه به غيره كان كالمرضى العالم بردى الطعام والشراب وجيده وخفيفه وثقله ، ثم يحمله الشر^٢ على أكل رديئه وترك ما هو أقرب إلى النجاة والتخلص من علة . وأقل الناس عذراً في اجتناب محمود الأفعال وارتكاب مذمومها من أبصر ذلك وميزه ، وعرف فضل بعضه على بعض . كما أنه لو أن رجلين أحدهما بصير ، والآخر أعمى ، ساقهما الأجل إلى حفرة فوقعا فيها كانا إذا صارا في قاعها بمنزلة واحدة ، غير أن البصير أقل عذراً عند الناس من الضير ، إذ كانت له عينان يُبصر بهما ، وذاك بما صار إليه جاهل غير عارف

وعلى العالم أن يبدأ بنفسه ويؤدبها بعلمه ، ولا تكون غايته اقتناؤه العلم لمعاونة غيره ونفعه به وحرمان نفسه منه . ويكون كالعين التي يشرب الناس ماءها ، وليس لها في ذلك شيء^٤ من المنفعة . وكدودة القز التي تحكيم صنعة ولا تنتفع به^٣ .

١ الأهواء جمع هوى وهو ميل النفس الى ما تستلذه من الشهوات ، ويريد : وجدها قد زاعت عن الطريقة المثلى ٢ الشره : شدة الحرص في الاكل والشرب وغيرها ٣ دودة القز ويقال لها الدودة الهندية . قالوا انها تكون أولاً بزرراً كحب

فينبغي لمن طلب العلم أن يبدأ بعظة نفسه . ثم عليه بعد ذلك أن يقبسه^١ ، فان خلا لا ينبغي لصاحب الدنيا أن يقتنيها ويقبسها : منها العلم والمال ، ومنها اتخاذ المعروف . وليس للعالم أن يعيب امرأ بشيء فيه مثله ، ويكون كالأعمى الذى يُعير الأعمى عماء . وينبغي لمن طلب أمراً أن يكون له فيه غاية ونهاية يعمل بها ، ويقف عندها ، ولا يتأدى في الطلب ، فانه يقال : من سار إلى غير غاية يُوشك أن تنقطع به مطيئته ، وأنه كان حقيقاً ألا يُعنى نفسه في طلب ما لا حد له ، وما لم يتله أحد قبله ، ولا يتأسف عليه ، ولا يكون لدنيا مؤثراً على آخرته ، فان من لم يُعلق قلبه بالغايات قلّت حسرته عند مفارقتها . وقد يقال في أمرين إنهما يجملان بكل أحد : أحدهما النّسك^٢ ، والآخر المال الحلال . ولا يليق بالعاقل أن يُؤنب نفسه على ما فاتته وليس في مقدوره ، فربما أتاح الله له ما يهناً به ولم يكن في حسبانته : ومن أمثال هذا أن رجلاً كان به فاقة وجوع وعُرى ، فألجأه ذلك إلى أن سأل أقاربه وأصدقاءه ، فلم يكن عند أحد منهم فضلٌ يعود به عليه . فبينما هو ذات ليلة

التين يخرج من الدود عند فصل الربيع أصفر من الذر وفي لونه ثم يجعل في حق ويوضع في الأماكن الدفئة حتى اذا ما خرج أطعم ورق التوت ولا يزال يكبر حتى يصير قدر الاصبع وينتقل من السواد الى البياض في ستين يوماً على الأكثر ثم يأخذ في النسج على نفسه بما يخرج من فيه حتى ينقد ما في جوفه منه ويكمل عليه ما يبينه الى أن يصير في قدر الجوزة ويصير محبوساً نحو عشرة أيام فان أريد الانتفاع بحريره ترك في الشمس يوماً أو بعض يوم حتى يموت ثم أخذ الحرير . وأما ان أريد البذر حفظ من حرارة الشمس بعد النسج فينقب ويخرج من اللقافة فراش ذو أجنحة ثم تبرز الانثى البذر المذكور من قبل

١ أتقبسه العلم وقبسه اياه مكسور العين في المضارع : أعلمه اياه

٢ النسك مثله وبضمتين : العبادة

في منزله إذ بَصُرَ سارق فيه . فقال : والله ما في منزلي شيء أخاف عليه ،
فليجِدِ السارق جهنمه . فبينما السارق يجول إذ وقعت يده على خابية فيها
حنطة . فقال السارق : والله ما أحب أن يكون غنائى الليلة باطلاً ، ولعلى
لا أصل إلى موضع آخر ، ولكن سأحمل هذه الحنطة . ثم بسط قيصه ليصب
عليه الحنطة . فقال الرجل : أذهب هذا بالحنطة ؟ وليس ورأى سواها ،
فيجتمع على مع العُرى ذهاب ما كنت أقتات به ، وما تجتمع والله هاتان
الخلعتان على أحد إلا أهملكتا . ثم صاح بالسارق وأخذ هراوة كانت



الفقير يمدد سرور بثوب اللص

الفقير يمدد بصن اللص

عند رأسه ، فلم يكن للسارق حيلة إلا الهرب منه ، وترك قيصه ونجا بنفسه ،
وغدا الرجل به كاسياً^٢ . وليس ينبغي أن يركن إلى مثل هذا ويدع ما يجب

٢ الكاسى المكتسى ضد العريان

١ الهراوة بالكسر : العصا أو الضخمة

وهو من نوادر اللغة

عليه من الحذر والعمل في مثل هذا لصلاح معاشه ، ولا ينظر إلى من
توَاتِيهِ المقادير وتُساعدُه على غير التماس منه ، لأن أولئك في الناس قليل .
والجمهور منهم من أتعِبَ نفسه في الكَدِّ والسعي فيما يُصلح أمره ، وينال به
ما أراد . وينبغي أن يكون حرصه على ما طاب كسبه وحسن نفعه . ولا
يتعرَّض لما يجلب عليه العناء والشقاء ، فيكون كالحمامة التي تُفْرِخُ الفِراخَ
فتؤْخِذُ وتُذْجِجُ ، ثم لا يمنعها ذلك أن تعود فتفُرخُ موضعها ، وتقيم بمكانها ،
فتؤْخِذُ الثانية من فراخها فتُذْجِجُ . وقد يقال : إن الله تعالى قد جعل لكل
شيء حداً يوقف عليه . ومن تجاوز في الأشياء حدَّها أوشك أن يلحقه
التقصير عن بلوغها . ويقال : من كان سعيه لآخرته ودنياه فحياته له وعليه .
ويقال : في ثلاثة أشياء يجب على صاحب الدنيا إصلاحها وبذل جهده فيها :
منها أمر معيشتِه . ومنها ما بينه وبين الناس . ومنها ما يُكسبه الذكرا الجميل
بعده . وقد قيل في أمور من كنَّ فيه لم يستقم له عمل : منها التواني . ومنها
تضييع الفُرص . ومنها التصديق لكل مُخبر . فربَّ مُخبر بشيء عَقَلَه ولا
يعرف استقامته في صدقه . وينبغي للعاقل أن يكون لهواه متبهماً ، ولا يقبل
من كل أحد حديثاً ، ولا يتبادى في الخطأ إذا ظهر له خطؤه ، ولا يُقدم على
أمر حتى يتبين له الصواب ، وتنتضح له الحقيقة ، ولا يكون كالرجل الذي
يحميد عن الطريق فيستمر على الضلال ، فلا يزداد في السير إلا جُهداً ،
وعن القصد إلا بُعداً . والرجل الذي تقدى عينه فلا يزال يحكمها ، وربما
كان ذلك الخلل سبباً لذهابها . ويجب على العاقل أن يُصدّق بالقضاء

والتدَرُّ ، ويأخذ بالحزم ، ويحبُّ للناس ما يحبُّ لنفسه ، ولا يلتبس صلاح نفسه بفساد غيره ، فانه من فعل ذلك كان خليقاً أن يُصيبه ما أصاب التاجر من رفيقه فانه يقال : إنه كان رجل تاجر ، وكان له شريك ، فاستأجرا حانوتا ، وجعلا متاعهما فيه ، وكان أحدهما قريب المنزل من الحانوت ، فأضمر في نفسه أن يسرق عدلا من أعدال رفيقه^١ ، ومكر الحيلة في ذلك^٢ . وقال : إن أتيت ليلاً لم آمن أن أحمل عدلا من أعدالي ، أو رزمة من رزمي^٣ ولا أعرفها ، فيذهب عنائي وتعي باطلا ، فأخذ رداءه وألقاه على العِدْل الذي أضمر أخذه . ثم انصرف إلى منزله . وجاء رفيقه بعد ذلك ليُصلح أعداله ، فوجد رداء شريكه على بعض أعداله . فقال : والله هذا رداء صاحبي ، ولا أحسبه إلا قد نسيه ، وما الرأي أن أدعه هاهنا ، ولكن أجعله على رزمه فلعله يسبقني إلى الحانوت فيجده حيث يحب . ثم أخذ الرداء فألقاه على عِدْل من أعدال رفيقه ، وأقفل الحانوت ، ومضى إلى منزله . فلما جاء الليل أتى رفيقه ومعه رجل قد واطأه على ما عزم عليه ، وضمن له جُعلاً على حملة^٤ فصار إلى الحانوت فالتبس الازار في الظلمة ، فوجده على العِدْل ، فاحتمل ذلك العِدْل وأخرجه هو والرجل ، وجعلا يتراوحان على حملة^٥ ، حتي أتى منزله

١ العِدْل بالكسر : الفرارة أى الجوالق والجمع عدول وأعدال ٢ لعل مكر هنا ضمنت معنى أضمر ٣ الرزمة بالكسر : ما جمع في ثوب واحد وقيل قدر ثك الفرارة أو ربعا من تمر ودقيق . ومن هنا يعرف ان صاحب المكر السوء اذا أقدم عليه كان له من نفسه شعور بأن النتيجة ربما عادت عليه بالوبال ٤ الجعل بالضم ومثله الجميلة : الأجر الذى يأخذه الانسان على العمل ٥ يتراوحان أى يحمله هذا مرة وذاك أخرى

ورمى نفسه تعباً . فلما أصبح افتقده^١ ، فإذا هو بعض أعداله ، فنَدِمَ أشدَّ الندامة^٢ . ثم انطلق نحو الخانوت فوجد شريكه قد سبقه إليه ، ففتح الخانوت ووجد العِدْلَ مفقوداً ، فاغتمَّ لذلك غمّاً شديداً ، وقال : واسوأناه من رفيق صالح قد ائتمننى على ماله وخلفنى فيه . ماذا يكون حالى عنده ؟ ولست أشكَّ في تهمة إياى . ولكن قد وطئت نفسى على غرامته . ثم أتى صاحبه فوجده مغتماً . فسأله عن حاله . فقال : إني قد افتقدت الأعدال ، وفقدت عدلا من أعدالك ، ولا أعلم بسببه ، وإني لا أشكَّ في تهمة إياى . وإني قد وطئت نفسى على غرامته . فقال له : يا أخى لا تقمَّ ، فإن الخيانة شرٌّ ما عمله الانسان ، والمكر والخديعة لا يؤدبان إلى خير ، وصاحبهما مغرور أبداً ، وما عاد وبال البغى إلا على صاحبه . وأنا أحد من مكر وخدع واحتمل . فقال له صاحبه : وكيف كان ذلك ؟ فأخبره بخبره ، وقصَّ عليه قصته . فقال له رفيقه : ما مثلك إلا مثل اللص والتاجر . فقال له : وكيف كان ذلك ؟ !

قال : زعموا أن تاجراً كان له في منزله خايتان إحداهما مملوءة حنطة والأخرى مملوءة ذهباً ، فترقبه بعض اللصوص زماناً . حتى إذا كان بعض الأيام تشاغل التاجر عن المنزل ، فتغفله اللص ، ودخل المنزل ، وكمن في بعض نواحيه . فلما همَّ بأخذ الخاوية التي فيها الدنانير^٣ أخذ التي فيها الحنطة ، وظنها التي فيها الذهب . ولم يزل في كدّ وتعب ، حتى أتى بهامنزله

١ أصبح دخل في الصباح وفاعلها هو ٢ كذلك عاقبة الذين أساءوا النية
٣ الخاوية : الحب وأصلها الهمز لأنها من خبأت

فلما فَتَحَهَا وَعَلِمَ مَا فِيهَا نَدِمَ . قَالَ لَهُ الْخَائِنُ : مَا أَبَدْتَ الْمَثَلَ ، وَلَا تَجَاوَزْتَ الْقِيَاسَ . وَقَدْ اعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي وَخَطِيئِي عَلَيْكَ ، وَعَزِيزٌ عَلَيَّ أَنْ يَكُونَ هَذَا هَكَذَا . غَيْرَ أَنَّ النَّفْسَ الرَّدِيئَةَ تَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ . فَقَبِلَ الرَّجُلُ مَعذِرَتَهُ ، وَأَضْرَبَ عَنْ تَوْبِيخِهِ وَعَنِ الثَّقَةِ بِهِ ، وَنَدِمَ هُوَ عِنْدَ مَا عَيْنَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ وَتَقْدِيمِ جَهْلِهِ

وقد ينبغي للنَّازِلِ فِي كِتَابِنَا هَذَا أَلَّا تَكُونَ غَايَتُهُ التَّصَفُّحُ لِتَزَاوِيْقِهِ . بَلْ يُشْرَفُ عَلَى مَا يَتَضَمَّنُ مِنَ الْأَمْثَالِ ، حَتَّى يَنْتَهِيَ مِنْهُ ، وَيَقِفَ عِنْدَ كُلِّ مَثَلٍ وَكَلِمَةٍ ، وَيُعْمَلُ فِيهَا رَوِيَّتُهُ ، وَيَكُونُ مِثْلُ أَصْغَرِ الْإِخْوَةِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَّفَ لَهُمْ أَبُوهُمُ الْمَالُ الْكَثِيرَ فَنَازَعُوهُ بَيْنَهُمْ : فَأَمَّا الْكَبِيرَانِ فَانْهَمَا أَسْرَعَا فِي إِتْلَافِهِ وَإِنْفَاقِهِ فِي غَيْرِ وَجْهِهِ . وَأَمَّا الصَّغِيرُ فَانْه عِنْدَ مَا نَظَرَ مَا صَارَ إِلَيْهِ أَخَوَاهُ مِنْ إِسْرَافِهِمَا وَتَحْلِيمِهِمَا مِنَ الْمَالِ أَقْبَلَ عَلَى نَفْسِهِ يُشَابِرُهَا . وَقَالَ : يَا نَفْسِي ، إِنَّمَا الْمَالُ يَطْلُبُهُ صَاحِبُهُ وَيَجْمَعُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، لِبَقَاءِ حَالِهِ وَصَلَاحِ مَعَاشِهِ وَدُنْيَاةِ وَشَرَفِ مَنَزَلَتِهِ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ ، وَاسْتِغْنَائِهِ عَمَّا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَصَرْفِهِ فِي وَجْهِهِ مِنْ صَلَاةِ الرَّحِمِ ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَى الْوَلَدِ ، وَالْإِفْضَالِ عَلَى الْإِخْوَانِ ، فَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَا يَنْفَقُهُ فِي حَقْوَقِهِ كَانَ كَالَّذِي يُعَدُّ فَقِيرًا وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا ، وَإِنْ هُوَ أَحْسَنُ إِسْكَانٍ وَالْقِيَامُ عَلَيْهِ لَمْ يَعْدَمِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا : مِنْ دُنْيَا تَبْقَى عَلَيْهِ ، وَحَمْدٌ يُضَافُ إِلَيْهِ . وَمَتَى قَصَدَ إِنفَاقَهُ عَلَى غَيْرِ الْوُجُوهِ الَّتِي عَلِمَتْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُتْلَفَ وَيَبْقَى عَلَى حَسْرَةٍ وَندامة . وَلَكِنْ

١ يقال أُشْرِفَ عَلَيْهِ : أَطْلَ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ عَلٍ . وَلَمَّا كَانَ الْمَطْلُ عَلَى الشَّيْءِ يَكُونُ مُتَحَقِّقًا مِنْهُ اسْتَعْمَلَتْ هُنَا يُشْرَفُ بِمَعْنَى يُحَقِّقُ وَيَدْتَقِ

الرأى أن أمسك هذا المال ، فاني أرجو أن يَنْفَعَنِي اللهُ به ، ويُعْزِي أَخُوِّي
على يَدَيَّ ، فانما هو مال أبي ومال أبيهما ، وإن أولى الإِنْفَاقِ على صِلَةِ
الرَّحِمِ وإن بَعُدَتْ ، فكيف بأخوِّي؟! فَأَنْفَذَ فَأَحْضَرَهَا ، وشاطرهما ماله .
وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب أن يُدِيمَ النَظَرَ فِيهِ من غير
ضَجَرٍ ، ويلتمس جواهر معانيه ، ولا يظن أن تليجته الاخبار عن حيلة
بهيمنتين ، أو محاوراة سَبْعِ لُثُورٍ ، فينصرف بذلك عن الغرض المقصود .
ويكون مثله مثل الصيَّاد الذي كان في بعض الخُلُجَّانِ يَصِيدُ فِيهِ السَّمَكِ
في زَوْرَقٍ ٢ ، فرأى ذات يوم في أرض الماء صَدَقَةً تَتَلَأَلُ حَسَنًا ، فتَوَهَّمَهَا
جوهراً له قيمة ، وكان قد ألقى شبكته في البحر ، فاشتملت على سمكة
كانت قوت يومه ، فخلَّاهَا ٣ وقَدَفَ نفسه في الماء ليأخذ الصَّدَقَةَ ٤ .



(١) الصائد يشرح بالصدقة (٢) الصائد يترصد على السمك في شاطئ

فلما أخرجها وجدها فارغة لا شيء فيها مما ظن ، فندم على ترك ما في يده

- ١ أمسك الشيء : حبسه والمراد وقفه على نفسه ٢ سفينة صغيرة
٣ تركها ٤ الصدقة : واحدة الصدف وهو غشاء الدر

للطمع ، وتأسف على ما فاته . فلما كان اليوم الثاني تنحى عن ذلك المكان وألقى شبكته ، فأصابت حوتا صغيراً ، ورأى أيضاً صدفة سنية فلم يلتفت إليها ، وساء ظنه بها ، فتركها . فاجتاز بها بعض الصيادين فأخذها ، فوجد فيها درة تساوى أموالاً . وكذلك الجهال إذا أغفلوا أمر التفكير في هذا الكتاب وتركوا الوقوف على أسرار معانيه ، وأخذوا بظواهره . ومن صرف همهته إلى النظر في أبواب الهزل كان كرجل أصاب أرضاً طينية حرة وحباً صحيحاً ، فزرعها وسقاها ، حتى إذا قرب خيرها وأينعت تشاغل عنها بجمع ما فيها من الزهر وقطع الشوك ، فأهلك بتشاغله ما كان أحسن فائدة ، وأجمل عائدة وينبغي للناظر في هذا الكتاب أن يعلم أنه ينقسم إلى أربعة أغراض أحدها ما قصد فيه إلى وضعه على السنة البهائم غير الناطقة ، ليسارع إلى قراءته أهل الهزل من الشبان ، قسّمال به قلوبهم ، لأنه هو الغرض بالنوادير من حيل الحيوانات

والثاني إظهار خيالات الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان ، ليكون أنساً لقلوب الملوك ، ويكون حرصهم عليه أشد للترهة في تلك الصور والثالث أن يكون على هذه الصفة ، فيتخذ الملوك والسوقة ، فيكثر بذلك انتساخه ، ولا يبطل ، فيخلق على مرور الأيام ، ولينتفع بذلك المصور والناسخ أبداً

والغرض الرابع وهو الأقصى . وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصة .
(انتهى باب عرض الكتاب)

باب برزويه ، ترجمة بزرجمهر بن البختگان^١

قال برزويه رأس أطباء فارس وهو الذي تولى اتساخ هذا الكتاب وترجمه من كتب الهند « وقد مضى ذكر ذلك من قبل » : إن أبي كان من المقاتلة ، وكانت أمي من عطاء بيوت الزمزمة^٢ ، وكان منشئ في نعمة كاملة ، وكنت أكرم ولد أبوي عليهما ، وكنا بي أشد احتفاظاً من دون إخوتي . حتى إذا بلغت سبع سنين أسلماني إلى المؤدب ، فلما حذقت في الكتابة شكرت أبوي ، ونظرت في العلم ، فكان أول ما ابتدأت به وحرصت عليه علم الطب ، لأنني كنت عرفت فضله . وكلما سددت منه علماً ازدادت فيه حرصاً وله اتباعاً . فلما كملت نفسي بمداواة المرضى ، وعزمت على ذلك أمرتها ، ثم خيبتها بين الأمور الأربعة التي يطلبها الناس وفيها يرغبون ، ولها يسعون ، فقلت : أي هذه الخلال أبتغي في عملي ؟

١ أما برزويه فهذا الباب جميعه في تاريخ حياته . وأما بزرجمهر فهو — كما قالوا — وزير كسرى أنوشروان العادل كان عاقلاً سديد الرأي ظهرت عليه سيما العقل وحصافة الرأي فاستوزره كسرى لذلك وجعل له المقام الاول حتى أصبح لا يبت في أمر الا استشاره فيه ، وبزرجمهر هذا تروى أقاويل كثيرة تنبئ عن قوة فهمه وسمو ادراكه ٢ المقاتلة والزمزمة طائفتان من الجوس وتنسب الاخيرة الى الزمزمة وهو الكتاب الذي زعم زرادشت انه أوحى اليه به . وأقسام هذا الكتاب ثلاثة : قسم في أخبار الامم الماضية وقسم في حثان المستقبل وقسم في نواذيسهم وشرائعهم مثل أن المشرق قبلة وان الصلوات في الطلوع والازوال والغروب وانها ذات سجدة ودعوات . وجدد لهم زرادشت بيوت النيران التي كان منوشهر أخمدها ورتب لهم عيدين : النيزوز في الاعتدال الربيعي والمهرجان في الاعتدال الخريفي

وأيتها أخرى بي ؟ فأدرك منها حاجتي (ألمان ؟ أم الذكر ؟ أم اللذات ؟ أم الآخرة ؟) وكنت وجدت في كتب الطب أن أفضل الأطباء من واطب على طِبِّه ، لا يبتغى إلا الآخرة فرأيت أن أطلب الاشتغال بالطب ابتغاء الآخرة ، لئلا أكون كالتاجر الذي باع ياقوتة ثمينة بخزرة لا تساوى شيئاً . مع أنى قد وجدت في كتب الأولين أن الطبيب الذي يبتغى بطبه أجر الآخرة لا يتقصه ذلك حظّه من الدنيا . وأن مثله مثل الزارع الذي يعمر أرضه ابتغاء الزرع ، لا ابتغاء العُشب^١ ، ثم هي لا محالة^٢ نابت فيها ألوان العُشب ، مع يانع الزرع^٣ . فأقبلت على مداواة المرضى ابتغاء أجر الآخرة . فلم أدع مريضاً أرجوه له البرء ، وآخر لا أرجوه له ذلك إلا أنى أطمع أن يخف عنه بعض المرض ، إلا^٤ بالفت في مداواته ما أمكننى القيام عليه بنفسى ، ومن لم أقدر على القيام عليه وصفت له ما يصلح ، وأعطيته من الدواء ما يتعالج به ، ولم أرد من فعلت معه ذلك جزاء ولا مكافأة ، ولم أغبط^٥ أحداً من نظرائى الذين هم دونى فى العلم ، وفوق فى الجاه والمال وغيرهما ، مما لا يعود بصلاح ولا حُسن سيرة قولاً ولا عملاً . ولما تالقت

١ العُشب : الكلاً الرطب فى أول الربيع قالوا ولا يقال له حشيش حتى يهيج ويدخل فيه أحرار البقول وذكرورها ٢ لا محالة : كلمة توضع موضع لا بد ولا حيلة وهى مفعلة من الحول والقوة ٣ يريد الزرع الناضج ٤ الا هنا والسابقة بمعنى الواو وهى عاطفة وليس لها معنى للاستثناء ٥ يقال غبط فلاناً بما ناله غبطاً بالفتح وغبطة بالكسر وفعله كضرب وعلم : تمنى مثل حاله من غير أن يريد زوالها عنه لما أعجبه منه وعظم عنده وهذا جائز وليس بمحسد . فان تمنيت زوال ما عنده فهو الحسد ، وهناك فرق آخر فى الاستعمال وهو أن غبط تتعدى الى الثانى بالباء ، وأما حسد فتعدى اليه بلى

نفسى إلى غشيانهم^١، وتمت منازلهم، أثبت لها الخسومة. ققلت لها: يا نفس^٢ أما تعرفين^٣ نفك من ضرك! ألا تتهمين عن تمنى ما لا يناله أحد إلا قل انتفاعه به! وكثر عناؤه فيه، واشتدت المؤونة عليه، وعظمت المشقة لديه بعد فراقه. يا نفس^٤ أما تذكرين ما بعد هذا الدار! فينسيك ما تشرهين إليه منها، ألا تستحيين من مشاركة الفجار في حب هذه العاجلة الفانية التي من كان في يده شيء منها فليس له، وليس بباقي عليه، فلا يألفها إلا المغتررون الجاهلون: يا نفس انظري في أمرك، وانصرفي عن هذا السفه، وأقبلى بقوتك وسعيك على تقديم الخير، وإياك والشر^٥. واذكري أن هذا الجسد موجود لا فأت، وأنه مملوء أخلاطا فاسدة قدرة، تعتقدها الحياة، والحياة إلى فساد، كالصنم^٦ المفصلة أعضاؤه، إذا رُكبت ووضعت يجمعها مسار واحد ويضم بعضها إلى بعض، فإذا أخذ ذلك المسار تساقطت الأوصال. يا نفس لا تغترى بصحبة أجبائك وأصحابك ولا تحرصى على ذلك كل الحرص، فإن صحبتهم على^٧ ما فيها من السرور

١ غشيم: نزل عليهم وحل دارهم ٢ نفس منادى مضاف الى ياء المتكلم ثم حذفت الياء وكسر ما قبلها دليلا عليها أو قلبت ألفا وحذفت وفتح ما قبلها دليلا على الألف المحذوفة ٣ أما هنا حرف عرض (وهو الطلب برفق ولين) بمعنى لولا وهى بهذا المعنى خاصة بالفعل، وقيل الهمزة للاستفهام وما نافية ٤ لم تحذف الياء حيثئذ يجوز سكونها وتحريكها بالفتح وهذان النوعان وما تقدمهما أربعة يزداد عليها اثبات الياء بعد قلبها ألفا فيكون المجموع خمسة أوجه يجوز فى كل منادى أضيف الى ياء المتكلم ٥ اياك: محذر، والشر محذومنه. وفي اعراب مثل هذا التركيب أقوال أسهلها انهما معمولان لعاملين واجب حذفهما وتقدير الجملة (اياك باعدوا حذر الشر) ٦ الصنم تمثال على هيئة انسان أو حيوان ٧ على هنا بمعنى مع

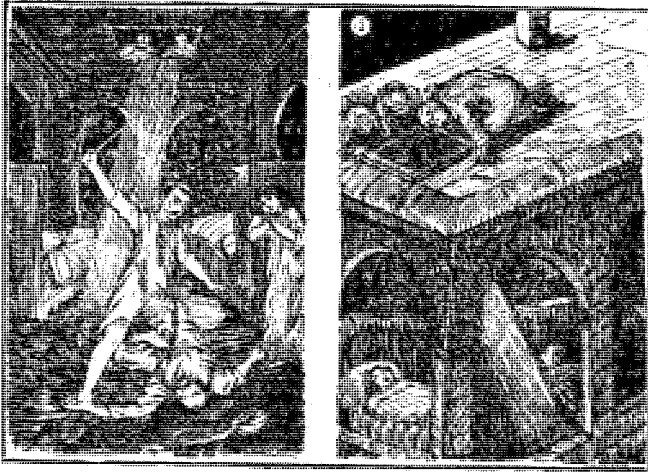
كثيرة المؤونة ، وعاقبة ذلك الفراق . ومثلها مثل المغرفة التي تستعمل في
حِدَّتْهَا^١ لسخونة المرق ، فإذا انكسرت صارت وقُوداً : يا نفس لا يَحْمِلَنَّكَ
أهلك وأقاربك على جمع ما تهلكين فيه إرادة صلتهم ، فإذا أنت^٢
كالدُّخْنَةِ الأَرْجَةِ^٣ التي تحترق ويذهب آخرون بريحتها . يا نفس لا يبعُد
عليك أمر الآخرة ، فتميل إلى العاجلة في استعجال القليل ، وبيع الكثير
باليسير ، كالتاجر الذي كان له ملء بيت من الصندل^٤ ، فقال : إن بعته وزنا
طال عليّ ، فباعه جزافاً^٥ بأبخس الثمن . وقد وجدت آراء الناس مختلفة ،
وأهواءهم متباينة ، وكلُّ شئ على كلِّ رادٍّ ، وله عدوٌّ ومقتاب ، ولقوله مخالف .
فلما رأيت ذلك لم أجِدْ إلى متابعة أحد منهم سبيلاً ، وعرفت أني إن
صدقت أحداً منهم لا علم لي بحاله كنت في ذلك كالمصدق المخدوع ، لذي
زعموا في شأنه : أن سارقاً علا ظهر بيت رجل من الأغنياء ، وكان معه
جماعة من أصحابه ، فاستيقظ صاحب المنزل من حركة أقدامهم ، فعرف
امرأته ذلك ، فقال لها : رويداً^٦ ، إني لأحسب اللصوص علواً البيت ،

١ من قولهم حدث السكين حدة بالكسر وفعلها كضرب تشجنت ورق حدها
٢ إذا هنا حرف مفاجاة تختص بالجملة الاسمية ولا تحتاج إلى جواب ومعناها الحال
وتقع رابطة بين الشرط والجواب إذا كانت الأداة إذا أو أن ٣ الدخنة بالضم :
ذريعة يخترها البيوت . والارجة : ذات الرائحة الطيبة ٤ الصندل : شجر هندي
طيب الرائحة يشبه شجر الجوز وله حب أخضر وعناقيد وأما الصندل الأحمر فهو مسحوق
قشر هذا الشجر يستعمل للتلوين بعض المستحضرات . وأما الأصفر فهو شجر يستخرج
من قشره عطر هو المستعمل في الطب كما أنه المراد في هذا المقام ٥ الجزاف : بيع
الشيء لا يعلم كيله ولا وزنه ٦ رويداً مصدر أرود مصغراً تصغير الترخيم بطرح
جميع الزوائد تقول رويداً أي مهلاً وهو المعنى هنا . وهو يستعمل في أربعة أوجه :

فَأَيُّظَنِي بِصَوْتِ يَسْمَعُهُ لِلصَّوْصِ ، وَقَوْلِي : أَلَا تُخْبِرُنِي أَيُّهَا الرَّجُلُ عَنْ
أَمْوَالِكَ هَذِهِ الْكَثِيرَةِ ، وَكُنُوزِكَ الْعَظِيمَةِ ، فَإِذَا نَهَيْتَكَ عَنْ هَذَا السَّوْأَلِ
فَأَلْحِي عَلَيَّ بِالسَّوْأَلِ . فَفَعَلَتِ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ ، وَسَأَلَتْهُ كَمَا أَمَرَهَا ، وَأَنْصَتَ لِلصَّوْصِ
إِلَى سَمَاعِ قَوْلِهَا . فَقَالَ لَهَا الرَّجُلُ : أَيُّتِمَا الْمَرْأَةُ^٢ قَدْ سَأَلْتُكَ الْقَدَرَ إِلَى رِزْقٍ
وَاسِعٍ كَثِيرٍ ، فَكُلِّي وَاسْكُتِي ، وَلَا تَسْأَلِي عَنْ أَمْرٍ إِنْ أَخْبَرْتُكَ بِهِ لَمْ أَمِنْ أَنْ
يَسْمَعَهُ أَحَدٌ ، فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ مَا أَكْرَهُ وَتَكْرَهُ هُنَّ . فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : أَخْبِرْنِي
أَيُّهَا الرَّجُلُ ، فَلَعَمْرِي^٣ مَا بَقَرْنَا أَحَدٌ يَسْمَعُ كَلَامَنَا . فَقَالَ لَهَا : فَإِنِّي أَخْبَرْتُكَ
أَنِّي لَمْ أَجْعِ هَذِهِ الْأَمْوَالَ إِلَّا مِنَ السَّرِقَةِ . قَالَتْ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ ؟ ! وَمَا
كَنتَ تَصْنَعُ ؟ ! قَالَ : ذَلِكَ لَعَلَّمْ أَصْبَتَهُ فِي السَّرِقَةِ ، وَكَانَ الْأَمْرُ عَلَيَّ يَسِيرًا
وَأَنَا أَمِنْ مِنْ أَنْ يَتَّبِعَنِي أَحَدٌ أَوْ يَرْتَابَ فِيَّ . قَالَتْ : فَاذْكُرْ لِي ذَلِكَ . قَالَ :
كَنتُ أَذْهَبُ فِي اللَّيْلَةِ الْمَقْمَرَةِ أَنَا وَأَصْحَابِي ، حَتَّى أَغْلُودَارَ بَعْضَ الْأَغْنِيَاءِ
مِثْلَنَا ، فَاتَّهَى إِلَى الْكُوَّةِ^٤ الَّتِي يَدْخُلُ مِنْهَا الضَّوْءُ ، فَأَرَقِي بِهِذِهِ الرُّقِيَّةَ ،
وَهِيَ (شَوْلْمُ شَوْلْم) سَبْعَ مَرَّاتٍ وَأَعْتَنَقُ الضَّوْءَ ، فَلَا يُحْسِنُ وَقَوْعِي أَحَدٌ ،
فَلَا أَدْعُ مَالًا وَلَا مَتَاعًا إِلَّا أَخَذْتَهُ . ثُمَّ أَرَقِي بِتِلْكَ الرُّقِيَّةِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ، وَأَعْتَنَقُ

اسم فعل ، وصفة ، وحال ، ومصدر ، فالاسم نحو رويداً عمراً بمعنى أموله والصفة
نحو ساروا سياراً رويداً والحال نحو سار القوم رويداً والمصدر نحو رويدعمر بالاضافة
وتلحقه كاف الخطاب فتصرف فتقول رويدك ورويدكما الخ ١ ألا هنا للعرض كالسابقة
٢ المرأة بدل من لفظ أي لأنه جامد ٣ الفاء : فاء النصيحة وهي الواقعة في
جواب شرط ومقدر فكأنها قالت اذا شئت أن تفصح عن حالك فوالله ما بقربنا أحد
يسمعنا واللام على ذلك للابتداء . وعمرى مبتدأ محذوف وجوبا تقديره قسمي
٤ الكوة : الحرق في الخائط

الضوء ، فيجد بني فأصعد إلى أصحابي ، فنمضي سالمين آمنين . فلما سمع



الضوء استقر في منزله

الضوء يستنقذ من على سحرة النزل

للصوص ذلك قالوا : قد ظفّرنا الليلة بما نريد من المال . ثم إنهم أطالوا المكث حتى ظنوا أن صاحب الدار وزوجته قد حجّهما . فقسام قائدهم إلى مدخل الضوء وقال : (شولم شولم) سبع مرات . ثم اعتنق الضوء لينزل إلى أرض المنزل ، فوقع على أم رأسه منكسًا ، فوثب إليه الرجل بهراوته ، وقال له : من أنت ؟ قال : أنا المصدق المخدوع المغتر بما لا يكون أبدًا ، وهذه ثمرة رقيتك — فلما تحرّرت من تصديق ما لا يكون ولم آمن إن صدّقه أن يُوقعني في مهلكة ، عُدت إلى طلب الأديان والتماس العدل منها ، فلم أجد عند أحد ممن كلمته جواباً فيما سألته عنه فيها ، ولم أرف فيما كَلَّوني به شيئاً يحقُّ لي في عقلي أن أصدق به ولا أن أتبعه . فقلت ! لما لم أجد ثقة آخذ منه

١ قلت هنا يجوز أن تكون بمعنى أحببت من قول العرب قال به : أحبه ، وحينئذ

الرأى أن أُلزم دين آبائى وأجدادى الذين وجدتهم عليه . فلما ذهبت ألتبس العذر لنفسى فى لزوم دين الآباء والأجداد لم أجد لها على الثبوت على دين الآباء طاقة ، بل وجدتها تريد أن تنفرغ للبحث عن الأديان والمسألة عنها^١ وللنظر فيها . فمَجَسَّس^٢ فى قلبي وخطر على بالي قرب الأجل وسرعة انقطاع الدنيا واعتباط^٣ أهلها وتحريم الدهر حياتهم^٤ ، فكفرت فى ذلك . فلما خِفت من التردد والتحوُّل رأيت ألا أتعرض لما أتخوف منه المكروه ، وأن أقصر على عمل تشهد النفس أنه يوافق كل الأديان ، فكففت يدي عن القتل والضرب وطرحت نفسى عن المكروه والغضب^٥ والسرقة والخيانة والكذب والبهتان والغيبة^٦ ، وأضمرت فى نفسى ألا أبغى على أحد ، ولا أكذب بالبعث ، ولا القيامة ، ولا الثواب ولا العقاب . وزايلت الأشرار بقلبي ، وحاولت الجلوس مع الأخيار بجيدى ، ورأيت الصلاح ليس كمثله^٧ صاحب ولا قرين ، ووجدت مكسبه — إذا وفق الله وأعان — يسيراً ، ووجدته يدل على الخير ، ويشير بالنصح ، فعل^٨ الصديق بالصدق ، ووجدته لا ينقص

يكون المعنى (فأجبت) أن أُلزم دين آبائى ، والباء محذوفة مع ان أُلزم قياساً ، أو تكون قلت بمعنى (رأيت) وليس هنا حذف . والمعنى على كلاهما مقبول
١ السؤال ٢ بمعنى خطر ٣ الاعتباط : الموت ٤ أصل التخريم : القطع والاستقبال ويريد اهلاكمهم ٥ الغضب : تذيير يحصل عند غليان الدم ليحصل عنه التشق للصدر ٦ الغيبة بالكسر : أن تذكر غيرك بما يكرهه فان كان فيه فقد اغتبه وان لم يكن فيه فقد بهته أى قلت عليه ما لم يفعله ٧ الكاف : زائدة والمعنى ليس شيء مثله فوى داخله على الخبر المقدم وقد منع ظهور فتحته حركة الكاف ٨ فعل : يرفع على أنه خبر مبتدا محذوف يقدر بقوله و (ذلك فعل) . وأما النصب فلا أنه مفعول مطابق لفعل محذوف تقديره (يفعل فعل)

على الاتفاق منه ، بل يزداد جِدَّةً وحُسْنًا ، ووجدته لا خوف عليه من
السلطان أن يَغْصِبَهُ ، ولا من الماء أن يُغْرِقَهُ ، ولا من النار أن تُحْرِقَهُ ،
ولا من اللصوص أن تَسْرِقَهُ ، ولا من السَّباع وجوارح الطير أن تُمَزِّقَهُ ،
ووجدت الرجل الساهي اللاهي المؤثر اليسير يناله في يومه وَيَعْدَمُهُ في غده
على الكثير الباقي نعيمه ، يُصِيبُهُ ما أصاب التاجر الذي زعموا أنه كان له
جوهر نفيس ، فاستأجر لثَقْبَهُ رجلاً في اليوم بمائة دينار ، وانطلق به إلى
منزله ليعمل ، وإذا في ناحية البيت صَنْجٌ موضوع . فقال التاجر للصانع :
هل تُحَسِّنُ أن تلعب بالصَنْجِ^١ ؟ قال : نعم . وكان بلعبه ماهراً . فقال التاجر :
دونك والصَنْجِ^٢ ، فاستمعنا ضربك به . فأخذ الرجل الصَنْجَ ، ولم يزل يُسمع



صاحب الزنود ثاقب شازمان

ثاقب الزنود يضرب بالصنج

١ الصنج بالفتح : صحيفة مدورة من النحاس يضرب بها على أخرى فتحدث صوتاً
يطرب منه سامعوه إذا كان لضارب به مهارفة ٢ دون : اسم فعل بمعنى خذ ، والواو زائدة

التاجر الضرب الصحيح والصوت الرفيع ، والتاجر يُشير بيده ورأسه طرباً ،
 حتى أمسى^١ . فلما حان الغروب قال الرجل للتاجر : مُر لى بالأجرة . فقال له
 التاجر : وهل عَمِلْتَ شيئاً تستحقُّ به الأجرة ؟ فقال له : عَمِلْتُ ما أَمَرْتَنِي
 به ، وأنا أَجِيرُكَ ، وما استعملتَنِي عَمِلْتُ . ولم يزل به حتى استوفى منه مائة
 دينار ، وَبَقِيَ جوهره غير مثقوب . فلم أزد في الدنيا وشهواتها نظراً إلا
 ازددت فيها زهادة ، ومنها هَرَباً . ووجدت النَّسْكَ هو الذي يَهْدِي للمَعَادِ^٢ ،
 كما يَهْدِي الوالد لولده . ووجدته هو^٣ الباب المفتوح إلى النعيم المقيم . ووجدت
 الناسك قد تدبَّرَ فعلته بالسكينة ، فشكر وتواضع ، وقنع فاستغنى ، ورضي ولم
 يهتم ، وخلَعَ الدنيا فنجا من الشرور ، ورفض الشهوات فصار طاهراً ،
 واطرح الحسد فوجِبَتْ له المحبة ، وسَخَتْ نفسه بكل شيء ، واستعمل
 العقل وأبصر العاقبة ، فأمن الندامة ، ولم يخف الناس ، ولم يدب اليهم ،
 فسَلِمَ منهم . فلم أزد في أمر النَّسْكَ نظراً إلا ازددت فيه رغبة ، حتى هَمَمْتُ
 أن أكون من أهله . ثم تَخَوَّفْتُ ألا أصبر على عيش الناسك ، ولم آمَنَ
 — إن تركت الدنيا وأخذت في النَّسْكَ — أن أضعف عن ذلك ، ورفضت
 أعمالاً كنت أرجو عائدتها^٤ ، وقد كنت أعملها فأنتفع بها في الدنيا ، فيكون
 مثلي في ذلك مثل الكلب الذي مرَّ بنهر وفي فيه ضِلَعٌ ، فرأى ظلها في
 الماء ، فهوى ليأخذها ، فأتلف ما كان معه ، ولم يجد في الماء شيئاً . فهَبَّتْ

١ أى دخل في المساء وعم الظلام ٢ المعاد إعادة الاجسام في اليوم الآخر

٣ هو : ضمير فصل ليس له محل من الاعراب ، والباب: المفعول الثاني لوجد

٤ منفعتها ٥ لأن الضلع مؤنثة

النسك مهابة شديدة ، وخِفْتُ من الضَجَرِ وقِلَّةِ الصبر ، وأردت الثبوت على
حالي التي كنت عليها . ثم بدا لي أن أسبرُ ما أخاف ألا أصبر عليه من
الأذى والضيق والخشونة في النَّسك ، وما يُصيب صاحب الدنيا من البلاء .
وكان عندي أنه ليس شيء من شهوات الدنيا ولذاتها إلا وهو متحوّل إلى
الأذى ومولّد للحزن . فالدنيا كالماء المِلْح الذي لا يزداد شاربهُ شرباً إلا
ازداد عطشاً . وهي كالعظم الذي يُصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم ، فلا
يزال يطلبُ ذلك اللحم حتى يَدْمَى فاه . وكلِّدأة^١ التي تظفرُ بقطعة من
اللحم ، فيجتمع عليها الطير ، فلا تزال تدور وتدأب حتى تَعْيَا وتعطب ،
فإذا تَعَبَتْ أَلْقَتْ ما معها . وكالكوز من العسل الذي في أسفله السم الذي
يذاق منه حلاوة عاجلة ، وآخره موت ذُعا^٢ . وكأحلام النَّائم^٣ التي يفرح
بها الإنسان في نومه ، فإذا استيقظ ذهب الفرح . فلما فكّرت في هذه
الأُمور رجعتُ إلى طلب النسك ، وهزّني الاشتياق إليه . ثم خاصمت
نفسى إذ هي في شرورها سارحة ، وقد لا تثبّت على أمر تعزّم عليه كقاض
سميع من خصم واحد فحكم له ، فلما حضر الخصم الثاني عاد إلى الأول
وقضى عليه . ثم نظّرت في الذي أكابده من احتمال النسك وضيقة ،

١ الدَّاءة بكسر ففتح هي الطائر المعروف وتعد من أخس الطير الا في المجاورة
فانها لا تخطف فراخ ما جاورها من الطيور وتبيض بيضتين وربما باضت ثلاثا وخرج منها
ثلاثة أفرار ومدة حضانتها عشرون يوماً . وهي اما سوداء أو رمداء وتخطف فريستها
خفياً وتمتاز عن غيرها بوقوفها في الطيران ولم يكن ذلك لغيرها من الطيور ٢
٣ الاحلام جمع حلم بضمين وهو ما يراه النَّائم في منامه خيراً كان أو شراً كالرؤيا
وربما فرقوا بينهما فجعلوا الحلم للشر والرؤيا للخير

فقلت : ما أصغر هذه المشقة في جانب رَوْح الأبد وراحته ! ثم نظرت فيما
تشره إليه النفس من لذة الدنيا ، فقلت : ما أمرّ هذا وأوجعه ! وهو يدفع
إلى عذاب الأبد وأهواله . وكيف لا يستحلي الرجل مرارة قليلة تعقبها
حلاوة طويلة ؟ ! وكيف لا تمرّ عليه حلاوة قليلة تعقبها مرارة دائمة ؟ ! وقلت :
لو أن رجلاً عُرِض عليه أن يعيش مائة سنة لا يأتي عليه يوم واحد إلا
بُضْع منه بضعة^١ ، ثم أعيد عليه من الغد ، غير أنه يُشْرط له إذا استوفى
السنين المائة نجا من كل ألم وأذى ، وصار إلى الأمن والسرور كان حقيقاً
ألا يرى تلك السنين شيئاً . وكيف يأتي الصبر على أيام قلائل يعيشها في
النسك ، وأذى تلك الأيام قليل يعقبُ خيراً كثيراً ؟ ! فلنعلم أن الدنيا
كلها بلاء وعذاب . أوليس الإنسان إنما يتقلب في عذاب الدنيا من
حين يكون جنيناً إلى أن يستوفى أيام حياته ؟ ! فإذا كان طفلاً ذاق من
العذاب ألواناً : إن جاع فليس به استطعام ، أو عطش فليس به استسقاء ،
أو وجع فليس به استغائة ، مع ما يلقي من الوضع والحمل واللف والدَّهن
والمسح . إن أنيم على ظهره لم يستطع تقلباً ، ثم يلقي أصناف العذاب مادام
رضيعاً ، فإذا أفلت من عذاب الرضاع أخذ في عذاب الأدب^٢ ، فأذيق
منه ألواناً : من عُنف المعلم وضجر الدرس وسامة الكتابة . ثم له من الدواء
والحمية والأسقام والأوجاع أوفى حظاً . فإذا أدرك كانت همته في جمع المال
وتربية الولد ومخاطرة الطلب ، والسعي والكد والتعب . وهو مع ذلك يتقلب

١ بضع : قطع ، والبضعة بالفتح وتكسر : القطعة من اللحم ٢ المراد من
الادب هنا التعليم

مع أعدائه الباطنية اللازمة له : وهي الصفراء والسوداء والرييح والبغم والدم^١ والسّم المميت والحية اللادغة ، مع الخوف من السباع ، والحوام مع صرف الحر والبرد والمطر والرياح . ثم أنواع عذاب الهرم لمن يبلغه . فلو لم يخف من هذه الأمور شيئاً ، وكان قد آمن ووثق بالسلامة منها فلم يفكر فيها ، لوجب أن يعتبر بالساعة التي يحضره فيها الموت فيفارق الدنيا ، ويتذكر ما هو نازل به في تلك الساعة من فراق الأحبة والأهل والأقارب وكل مضمون به من الدنيا ، والإشراف على الهول العظيم بعد الموت . فلو لم يفعل ذلك لكان حقيقاً أن يُعَدَّ عاجزاً مفرطاً محبباً للدناءة مستحقاً للوم . فمن ذا الذي يعلم ولا يَحْتال لغدٍ جهده في الحيلة ، ويرفض ما يشغله ويُلبيهِ من شهوات الدنيا وغرورها ، ولا سيما^٢ في هذا الزمان الشبيه بالصافي وهو كدر فإنه وإن كان الملك حازماً ، عظيم المقدره ، رفيع الهمة ، بليغ الفحص ،

١ الاخلاط الاربعة : كذا يذكر الطب القديم ويعني من ذلك : الصفراء والسوداء والدم والبغم ولكل تعريف خاص به ومركز من جسم الانسان ٢ أما لاسيما فلا نذكر منها هنا الاحكام المعروفة بكتاب المعارف بل نزيد عليها انها قد يلبها ظرف وشرط وجار ومجرور وفعل ، وكل هذه الانواع في قوة الجملة (غير الاخير) ولها حكم الجملة الواقعة بعد لاسيما . ولا يجوز حذف (لا) منها وذكر ثلث وجوب ذكر الواو قبل لا ، ولكنها وردت بغيرها ، وكذلك لا يجوز أن يوثق بعدها بواو فلا نقول : لاسيما والامر كذا ، وكذلك سمع تخفيف الياء

ومثل لاسيما في جميع أحكامها : لاسيما وسواها ، وقيل يشبهها أيضاً لا ترما ، ولو ترما ، الا أن هذين لا يليهما الا الرفع ، ويتعين حينئذ أن تكون ما هو صولة مفعولا لتري وأما (تر) فهو مجزوم (بلا) حذف منه الألف ، والمرفوع بعده خبر لمبتدأ محذوف والجملة صلة ، وأما بعد لو فحذف الألف شذوذاً مثال ذلك قام القوم لا ترما زيد ، والتقدير لا تبصر — أيها المخاطب — الشخص الذي هو زيد ، فانه في القيام أولى به منهم ولو كانت مكان (لا) (لو) كان التقدير لو تبصر الذي هو زيد لرأيت أولى بالقيام منهم

عدلاً مرجوًّا صدوقاً شكوراً ، رَحْبُ الذراع^١ مفتقداً^٢ مواظباً مستمراً عالماً
بالناس والأمر ، محباً للعلم والخير والأخيار ، شديداً على الظلمة ، غير جبان
ولا خفيف القياد ، رفيقاً بالتوسع على الرعية فيما يحبون والدفع لما يكرهون .
فإنا قد نرى الزمان مُدبراً بكل مكان . فكأن أمور الصديق قد نُزعت من
الناس ! فأصبح ما كان عزيزاً فقد هُتِفَ مَقْعوداً ، وموجوداً ما كان ضائراً وجوده .
وكأن الخير أصبح ذابلاً ! والشر ناضراً ! وكأن الفهم أصبح قد زالت سبله !
وكأن الحق ولى كسيراً^٣ ! وأقبل الباطل تابعه ! وكأن اتباع الهوى وإضاعة
الحكم أصبح بالحكام موكلًا ، وأصبح المظلوم بالحيف مَقْرأً ، والظالم لنفسه
مستطيلاً ! وكأن الحرص أصبح فاعراً فاه^٤ من كل جهة يتلقف ما قُرْب
منه وما بُعْد ! وكأن الرضا أصبح مجهولاً ! وكأن الأشرار يقصدون السماء
صعوداً ! وكأن الأخيار يريدون بطن الأرض ! وأصبحت المروءة مقدوفا
بها من أعلى شرف إلى أسفل دَرَك ، وأصبحت الدناءة مُكْرَمةً مُمَكَّنَةً ،
وأصبح السلطان منتقلاً عن أهل الفضل إلى أهل النقص ! وكأن الدنيا
جَذَلَة مسرورة ، تقول : قد غُيِّبَت الخيرات ، وأظهرت السيئات . فلما
فَكَّرَت في الدنيا وأمورها وأن الإنسان هو أشرف الخلق فيها وأفضله ،
ثم هو لا يتقلب إلا في الشرور والهموم ، عَرَفَت أنه ليس إنسان ذو عقل يعلم
ذلك ثم لا يَحْتال لنفسه في النجاة ، فعَجِبَت من ذلك كل العَجَب . ثم نظرت
فإذا الإنسان لا يمنعُه عن الإحتيال إلا لذة صغيرة حقيرة غير كبيرة من

١ أى واسع الخلق ، ويراد من الذراع أيضاً : النفس ٢ افتقد الشيء : طلبه في
غيته ، والمراد أنه بجأته ٣ الكسير : المكسور ، والمراد المهزوم ٤ أى فاتحاًفه

الشم والذوق والنظر والسمع واللمس ، لعله يُصيب منها الطفيف ، أو يقتنى منها اليسير . فإذا ذلك يشغله ويذهب به عن الاهتمام لنفسه وطلب النجاة لها فالتفت للإنسان مثلاً ، فإذا مثله مثل رجل نجى من خوف فيل هائج إلى بئر ، فتدلى فيها ، وتعلق بغصنين كانا على سماءها ، فوقعت رجلاه على شيء في طي البئر ، فإذا حيايت أربع ، قد أخرجن رؤوسهن من أجحارهن . ثم نظر فإذا في قاع البئر تين فاح فاه ، منتظر له ليقم فيأخذه



الرجل ساقط في البئر

الرجل في البئر وقد شئت صلاة الله

فرجع بصره إلى الغصنين ، فإذا في أصلهما جردان : أسود وأبيض ، وهما

١ التين من الحيوانات التي كثر فيها القال واختلف في وجودها ، فن المؤرخين من يقول انه حيوان خرافي وهمي ليس له صورة في الوجود ، ومنهم من ذكر له أوصافاً وقوة وضخامة ومسكناً . أما الأوصاف فتارة يجعلونه أفعى هائلة وطوراً يجعلونه حيواناً ذا أرجل يسكن الصحارى أو يسكن الأنهار أو بلا أرجل ويقوى على السباحة وربما سبح أسراباً وأسراباً ويقولون ان له صغيراً حاداً ويطشأ بصرع الفيل الشديد ويلتد بسباع الانعام على أن مسافة الحلف واسعة لا طائل تحتها والمسألة هنا مسألة فرض وتمثيل

يقرّضان الفصنين دائبين لا يفتران ، فبينما هو في النظر لأمره ، والاهتمام
لنفسه ، إذ ^١ أبصر قريباً منه كواراة فيها عسل نحل ^٢ ، فذاق العسل ، فشغلته
حلاوته وألتهبه لذته عن الفكرة في شيء من أمره وأن يلتبس الخلّاص
لنفسه ، ولم يذكر أن رجله على حيّات أربع ، لا يدري متى يقع عليهن ،
ولم يذكر أن الجرّذين دائبان في قطع الفصنين ، ومتى انقطعا وقع على التنين .
فلم يزل لاهياً غافلاً مشغولاً بتلك الحلاوة حتى سقط في فم التنين فهلك ،
فشبهت بالبئر الدنيا المملوءة آفاتٍ وشروراً ، وخفافاتٍ وعاهاتٍ . وشبهت
بالحيّات الأربع الأخلاط الأربعة التي في البدن ، فإنها متى هاجت أو
أحدها كانت كحمة ^٣ الأفاعي والسمّ المميت . وشبهت بالفصنين الأجل
الذي لا بدّ من انقطاعه . وشبهت بالجرّذين الأسود والأبيض الليل والنهار
اللذين هما دائبان في إفناء الأجل . وشبهت بالتنين المصير الذي لا بدّ منه .
وشبهت بالعسل هذه الحلاوة القليلة التي ينال منها الإنسان فيطعم ويسمع ويشمّ
ويلمس ويتشاغل عن نفسه ، ويلهو عن شأنه ، ويصدّ عن سبيل قصده .
فحينئذ صار أمرى إلى الرضا بحالى وإصلاح ما استطعت إصلاحه من عملى ،
لعلّ أصادف باقى أيامى زمانا أصيب فيه دليلاً على هداى ، وسلطاناً على

١ اذ (هنا) عند ابن السجى زائدة للتوكيد وعند غيره حرف للمفاجأة (كائن
مالك والشلوبينى) وعند آخرين ظرف فن قال انها ظرف أعربها بدلا وعلقها بمحذوف
يدل عليه الكلام وقولهم اذ نحن اذ ذاك فلي تقدير الخبر في الموضعين أى اذ نحن
متألفون واذ ذاك كائن ٢ الكواراة بالضم وتكسر وتشدد الواو شيء يتخذ للنحل
من القضبان أو الطين ضيق الرأس ٣ الحمة بالضم : الابرة التى تضرب بها
المقرب ونحوها ، أو تلدغ به الحية وغيرها

نفسى ، وقواما لأمرى . فأقمت على هذه الحال ، وانتسخت كتباً كثيرة ،
وانصرفت من بلاد الهند وقد نسخت هذا الكتاب .
(انقضى باب برزويه المتطبب)

باب الأسد والثور وهو أول الكتاب

قال دَبشليم^١ الملك لبيدا^٢ الفيلسوف ، وهو رأس البراهمة^٣ : اضربلى
مثلا لمتحابين يقطع بينهما الكدوب المحتال حتى يَحْمِلَهُمَا على العداوة
والبغضاء . قال بيدبا : إذا ابتلى المتحابان بأن يدخل بينهما الكدوب
المحتال لم يَلْبِثَا أن يتقاطعا ويتدابرا^٤ : ومن أمثال ذلك أنه كان بأرض
دَسْتَاوَنَد رجل شيخ ، وكان له ثلاثة بنين ، فلما بلغوا أشدهم^٥ أسرفوا في

١ دبشليم : قيل أنه ملك هندي من سلالة من قهرهم الاسكندر الأكبر حين
زحف الى الهند سنة ٣٢٦ قبل المسيح ٢ نشأ أثناء القرن الرابع قبل المسيح
وألف هذا الكتاب وقد ضبطته دائرة المعارف بكسر الباء . ومن هذا الكتاب يستدل
على حصافة عقل الرجل ورباطة جأشه ٣ البراهمة ويقال لهم أيضاً البرهميون هم
أصحاب الرتبة الاولى من عبدة برهم الهنود وهو أكبر آلهتهم : يعتبرون الشمس التي
هى ينبوع النور والحرارة الاله الوحيد وأول المعبودات فاستدل بذلك على أنهم فرع
قديم من أهل العباداة القديمة المجوسية التي أصلها زرادشت وهم أربعة أصناف :
الكهنة ، والعلماء ، ثم الحربيون ومنهم الحكام وتقدم انهم يسمون أيضاً بالمقاتلة
ثم أهل الزراعة ، ثم الفعلة أى أصحاب الحرف . والبراهمة يعتقدون خلود النفس
والتناسخ ويمارسون الوضوء والتشغفات وسائر الرياضات وقد مر أيضاً أنهم لا يجوزون
بمشة الرسل ٤ الالف فى يلبثا فاعل وأن والفعل بعدها يؤولان بمصدر يرب مجروراً
بمن أو بنى محذوفة وقال أبو حيان (أن) فى مثل هذا التركيب بمعنى (حتى) والمعنى
بذلك واضح جلي . ويجوز أن تكون حتى فى هذا التركيب محذوفة وظهرت (أن) بعد حذفها
ه أى بلغوا سن الرشد

مال أبيهم ، ولم يكونوا احترقوا حرفة يكسبون لأنفسهم بها خيراً . فلامهم أبوهم ، ووعظهم على سوء فعلهم . وكان من قوله لهم : يا بني^١ إن صاحب الدنيا يطلب ثلاثة أمور ، لن يدركها إلا بأربعة أشياء : أما الثلاثة التي يطلب فالسعة في الرزق ، والمنزلة في الناس ، والزاد للآخرة : وأما الأربعة



الرجل يعط بنيت ويلومهم على سوء تربيته

التي يحتاج إليها في درك هذه الثلاثة فاكتساب المال من أحسن وجه يكون . ثم حسن القيام على ما اكتسب منه ثم استثماره . ثم إنفاقه فيما يصلح

١ بني منادى أصله بنين لي ، حذفت اللام للتخفيف والنون للإضافة والياء الاولى علامة النصب لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والياء الثانية المدغمة فيها الاولى في محل جر مضافا اليه

المعيشة ويُرضى الأهل والإخوان ، فيعود عليه نفعه في الآخرة . فمن ضيَّع شيئاً من هذه الأحوال لم يُدرك ما أراد من حاجته ، لأنه إن لم يكتسب لم يكن له من مال يعيش به .^١ وإن هو كان ذا مال واكتساب ثم لم يُحسن القيام عليه أوشك المال أن يَفْنَى وَيَبْقَى مُعْدِماً . وإن هو وَضَعَهُ ولم يستثمره لم تَمْنَعَهُ قِلَّةُ الإنفاق من سُرعة الذَّهاب ، كالْكُحْلِ الذي لا يُؤْخَذُ منه إلا غُبَارُ المِيلِ^١ ، ثم هو مع ذلك سريعُ فَنَائِهِ . وإن أنفق في غير وجهه ، ووضعه في غير موضعه ، وأخطأ به مواضع استحقاقه صار بمنزلة الفقير الذي لا مال له ثم لا يَمْنَعُ ذلك ماله من التَّلَفِ بالحوادث والعلل التي تَجْرِي عليه ، كمحبس الماء الذي لا تزال المياه تنصب فيه ، فإن لم يكن له مَخْرَجٌ وَفَيْضٌ وَمُتَنَفِّسٌ يخرج الماء منه بقدر ما ينبغي خرب وسال ، ونز من نواح كثيرة ، وربما انبثق البَثْقُ العظيم^٢ ، فذهب الماء ضياعاً . ثم إن بنى الشيخ اتعظوا بقول أبيهم ، وأخذوا به ، وعلموا أن فيه الخير ، وعوّلوا عليه . فانطلق أكبرهم نحو أرض يقال لها مَيَّون ، فأثى في طريقه على مكان فيه وحل كثير ، وكان معه عَجَلَةٌ يجرّها ثوران ، يقال لأحدهما شَرَبَةٌ^٣ ، والآخر بُندَبَةٌ ، فوحل شربة في ذلك المكان ، فعالجه الرجل وأصحابه ، حتى بلغ منهم الجهد ، فلم يقدر روا على إخراجهِ . فذهب الرجل وخلف عنده رجلا يشارفهُ لعلَّ الوَحْلَ ينشَفُ فيتبعه بالثور . فلما بات الرجل بذلك المكان تبرّم به واستوحش ،

١ الميل بالكسر : المملول بضم الميمين وتسكين ما بينهما : هو الذي يكحل به البصر ، وقال الاصمعي : قول العامة : الميل ما تكحل به الدين خطأ وإنما هو المملول
٢ يريد انفجر ٣ شربة نائب فاعل يقال ٤ يراقبه ٥ سُم

فترك الثور والتحق بصاحبه ، فأخبره أن الثور قد مات . وقال له : إن



شربة وقد انقضَّ الرجل عنه



الثور (شربة) وقد ارتطم في الوحل

الانسان إذا انقضت مدته وحانت منيته ، فهو وإن اجتهد في التوق من الأمور التي يخاف فيها على نفسه الهلاك لم يُغن ذلك عنه شيئاً ، وربما عاد اجتهداه في توقيه وحذرهِ وبالا عليه

كالذي قيل إن رجلاً سلك مفازة^١ فيها خوف من السباع ، وكان الرجل خبيراً بوعث^٢ تلك الأرض وخوفها . فلما سار غير بعيد اعترض له ذئب من أحد الذئاب وأضرأها^٣ . فلما رأى الرجل أن الذئب قاصداً نحوه خاف منه ونظر يميناً وشمالاً ، ليجد موضعاً يتحرّز فيه من الذئب^٤ . فلم ير إلا قرية خلف واد ، فذهب مسرعاً نحو القرية . فلما أتى الوادي لم ير عليه قنطرة ، ورأى الذئب قد أدركه ، فألقى نفسه في الماء وهو لا يُحسن السباحة ، وكاد

١ المفازة : الصحراء الخوفة وسميت مفازة تفاعلاً ٢ الوعث مثلثة : الطريق
الوعر المسلك ٣ أى أشدها حدة واقتراسا ٤ يتوق شربه

يَفْرَقُ لَوْلَا أَنْ بَصُرَ بِهِ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَتَوَاقَعُوا لِإِخْرَاجِهِ ، فَأَخْرَجُوهُ
وَقَدْ أَشْرَفَ عَلَى الْهَلَاكِ . فَلَمَّا حَصَلَ الرَّجُلُ عَنْدهُمْ ، وَأَمِنَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ
غَائِلَةِ الذِّئْبِ رَأَى عَلَى عُدُوَّةِ الْوَادِي بَيْتًا مُفْرَدًا ، فَقَالَ : أَدْخُلْ هَذَا الْبَيْتَ
فَأَسْتَرِجِ فِيهِ . فَلَمَّا دَخَلَهُ وَجَدَ جَمَاعَةً مِنَ اللَّصُوصِ قَدْ قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى
رَجُلٍ مِنَ التِّجَارِ ، وَهُمْ يَقْتَسِمُونَ مَالَهُ ، وَيُرِيدُونَ قَتْلَهُ . فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ ذَلِكَ
خَافَ عَلَى نَفْسِهِ وَهَضَى نَحْوَ الْقَرْيَةِ ، فَأَسْنَدَ ظَهْرَهُ إِلَى حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِهَا
لِيَسْتَرِجَ مِمَّا حُلَّ بِهِ مِنَ الْهَوْلِ وَالْإِعْيَاءِ إِذْ سَقَطَ الْحَائِطُ عَلَيْهِ فَتَات . قَالَ
التَّاجِرُ : صَدَقْتُ ، قَدْ بَلَغَنِي هَذَا الْحَدِيثُ . وَأَمَّا الثَّوْرُ فَانْهَضَ مِنْ مَكَانِهِ
وَانْبَعَثَ ، فَلَمْ يَزَلْ فِي مَرَجٍ مُخْضَبٍ كَثِيرِ الْمَاءِ وَالْكَلَالِ . فَلَمَّا سَمِعَ وَأَمِنَ جَعَلَ



الأسد (ملك هذه الناحية) بين حاشيته

يَخْجُرُ وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْخُورِ . وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ أَجَمَةٌ^٢ فِيهَا أَسَدٌ عَظِيمٌ^٣ ، وَهُوَ

١ عدوة الوادي بالضم والكسر : جانبه ٢ الاجمة : الشجر الكثير المتلف
ج أجم وأجمات جج آجام ٣ الأسد : أكبر الحيوانات التي من فصيلة الهر وأقواها ،

ملك تلك الناحية ومعه سبع^١ كثيرة وذئاب^٢ وبنات آوى^٣ ونعالب وفهود ونمور . وكان هذا الأسد منفرداً برأيه دون أخذ برأى أحد من أصحابه . فلما سمع خوار الثور ولم يكن رأى ثوراً قط ولا سمع خواره ، خامره منه هيبة وخشية ، وكره أن يشعر بذلك جنده . فكان مقيماً مكانه لا يبرح ولا ينشط بل يؤتى برزقه كل يوم على يد جنده . وكان فيمن معه من السباع ابنا آوى يقال لأحدهما (كَلِيلَةُ) والآخر (دِمْنَةُ) وكانا ذوى دهاء وعلم وأدب . فقال دمنة لأخيه كليلة : يا أخى ، ما شأن الأسد مقيماً مكانه لا يبرح ولا ينشط ؟ قال له كليلة : ما شأنك أنت والمسألة عن هذا ؟ ! نحن على باب ملكنا آخذين بما أحب ، وتاركين ما يكره . ولسنا من أهل المرتبة التي يتناول أهلها كلام الملوك والنظر في أمورهم . فأمسك عن هذا . واعلم أنه من

وللذكر منه لبدة طويلة كثيفة وذنبه ينتهى بخصلة من الشعر لا توجد في ذنب النمر ولا في أذئاب غيره من المهررة المرقطة . ولونه المعتاد أسمر ولبدته تقرب الى السواد وقد يكون بهض الأسد أسود حالسكا والبعض أسمر قاتماً . أما أنثاه (البوة) فهي أصغر منه ولا لبدة لها وفي جبهته سعة وفي لبدته خشونة وفي شعر حاجبه طول

١ السباع وكذلك الأسيب جمع سبع بفتح الـاول وضم الثانى وفتحته وتسكينه وهو المفترس من الحيوان مطلقاً ويقال من الطير أيضاً ٢ الذئب نوع من فصيلة الكلب البرى قوى حاسة الشم يؤثر الصيد الحى على الجيف والاقتدار

٣ بنات آوى جمع لابن آوى وهو جمع قياسى اذ كل ما صدر بان أو ذى من أسماء ما لا يعقل يجمع جمع مؤنث سالماً مثل ابن عرس وابن الخاض وذى القعدة فيجمع على بنات عرس وبنات مخاض وذوات القعدة أما ابن آوى فهو من أكلة اللحوم وهو من فصيلة الكلب أيضاً شبيه بالكلب وفي جرم الثعلب ويتميز من الاخير بكروية حدقته وترى كليلة ودمنة خلف الاسد في الصورة السابقة . وأما الثعالب والفهود والنمور فستذكر فيما بعد ٤ مقيماً حال من الاسد ٥ المسألة مفعول معه وما مبتدأ وشأن خبر وأنت توكيد للكاف

تكلّف من القول والفعل ما ليس من شأنه أصابه ما أصاب القرد من النجار
قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟ قال كيلة : زعموا أن قرداً رأى نجاراً
يشقّ خشبة بين وتدين وهورا كب عليها ، فأعجبه ذلك . ثم إن النجار
ذهب لبعض شأنه . فقام القرد وتكلّف ما ليس من شُغله ، فركب الخشبة
وجعل ظهره قبل الوتد ، ووجهه قبل الخشبة ، فبدل ذنبه في الشقّ ، ونزع
الوتد ، فلزم الشقّ عليه ، فخرّ مغشياً عليه من الألم . ثم إن النجار وافته



القرد وقد لزم الشق على دنه



القرد يرقب النجار

فراه على تلك الحالة ، فأقبل عليه يضربه . فكان ما لقي من النجار أشدّ
مما أصابه من الخشبة . قال دمنة : قد سمعت ما ذكرت ، وليس كل من
يدنو من الملوك يقدر على صحبتهم ويفوز بقرهم . ولكن اعلم أن كل من

يدنو من الملوكة ليس يدنو منهم لبطنه فإن البطن محشى لكل شيء ، وإنما يدنو منهم ليسر الصديق ، ويكبت العدو . وإن من الناس من لا مروءة له : وهم الذين يفرحون بالقليل ، ويرضون بالثون : كالكلب^١ الذي يُصيب عظاماً يابساً فيفرح به . وأما أدل الفضل والمروءة فلا يُقنعهم القليل ولا يرضون به دون أن تسمو بهم نفوسهم إلى ما هم أهل له وهو أيضاً لهم أهل ، كالأسد الذي يفترس الأرنب^٢ ، فإذا رأى البعير تركها وطالب البعير . ألا ترى أن الكلب يُصبص بذببه^٣ حتى تُرمى له السكرة من الخبز فتقنعه وترضيه منك . وأن الفيل^٤ المعترف بفضله وقوته إذا قُدم إليه علفه لا يعتلغه حتى يُمسح وجهه ويُتملق له . فمن عاش ذا مال وكان ذا فضل وإفضال على أهله وإخوانه فهو وإن قلَّ عمره طويل العمر . ومن كان في عيشه ضيق وقلة وإمساك على نفسه وذويه فالتعبور أحياء منه . ومن عمل لبطنه وشهوته وقنع وترك ما سوى ذلك عد من البهائم

قال كليله : قد عرفت مقالك ، فراجع عقلك . واعلم أن لكل إنسان

١ الكلب : حيوان شديد الرياضة كثير الوفاء ويعرف منه أنواع عدة ويألف الآدمي وقد عاصره منذ قبل التاريخ يجري المسافات الشاسعة دون أن ينال منه الكلال ويحسن السباحة ٢ الأرنب : حيوان من ذوات الأربع يأكل الحشيش وليس له سلاح الا الحرب والالتزواء وله سمع وشم حادان جداً ٣ أى بحركة ٤ الفيل : حيوان من ذوات الثديين كبير الجثة طويل الخرطوم ويسكن نوع منه أواسط أفريقيا وآخر الجهات الجنوبية من آسيا يألف الغابات ذات المياه له قدرة فائقة على السباحة ويخدم صاحبه في كل أعماله حتى الصيد والحروب وأثناءه تحمل سنتين وتلد واحداً ولا يبلغ أشده الا بعد ٢٥ سنة ويعمر ١٥٠ سنة وقد يبلغ طوله ٥ أمتار ووزنه نحو (١٥٠) قنطاراً

منزلة وقدرًا ، فإذا كان في منزلته التي هو فيها متماسك الحال في طبقته كان حقيقاً أن يقنع . وليس من المنزلة ما يحيط حالنا التي نحن عليها . قال دمنه : إن المنازل متنازعة مشتركة على قدر المروءة ، فالمرء ترفعه مروءته من المنزلة الوضيعة إلى المنزلة الرفيعة . ومن لا مروءة له يحيط نفسه من المنزلة الرفيعة إلى المنزلة الوضيعة . والارتفاع من صغر المنازل إلى أشرفها شديد ، ومؤونة الانحطاط من الشرف إلى الضمة هيئ : كاللحجر الثقيل ، رفعه من الأرض إلى العاتق عسير ، وطرحه إلى الأرض هيئ . فنحن أخوان نروم ما فوقنا من المنازل ، وطاقنا أن نلتبس ذلك بمروءتنا . ثم كيف تقنع بها ونحن نستطيع التحول عنها ؟ ! قال كليله : فما الذي أنت فيه الآن مجمع ؟ قال دمنه : أريد أن أتعرض للأسد عند هذه الفرصة ، فإن الأسد قد ظهر لي أنه ضعيف الرأي ، وقد التبس عليه وعلى جنوده أمرهم . ولعلي على هذه الحال أدنو منه بنصيحة فأصيب عنده منزلة وجأها . قل كليله : وما يدريك أن الأسد قد التبس عليه أمره ؟ قال دمنه : بالحسِّ والرأى أعلم ذلك منه . فإن الرجل ذا الرأى يعرف حال صاحبه وباطن أمره بما يظهر من دله وشكله . قال كليله : فكيف ترجو المنزلة عند الأسد ولست بصاحب السلطان ، ولالك علم بخدمة السلاطين ؟ ! قال دمنه : الرجل الشديد القوى لا يُعجزه الحمل الثقيل وإن لم تكن عادته الحمل ، والرجل الضعيف لا يستقل به وإن كان ذلك من صناعته . قل كليله : فإن السلطان لا يتوخى بكرامته أفضل من بحضرته ، ولكنه يُؤثر بذلك من دنا منه .

ويقال إن مثل السلطان في ذلك مثل شجر الكرّم الذى لا يتعلّق بأكرم الشجر . إنما يتعلّق بمن دنا منه^١ . وكيف ترجو المنزلة عند الاسد ولم تكن دنوت منه ؟ ! قال دمنة : قد فهمت كلامك جميعه وما ذكرت ، وأنت صادق . لكن اعلم أن الذين هم أقرب الى السلطان منا قد كانوا وليست تلك منازلهم ثم دنوا منه بعد البعد فبلغوا . فأنا ملتصق بلوغ منازلهم ومكاتبهم جهدى بالدنو منه . وقد كان يقال : لا يواظب على باب السلطان أحد فيطرح منه الأنفة ، ويحتمل الأذى ، ويكظم الغيظ ويرفّق بالناس ، إلا وصل إلى أعلى درجة من السلطان . قال كليله : هبك قد وصلت إلى الأسد^٢ . فما توفيقك الذى تنال به المنزلة عنده والخطوة لديه^٣ ؟ قال دمنة : لو قد دنوت منه عرفت أخلاقه ثم انحططت الى هواه بمتابعتة وقلة الخلاف له . وإذا أراد أمراً هو في نفسى صواب زينته له ، وبصرته ما فيه ، وشجعتة عليه حتى يزداد به سرواً . وإذا أراد أمراً أخاف عليه ضرره وشينه بصّرتة بما فيه من الضر والشين وما في تركه من النفع والزين ، بحسب ما أجد إليه السبيل . وأنا أرجو أن أزداد بذلك عند الأسد مكانة ، ويرى منى ما لا يراه من غيرى ، فإن الرجل الأديب الرفيق لو شاء أن يبطل حقاً أو يبحى باطلاً أحياناً لفعل : كالمصور الماهر الذى يُصوّر فى الجدار تصاوير كأنها خارجة من الجدار وليست بخارجة ، وأخرى كأنها داخله فيه وليست بداخله . فإذا أبصر الأسد

١ هذه هي الرواية التي يفهم منها المراد ٢ هب بمعنى احسب وافرض وهو لازم للأمريّة ولا يجوز أن يقال هب انك وصلت فان ذلك من الخطأ المشهور ٣ الخطوة بالضم وتفتح : المكانة والمنزلة

فضلى وعرفه وعرف ما عندى كان هو أحرص على كرامتى وتقريبى منه .
 قال كليمه : أمّا إن كان هذا رأيك فإنى أحذرك صحة السلطان . فإن
 صحبته خطر عظيم . وقد قالت العلماء : إن أموراً ثلاثة لا يجترئ عليهن
 إلا أهوج^١ ، ولا يسلم منهن إلا القليل : وهى صحة السلطان ، وإيمان النساء
 على الأسرار ، وشرب السم للتجربة . وإنما شبه العلماء السلطان بالجبل
 الوعر الصعب المرتقى الذى فيه الثمار الطيبة ، والجواهر النفيسة ، والأدوية
 النساعة ، وهو مع ذلك معين السباع والنمور^٢ والذئاب وكل سبع مخوف .
 فالارتقاء إليه شديد ، والمقام فيه أخوف . قال دمنة : صدقت فيما وصفت .
 غير أنه من لم يركب الأهوال لم ينل الرغائب . ومن ترك الأمر الذى لعله يبلغ
 فيه حاجته هيبه ومخافة لما لعله يتوقى فليس ببالغ جسيما . وقد قيل : إن
 خصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من ارتفع الهمة وعظيم الخطر :
 منها عمل السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدو^٣ . وقد قالت العلماء في
 الرجل الفاضل المروءة : انه لا يرى إلا فى مكانين ، ولا يليق به غيرهما :
 إما مع الملوك مكرماً ، أو مع النسك متبتلاً : كالفيل إنما جماله وبهاؤه في
 مكانين : إما في البرية وحشياً ، أو مركباً للملوك . قال كليمه : خار الله لك فيما

١ الأهوج الطائش الاحق وفعله من باب فرح ٢ النمر يفتح النون وكسر
 الميم ويجوز اسكان الثانى مع فتح النون وكسرها : حيوان من الضواري يشبه الأسد
 الا في صفره وتنقيط جلده وحدته ولقد يبلغ به الغضب أن يقتل نفسه وله سطوات
 صادقات ووثبات شديداً ربما بلغت الوثبة ٤٠ ذراعاً لا يباريه فيها حيوان ، يعجب
 بنفسه أيما اعجاب ، فاذا أشبع نام ثلاثة أيام ، وفي طبعه عداوة الاسد والظفر بينهما
 سجال ، عفوف نزيه ، لا يأكل الا من صيده كما انه ينزعه نفسه عن أكل الجيف ٣ مقابلته

عزم لك عليه^١. وأما أنا فإني مخالفك في رأيك هذا
ثم إن دمنة انطلقت حتى دخل على الأسد ، فسلم عليه . فقال الأسد



دخول دمنة على الأسد

لبعض جلسائه : من هذا ؟ فقال : فلان بن فلان^٢. قال : قد كنت أعرف أباه . ثم سأله : أين تكون ؟ قال : لم أزل ملازماً باب الملك رجاء أن يحضر أمر فأعين الملك فيه بنفسى ورأى . فإن أبواب الملوك تكثر فيها الأمور

١ جعل الله لك فيه الخير ٢ فلان وفلانة بنير ألف ولام يكنى بهما عن العالم العاقل وهما يجران مجرى الاعلام في امتناع دخول الالف واللام عليهما وامتناع صرف المؤنث منهما فاذا أريد أن يكنى عن علم غير العاقل أدخلت عليهما الالف واللام للفرق ، تقول : ركبت الفلان وحلبت الفلانة تكنى بالاول عن نحو شقم (اسم البعير) وبالثاني عن نحو صيدح (اسم ناقة) وكذلك الكنى نحو أنى الفلان وأم الفلانة وقد يقال لواحد في النداء (يا فلان) بالضم وللاثنتين (يا فلان) وللجميع (يا فلون) وللاواحدة (يا فلة) وللاثنتين (يا فلتان) وإنما قال ابن المقفع فلان دون ألف ولام مع ان المعنى به ما لا يعقل لانه نزل الجميع منزلة الغلاء في المحاورات كافة

التي ربما احتيج فيها إلى من لا يؤبه له إفاؤه لا يكاد يخلو أحد — وإن كان صغير
 القدر والمنزلة — أن تكون عنده منفعة وإن صغرت ، فإن العود المبتور الملقى في
 الأرض ربما انتفع به فيأخذه الرجل تأكله أذنه فيحكها به . فالحيوان العالم
 بالضر والنفع أخرى أن ينتفع به . فلما سمع الأسد قول دمنة أعجبه وظن أن
 عنده نصيحة ورأيا . فأقبل على من حضر ، فقال : إن الرجل ذا العلم
 والمروءة يكون خامل الذكر ، خافض المنزلة ، فتأبى منزلته إلا أن تشبَّ
 وترتفع : كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعا . فلما عَرَفَ
 دمنة أن الأسد قد أُعْجِبَ به قال : إن رعية الملك تحضر باب الملك رجاء
 أن يعرف ما عندها من علم وافر . وقد يقال : إن الفضل في أمرين : فضل
 المقاتل على المقاتل ، والعالم على العالم . وإن كثرة الأعوان إذا لم يكونوا
 مختبرين ربما تكون مضرّة علي العمل ، فإن العمل ليس رجاءه بكثرة الأعوان
 ولكن بصالحى الأعوان : ومثل ذلك مثل الرجل الذى يحمل الحجر الثقيل فيثقل
 به نفسه ولا يجده ثمنا . والرجل الذى يحتاج إلى الجذوع لا يجزئه القصب
 وإن كثر . فأنت الآن — أيها الملك — حقيق ألا تحقر مروءة أنت تجدها
 عند رجل صغير المنزلة . فإن الصغير ربما عظم : كالعصب يؤخذ من الميئة ،
 فإذا أُحْمِلَ منه القوس^٢ أكرم ، فقبض عليه الملوك وتحتاج اليه في البأس واللهو
 وأحب دمنة أن يرى القوم أن ما ناله من كرامة الملك إنما هو لرأيه

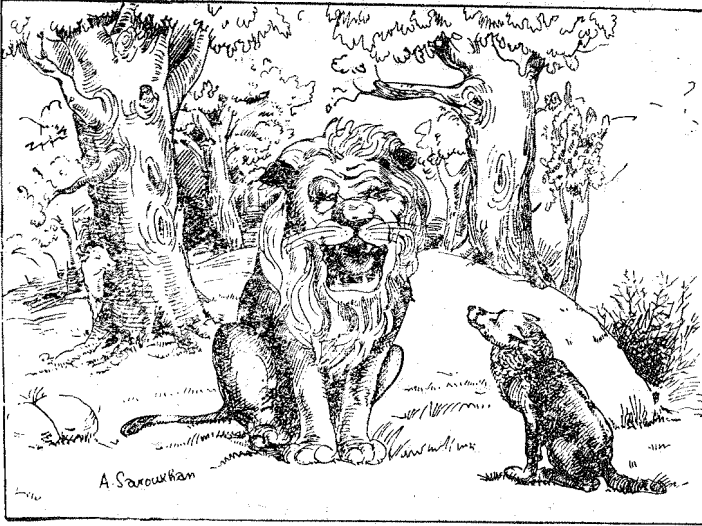
١ لا يلتفت اليه ٢ القوس : آلة على شكل نصف دائرة ترمى بها السهام
 تؤنث وتذكر . أما الاحتياج الى القوس في البأس في مثل الطعان . وأما اللهو في مثل
 الصيد أو التفاخر بتسديد الرماية و: ظهار التفوق ونحو ذلك

ومروءته وعقله ، لأنهم عرفوا قبل ذلك أن ذلك لمعرفته أباه ، فقال : إن السلطان لا يقرب الرجال لقرب آبائهم ، ولا يبعدهم لبعدهم . ولكن ينبغي أن ينظر إلى كل رجل بما عنده لأنه لأشياء أقرب إلى الرجل من جسده ، ومن جسده ما يدوى^١ حتى يؤذيه ، ولا يدفع ذلك عنه إلا بالدواء الذي يأتيه من بعد

فلما فرغ دمنة من مقاتلته هذه أعجب الملك به إعجاباً شديداً^٢ ، وأحسن الرد عليه ، وزاد في كرامته . ثم قال لجلسائه : ينبغي للسلطان ألا يلبج^٣ في تضيق حق ذوى الحقوق . والناس في ذلك رجلان : رجل طبعه الشراسة^٣ : فهو كالحية إن وطئها الواطئ فلم تلدغه لم يكن جديراً أن يغره ذلك منها فيعود إلى وطئها ثانياً فتلدغه . ورجل أصل طباعه السهولة : فهو كالصنبل البارد الذى إذا أفرط في حركه صار حاراً مؤذياً

ثم إن دمنة استأنس بالأسد وخلا به . فقال له يوما : أرى الملك قد أقام في مكان واحد لا يبرح منه . فما سبب ذلك ؟! فبينما هما في هذا الحديث إذ خار شربة خواراً شديداً ، فهيج الأسد ، وكره أن يخبر دمنة بما ناله . وعلم أن ذلك الصوت قد أدخل على الأسد ريبة وهيبة ، فسأله هل راب الملك سماع هذا الصوت ؟ قال لم يربنى شيء سوى ذلك . قال دمنة ليس

١ يقال دوى الرجل يدوى كعلم يعلم دوى بالتصر : مرض ٢ أعجب فلازم لبناء للمجهول ، ومنه المثل المشهور (كل فتاة بأبيها معجبة) بصيغة اسم المفعول ٣ سوء الخلق



الأسد وقد هنيجه شربة بخواره

المالك بحقيق أن يدع مكانه لأجل صوت . فقد قالت العلماء : إنه ليس من كل الأصوات تجب الهيبة . قال الأسد : وما مثل ذلك ؟ !
قال دمنة : زعموا أن ثعلباً أتى أجمة فيها طبل معلق على شجرة ، وكما هبت الريح على قضبان تلك الشجرة حركتها ، فضربت الطبل ، فسمع له صوت عظيم . فتوجه الثعلب ' نحوه لأجل ما سمع من عظيم صوته . فلما أنه وجدته ضخماً ، فأيقن في نفسه بكثرة الشحم واللحم ، فعامله حتى شقه .

١ الثعلب حيوان برى من أكلة اللحوم ويميز عن الكلب والذئب ونظيرهما بانخفاض قامته وتدب فيه وتصر عنقه وطول ذنبه وحدقة عينه بهيئة شق عمودى وأما أسنانه فكالذئب والكلب ، يضرب به المثل في التخلص من أعدائه بالمكر والحديعة

فلما رآه أجوف لا شيء فيه ، قال : لا أدري لعلّ أفضل الأشياء أجهرها صوتا ، وأعظمها جثّة



الثعلب وقد عاجل الطبل حتى شقه

الثعلب يفكر في ضخامة صوت الطبل

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا إليه لوجدناه أيسر مما في أنفسنا . فإن شاء الملك بعثنى وأقام بمكانه حتى آتته ببيان هذا الصوت . فوافق الأسد قوله . فأذن له بالذهاب نحو الصوت ، فانطلق دمنة إلى المكان الذي فيه شترية . فلما فصل دمنة من عند الأسد فكر الأسد في أمره ، وندم على إرسال دمنة حيث أرسله ، وقال في نفسه : ما أصبت في اثنتاني دمنة ، وقد كان يباني مطروحا . فإن الرجل إذا كان يحضر باب الملك وقد أبطلت حقه من غير جرم كان منه ، أو كان مبعيّا عليه عند سلطانه ، أو كان عنده معروف بالشرة

والحرص ، أو كان قد أصابه ضررٌ وضيق فلم ينعمه ، أو كان قد اجترمُ جرماً فهو يخاف العقوبة منه ، أو كان يرجو شيئاً يضرُّ الملك وله منه نفع ، أو يخاف في شيء مما ينفعه ضرراً ، أو كان لعدوِّ الملك مسلماً ، واسلله محارباً ، فليس السلطان بمحقق أن يعجل بالاسترسال إليه ، والثقة به ، والاثمان له ، فإن دمنة داهية أريب ، وقد كان يباني مطروحا مجفواً ، ولعله قد احتمل على بذلك ضيقاً ، ولعل^١ ذلك يحمله على خيانتى وإعانة عدوى وتهيصتي عنده ، ولعله صادف صاحب الصوت أقوى سلطاناً منى ، فرغب به عنى^٢ ويميل معه على . ثم قام من مكانه فمشى غير بعيد ، فبصر بدمنة مقبلاً نحوه ، فطابت نفسه بذلك ، ورجع إلى مكانه ، ودخل دمنة على الأسد . فقال له : ماذا صنعت ؟ وماذا رأيت ؟ قال : رأيت ثوراً هو صاحب الخوار والصوت الذى سمعته . قال : فما قوته ؟ قال : لا شوكة له ، وقد دنوت منه ، وحاورته محاورة الكفاء^٣ فلم يستطع لى شيئاً . قال الأسد : لا يغررك ذلك منه ، ولا يصغرُنَّ عندك أمره . فإن الريح الشديدة لا تبعاً بضيف الحشيش ،

١ لعل حرف عامل عمل الفعل ناصب للابتداء رافع للخبر على رأى الجمهور ، وقيل تنصب الاثنين ، قيل حرف جر زائد ، وإذا دخلت عليها (ما) كفتها ، وقيل تحمل على ليت فتعمل أيضاً بعد دخول (ما) ولها جملة معان : أحدها التوقع وهو ترجى المحبوب والاشفاق من المكروه (كما هو المراد هنا) والثانى : التعليل فى مثل (فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى) وربما فهم منها فى الآية الرجاء ، وأما اللغات التى وردت فيها فاحدى عشرة وهى : لعل بتسكين الآخر وعل وعن وعن وأن ولأن ولون ورغل ولعن ولفن ورغن بفتح الاول وتشديد الآخر فى الجميع ٢ يقال رغب به عنه : فضله عليه ، ورغب اليه : ابتل ، ورغب فيه : أحبه وحرص عليه ٣ الكفاء ومثله الكفاء بالكسر : جعان للكفرء مثله وهو النظر

لكنّها تحطّم طوال النخل وعظيم الشجر^٣. قال دمنة : لا تنهبنّ — أيها الملك — منه شيئاً ، ولا يكبرنّ عليك أمره ، فأنا آتيك به ليكون لك عبداً سامعاً مطيعاً . قال الأسد : دونك وما بدا لك^٤

فانطلقت دمنة إلى الثور ، فقال له غير هائب ولا مكترث : إن الأسد أرسلني إليك لآتيه بك ، وأمرني إن أنت^٥ عجّلت إليه طائعاً أن أوّمنك على ما سلف من ذنبك في التأخّر عنه وتركك لقساءه ، وإن أنت تأخّرت عنه وأحجمت أن أعجل الرجعة إليه فأخبره . قال له شترية : ومن هو هذا الأسد الذي أرسلك إليّ ؟ وأين هو ؟ وما حاله ؟ قال دمنة : هو ملك السباع ، وهو بمكان كذا^١ ، و معه جند كثير من جنسه . فرعب^٢ شترية من ذكر الأسد والسباع . وقال إن أنت جعلت لي الأمان على نفسي أقبلت معك إليه . فأعطاه دمنة من الأمان ما وثق به . ثم أقبل والثور معه حتى دخلا على الأسد ، فأحسن الأسد إلى الثور وقربه . وقال له : متى قدمت هذه

٢ النخل فهو المعروف وأصله من جزيرة العرب ولا يؤخذ ثمره الا في الافطار المعتدلة الحرارة ويكثر بفراخه التي تنبت حول الاناث وأما طريقة النوى فثمرها يفاير أصلها وربما لا يخرج منها الا الذكور ، وهو طويل العمر وقد تعيش النخلة قرناً

٤ تقدم نظيره وفيه ان الواو زائدة ودون اسم فعل أمر بمعنى خذ ه ان من أنت توكيد فاعل الفعل المحذوف يفسره المذكور والتاء للخطاب (وفعل أمر) يتمدي بنفسه الى مفعولين أو الى مفعول والثاني بواسطة الباء يقال : أمره به وأمره اياه ، واذاً فصدر (أن أوّمنك) اما أن يكون مفعولاً ثانياً لأمر أو مجروراً بحرف جر المحذوف قياساً مع (ان) ، ومثلها (أن أعجل) الواردة بعد ١ كذا : كلمة يكنى بها عن غير العدد وقيل يكنى بها عنه أيضاً وتمييزها يجب أن يكون منصوباً ولا تلزم الصدرة ، وأما استمالتها فلا يكون غالباً الا معطوفاً عليها مثلها

٢ يقال رعب الرجل يربع بنتح الدين فيهما : خاف ، لازم ويتمدي أيضاً فيقال رعبه

البلاد ؟ وما أقدمكم ؟ نقص شترية عليه قصته . فقال له الأسد : اصحبني



الأسد وشترية متصافين

دمنة يجي . بشترية لدى الأسد

والزمني فإني مُكرمك . فدعا له الثور ، وأثنى عليه

ثم إن الأسد قرَّب شترية وأكرمها وأنس به ، واثمنه على أسرارهِ وشاوره في أمره ، ولم تَزِدْهُ الأيام إلا عُجْباً به ، ورغبة فيه ، وتقريباً منه ، حتى صار أخص أصحابه عنده منزلة . فلما رأى دمنة أن الثور قد اختصَّ بالأسد دونهُ ودون أصحابه . وأنه قد صار صاحب رأيه وخلواته ولهوه حسده حسداً عظيماً ، وبلغ منه غيظه كلَّ مبلغ ، فشكا ذلك إلى أخيه كليمه ، وقال له : ألا تعجب يا أخي من عجز رأيي ، وصنعي بنفسي ، ونظري فيما ينفع الأسد ، وأغفلت نفع نفسي ، حتى جلبت إلى الأسد ثوراً غلبني على منزلي

.....

قال كليله : أخبرني عن رأيك وما تريد أن تعزم عليه^١ في ذلك . قال
دمنة : أما أنا فليست اليوم أرجو أن تزاد منزلتي عند الأسد فوق ما كانت
عليه . ولكن ألتبس أن أعود إلى ما كنت . فإن أموراً ثلاثة العاقل
جدير بالنظر فيها والاحتياط لها بجهده : منها النظر فيما مضى من الضر والنفع ،
فيحترس من الضر الذي أصابه فيما سلف ، لئلا يعود إلى ذلك الضرر ،
ويلتمس النفع الذي مضى ويحتال لمعاودته . ومنها النظر فيما هو مقيم فيه
من المنافع والمضار ، والاستيثاق بما ينفع ، والهرب مما يضر . ومنها النظر في
مستقبل ما يرجو من قبل النفع وما يخاف من قبل الضر ، ليستتم ما يرجو ويتوقى
ما يخاف بجهده . وإني لما نظرت في الأمر الذي به أرجو أن تعود منزلتي وما
غلبت عليه مما كنت فيه لم أجد حيلة ولا وجهاً إلا الاحتياط لا كل العشب
هذا ، حتى أفرق بينه وبين الحياة ، فإنه إن فارق الأسد عادت لي منزلتي ،
ولعل ذلك يكون خيراً للأسد ، فإن إفراطه في تقرب الثور خليف أن يشينه
ويضره في أمره . قال كليله : ما أرى على الأسد في رأيه في الثور ومكانه منه
ومنزله عنده شيئاً ولا شراً . قال دمنة : إنما يؤتى السلطان ويفسد أمره من
قبل ستة أشياء : الحرمان ، والفتنة ، والهوى ، والفضاظة ، والزمان ، والخرق
فأما الحرمان فإن يحرم صالح الأعوان والنصحاء والساسة من أهل
الرأى والنجدة والأمانة ، وترك التفقد لمن هو كذلك . وأما الفتنة فهو تحارب
الناس ووقوع الحرب بينهم . وأما الهوى فالإغرام بالحديث واللغو والشراب
والصيد وما أشبه ذلك . وأما الفضاظة فهي إفراط الشدة حتى يمحج اللسان

١ عزم الامر وعليه من باب ضرب : عقد ضميره على فله

بالشتم ، واليد بالبَطْش في غير موضعهما . وأما الزمان فهو ما يصيب الناس من السنين^١ والموت وقص الثمرات والغزوات وأشباه ذلك . وأما الخُرْق فاعمال الشدة في موضع اللين واللين في موضع الشدة . وإن الأسد قد أغرم^٢ بالثور إغراماً شديداً هو الذي ذكرت لك أنه خَلِيق أن يَشِينَهُ وَيَضُرَّهُ في أمره . قال كَلِيلَة : وكيف تُطِيق الثور وهو أشد منك وأكرم على الأسد منك وأكثر أعواناً ؟ قال دمنه : لا تنظر إلى صغرى وضعفى ، فإن الأمور ليست بالضعف ولا القوة ولا الصغر ولا الكبر في الجئنة ، فرب صغير ضعيف قد بلغ بحيلته ودَهائه ورأيه ما يعجز عنه كثير من الأقوياء ، أولم يبلغك أن غراباً^٣ ضعيفاً احتال لأَسود حتى قتله ؟ قال كَلِيلَة : وكيف كان ذلك ؟ قال دمنه : زعموا أن غراباً كان له وكر في شجرة على جبل ، وكان قريباً منه جُحْر نُعْبَان أسود ، فكان الغراب إذا فرّخَ عُمِدَ الْأَسود إلى فراخه فأكلها ، فبلغ ذلك من الغراب وأحزنه ، فشكا ذلك إلى صديق له من بنات آوى ، وقال له : أريد مشاورتك في أمر قد عزمت عليه . قال : وما هو ؟ قال الغراب : قد عزمت^٤ أن أذهب إلى الْأَسود إذا نام ، فأَتَقُرَّ عينيه فأفقاها ، لعلّي أستريح منه . قال ابن آوى : بش الحيلة التي احتلت^٥

١ السنين : جمع سنة وهي الجذب والقحط ٢ أغرم به : أولع وهو من الالفاظ التي لازمت البناء للمجهول ٣ الغراب : أربعة أنواع : أسود حالك ، وأبلى ، ومطرف بيباض لطيف الجرم يأكل الحب ، وأسود طاووسى براق الريش ورجلاه كالون المرجان يعرف بالزانغ ٤ عزم : تتمعدى بنفسها الى مفعول وتتمعدى اليه تارة بلى فالمصدر المأخوذ من (أن أذهب) اما أن يكون مفعولاً أو مجروراً بلى محذوفة ه . بش فعمل ماض ، والحيلة فاعل ، والتي مبتدا خبره الجملة من الفعل والفاعل المتقدمين أو خبر لمبتدا محذوف وجوبا تقديره (هي) التي احتلتها

فالتمس أمراً تصيب فيه بُغيتك من الأسود من غير أن تفرّ بنفسك



الأفعى يزدرد فراخ الغراب

الغراب والأسود

وتخاطر بها ، وإياك أن يكون مثلك مثل العلجوم^١ الذي أراد قتل السرطان^٢ فقتل نفسه . قال الغراب : وكيف كان ذلك ؟ !

١ العلجوم ذكر البط . أما البط فاسم لطيور من ذوات الارجل الكفية والمنقار الصفحي وهو ثلاث فصائل : النهري ويؤثر الماء العذب قادر على الطيران آكل للحوانات الرخوة الصغيرة والنباتات المائية الرطبة ومنه ما يعيش بعيداً عن الماء ويعيش في الاشجار . وذو الذنب الشائك وهو لا يبعد في الطيران لقصر جناحيه ، والبحري وهو يأكل الحيوانات الرخوة والاسماك الصغيرة ومنه المعروف بالذهبي العين وطول هذا عشرون قيراطا وطول جناحيه ٣٢ قيراطا وغذاؤه الحيوانات الرخوة القشرية والاسماك الصغيرة يصطادها غطسا وطيране قوي سريع جداً ولحمه سمى الطعم وهذا النوع « اتمامه المعنى في هذا المقام » وأما الفصائل المذكورة فيدخل تحتها أنواع لا تظيل القول فيها

٢ السرطان : حيوان مائي ذو فكين مخالبه وأظفاره حديد صلب الظهر كثير الانسان يسبح على جنب واحد ويسمى عقرب الماء يعيش في الماء العذب والملح ويقضى كثيراً من حياته في البر وأنواعه البحرية توجد على الشواطئ وبعضها يعيش في الاعماق أو يطفو على وجه الماء بعيداً عن الشاطئ الا اذا قدفته الامواج اليه ومنه أيضاً ما يكثر بين الاعشاب الطافية على وجه الماء

قال ابن آوى : زعموا أن عُلجوماً عَشَّشَ في أجمّة كثيرة السمك ، فعاش بها ماعاش ، ثم هَرِمَ ، فلم يستطع صيداً ، فأصابه جوع وجهد شديد . فجلس حزينا يلتمس الحيلة في أمره ، فمرَّ به سرطان ، فرأى حالته وما هو عليه من الكآبة والحزن ، فدنا منه ، وقال : مالى أراك أيها الطائر هكذا حزينا كئيباً ؟ ! قال العُلجوم : وكيف لا أحزن وقد كنت أعيش من صيد ما هاهنا من السمك ! . وإني قد رأيت اليوم صيادين قد مرّا بهذا المكان ، فقال أحدهما لصاحبه : إن هاهنا سمكاً كثيراً ، أفلا نصيده أولاً ؟ فقال الآخر : إني قد رأيت في مكان كذا سمكاً أكثر من هذا السمك ،



السمك والسرطان يستنير العُلجوم .



العُلجوم والسرطان .

فلنبدأ بذلك ، فإذا فرغنا منه جئنا إلى هذا فأفئدناه . وقد علمت أنهما إذا فرغما هناك اتبها إلى هذه الأجمّة فصطادا ما فيها ، فإذا كان ذلك فهو هلاكى ونفاد مدّتى . فانطلق السرطان من ساعته إلى جماعة السمك فأخبرهنَّ

بذلك . فأقبلن إلى العلجوم فاستشرنه ، وقلن له : إنا أتيناك لتشير علينا ، فإن ذا العقل لا يدع مشاورة عدوه . قال العلجوم : أما مكابرة الصيادين فلا طاقة لي بها ، ولا أعلم حيلة إلا المصير إلى غدیر قريب من هاهنا ، فيه سمك ومياه عظيمة وقصب . فإن استطعتن الانتقال إليه كان فيه صلاحكن وخصبكن . فقلن له : ما يمن علينا بذلك غيرك . فجعل العلجوم يحمل في كل يوم سمكتين حتى ينتهي بهما إلى بعض التلال فيأكلهما^١ . حتى إذا كان ذات يوم جاء لأخذ السمكتين فجاءه السرطان ، فقال له : إني أيضاً قد أشقت من مكاني هذا واستوحشت منه ، فاذهب بي إلى ذلك الغدير فاحتمله وطار به حتى إذا دنا من التل الذي كان يأكل السمك فيه نظر السرطان فرأى عظام السمك مجموعة هناك ، فعلم أن العلجوم هو صاحبها ، وأنه يريد به مثل ذلك . فقال في نفسه : إذا لقي الرجل عدوه في المواطن التي يعلم أنه فيها هالك ، سواء قاتل أو لم يقاتل^٢ ، كان حقيقاً أن يقاتل عن

١ كذلك عاقبة الذين استسلموا للأعداء واستنابوا لمساعدة الخادعين

٢ سواء هنا للتسوية . وإذا وقع بعد سواء همزة التسوية فلا بد من « أم » مع الكلمتين اسمين كاتتا أو فعلن تقول « سواء على أزيد جاء أم عمر ، وسواء على أقت أم قعدت » وإذا كان بعدها فلان بنبرهمزة الاستفهام عطف الثاني « بأو » فيقال « سواء على قت أو قعدت » وإذا كان بعدها مصدران عطف الثاني « بالواو » أو بأو حملا عليها فيقال « سواء على قيامك وقعودك وقيامك أو قعودك » ومثلا لفظه « بألى » ونحوها فانه إذا وقع بعدها همزة التسوية كان المعطف بأم والا فالمعطف « بأو » وأما أفعل التفضيل فلا يعطف إلا « بأم » فلا يقال زيد أفضل أو عمرو بل لا بد من « أم » إذ المراد طلب التعيين وهو من مواضع « أم » وإذا فقد أخطأ النسخ بوضع « أم » مكان (أو) في بعض النسخ . وأما رفعها فلي أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره وذلك سواء

نفسه كرمًا وحِفاظًا^١ . ثم أهوى بكليتيه^٢ على عُنق العُلجوم فعضره فمات .



السرطان وقد ضَـقَّطْ بكليتيه عنق العُلجوم فمات



للعُلجوم يأكل السمك

وتخلَّص السرطان إلى جماعة السمك ، فأخبرهن بذلك . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن بعض الحيلة مهلكة للمحتال . ولكنني أدلك على أمر إن أنت قدرت عليه كان فيه هلاك الأسود من غير أن تُهلك به نفسك ، وتكون فيه سلامتك . قال الغراب : وما ذاك ؟

قال ابن آوى : تنطلق فتبصَّر في طَيرانك لعلَّك أن تظفر^٣ بشيء من حُلَى النساء فتخطِفه ، ولا تزال طائرًا واقمًا بحيث لا تَقُوت العيون حتى تأتي جُحر الأسود فترمي بالحُلَى عنده . فإذا رأى الناس ذلك أخذوا حليهم

١ يقال : رجل ذو حِفاظ ومحافظة إذا كان عنده أُنفة وهو من قولهم : حافظ على

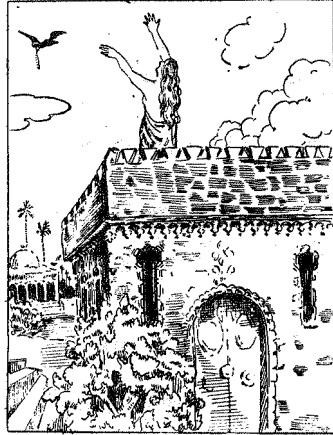
الامر : ذب عنه وذاد ٢ يريد من السكيتين فكي العلجوم

٣ لعل هنا محمولة على عسى ولذلك جاء في خبرها أن .

وأراحوك من الأسود . فانطلق الغراب محلّقاً في السماء ، فوجد امرأة من بنات العطاء فوق سطح تغتسل ، وقد وضعت ثيابها وحليها ناحية . فانقضَّ واختطف من حليها عقداً ، وطار به . فتبعه الناس ، ولم يزل طائراً واقعاً بحيث يراه كل أحد حتى انتهى إلى جحر الأسود ، فألقى العقد عليه ،



الناس تأخذ العقد وتقتل الأسود



الغراب يختطف العقد

والناس ينظرون إليه . فلما أتوه أخذوا العقد وقتلوا الأسود . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الحيلة تُجزئ ما لا تجزئ القوة ! . قال كليله : إن الثور لو لم يجتمع مع شدّته رأيه لكان كما تقول ، ولكن له مع شدّته وقوّته حسن الرأى والعقل . فماذا تستطيع له ؟ قال دمنة : إن الثور لكما ذكرت في قوّته ورأيه ، ولكنه مُقرّلى بالفضل ، وأنا خليق أن أصرعه كما صرعت الأرنب الأسود . قال كليله : وكيف كان ذلك ؟ !

١ أصل معنى تجزئ : تفنى وتكفى وتنوب والمراد تحدث ما لا تحدّثه القوة

قال دمنة : زعموا أن أسداً كان في أرض كثيرة المياه والعشب . وكان في تلك الأرض من الوحوش^١ في سعة المياه والمرعى شيء كثير ، إلا أنه لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الأسد ، فاجتمعت وأتت إلى الأسد ، فقالت له : إنك لتصيب منّا الدابة بعد الجهد والتعب ، وقد رأينا لك رأياً فيه صلاح لك وأمن لنا ، فإن أنت أمنتنا ولم تخفنا فلك علينا في كل يوم دابة نرسل بها إليك في وقت غدائك^٢ . فرضى الأسد بذلك ، وصلاح الوحوش عليه ، ووفين له به . ثم إن أرنبا أصابتها القرعة^٣ ، وصارت غداء الأسد . فقالت للوحوش : إن أتنّ رقتنّ بي فيما لا يضركن رجوت أن أزيحكُن من الأسد . فقالت الوحوش : وما الذي تكلفيننا من الأمور؟ قالت تأمرن الذي ينطلق بي إلى الأسد أن يمهلي ريثاً أبطئ عليه بعض الإبطاء . فقلن لها : ذلك لك . فانطلقت الأرنب متباطئة حتى جاوزت الوقت الذي كان يتغذى فيه الأسد . ثم تقدّمت إليه وحدها رويداً ، وقد جاع ، فغضب وقام من مكانه نحوها . فقال لها : من أين أقبلت ؟ قالت : أنا رسول

١ الوحوش جمع وحش : وهو ما لا يستأنس من دواب البر ٢ الغداء بالفتح طعام الغدوة وهو ضد المشاء ٣ القرعة بالضم : حيلة يتعين بها سهم الإنسان ونصيبه ٤ الريث مقدار المهلة من الزمان يقال ما قعدت عنده إلا ريثاً فعل كذا وكذا أي مقدار ما فعل ، وهو في الأصل مصدر أجروه ظرفاً كما أجروا مقدم الحنج وخفوق النجم في نحو قولك « جئت مقدم الحنج وذهبت خفوق النجم » أي في وقتها . وأكثر ما يستعمل مستثنى في كلام مني نحو ما قعدت عنده إلا ريثاً فرغنا من السلام ٥ رسول يستوي فيه المذكر والمؤنث وهو على خلاف القياس لأن فاعول الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث يكون بمعنى فاعل وأما هنا فبمعنى « مرسل » بفتح السين

الوحوش إليك ، بعثني ومعى أرنب لك ، فتبعني أسد في بعض تلك الطريق فأخذها مني ، وقال : أنا أولى بهذه الأرض وما فيها من الوحش . فقلت : إن هذا غداء الملك أرسلني به الوحوش إليه ، فلا تفصبه ، فسبك وشمك . فأقبلت مسرعة لأخبرك . فقال الأسد : انطلقى معى ، فأربنى موضع هذا الأسد . فانطلقت الأرنب إلى جُبٍ فيه ماء غامر صاف ، فاطلمت فيه وقالت : هذا المكان ، فاطلم الأسد ، فرأى ظله وظل الأرنب



الأسد يعرق والأرنب تعود



الأسد يمدح ظله وظل الأرنب في الجب

في الماء ، فلم يشك في قولها ، ووثب إليه ليقاتله فغرق في الجب . فأقبلت الأرنب إلى الوحوش فأعلمتهن صنيعها بالأسد . قال كيلة : إن قدرت على هلاك الثور بشيء ليس فيه مضرة للأسد

١ الجب : البئر ذات الماء الكثير ، والقاع : العمق

فشأنك ، فإن الثور قد أضربني وبك وبغيرنا من الجند . وإن أنت لم
تقدر على ذلك إلا بهلاك الأسد فلا تقدم عليه ، فإنه غدر مني ومنك . ثم
إن دمنة ترك الدخول على الأسد أياماً كثيرة ، ثم أتاه على خلوته منه . فقال
له الأسد : ما حبسك عني منذ زمان لم أراك ؟ ألا خير كان انقطاعك ؟
قال دمنة : فليكن خيراً أيها الملك . قال الأسد : وهل حدث أمر ؟ قال
دمنة : حدث ما لم يكن الملك يريد ولا أحد من جنده . قال : وما ذاك ؟
قال : كلام فظيع . قال : أخبرني به . قال دمنة : إنه كلام يكرهه سامعه ،
ولا يشجع عليه قائله . وإنك — أيها الملك — لذو فضيلة ، ورأيك يدلّك
على أن يوجعني أن أقول ما تكره ، وأثق بك أن تعرف نصحي وإيثاري
إياك على نفسي . وإنه ليعرض لي أنك غير مصدق فيما أخبرك به ، ولكنني
إذا تذكرت وتفكرت أن نفوسنا — معاشر الوحوش — متعلقة بك لم أجد بداً^٢
من أداء الحق الذي يلزمني ، وإن أنت لم تسألني وخفت ألا تقبل مني .
فإنه يقال : من كتم السلطان نصيحته والإخوان رأيه فقد خان نفسه .
قال الأسد : فما ذاك ؟

قال دمنة : حدثني الأمين الصدوق عندي أن شربة خلا برءوس
جندك ، وقال : قد خبرت الأسد ، وبلوت رأيه ومكيدته وقوته ، فاستبان
لي أن ذلك يؤول منه إلى ضعف وعجز ، وسيكون لي وله شأن من الشؤون .
فلما بلغني ذلك علمت أن شربة خوآن غدار ، وأنت أكرمته الكرامة

كلّها ، وجعلته نظير نفسك ، وهو يظن أنه مثلك ، وأنت متى زلت عن مكانك صار له ملكك ، ولا يدع جهداً إلا باعنه فيك . وقد كان يقال : إذا عرف الملك من الرجل أنه قد ساواه في المنزلة والحال فليصرعه ، فإن لم يفعل به ذلك كان هو المصروع . وشترية أعلم بالأمر وأبلغ فيها . والعامل هو الذى يحتال للأمر قبل تمامه ووقوعه ، فإنك لا تأمن أن يكون ولا تستدركه ، فإنه يقال : الرجال ثلاثة ، حازم ، وأحزم منه ، وعاجز . فأحد الحازمين من إذا نزل به الأمر لم يدهش له ولم يذهب قلبه شعاعاً ، ولم تعى به حيلته ومكيدته التي يرجو بها المخرج منه . وأحزم من هذا المتقدم ذو العدة الذى يعرف الابتلاء قبل وقوعه فيُعْظمه إعظاماً ويحتال له حتى كأنه قد لزمه ، فيحسب الداء قبل أن يُبتلى به ، ويدفع الأمر قبل وقوعه . وأما العاجز فهو في تردّد وتمنّ وتوان حتى يهلك . ومن أمثال ذلك مثل السمكات الثلاث . قال الأسد : وكيف كان ذلك ؟

قال دمنة : زعموا أن غديراً كان فيه ثلاث سمكات : كيّسة^٢ ، وأكيس منها ، وعاجزة ، وكان ذلك الغدير بنجوة^٣ من الأرض ، لا يكاد يقربه أحد ، وبقربه نهر جار . فاتفق أنه اجتاز بذلك النهر صيادان ، فأبصر الغدير ، فتواعدا أن يرجعا إليه بشبا كهما ، فيصيدهما فيه من السمك ، فسمع السمكات قولهما : فأما أكيسهنّ لما سمعت قولهما ارتابت بهما ، وتخوّفت منهما ، فلم تُعْرَج على شيء حتى خرجت من المكان الذى

يَدْخُلُ فِيهِ الْمَاءُ مِنَ النَّهْرِ إِلَى الْغَدِيرِ . وَأَمَّا الْكَيْسَةُ فَإِنَّهَا مَكَثَتْ مَكَانَهَا حَتَّى جَاءَ الصَّيَادَانِ . فَلَمَّا رَأَتْهُمَا وَعَرَفَتْ مَا يُرِيدَانِ ذَهَبَتْ لِتَخْرُجَ مِنْ حَيْثُ يَدْخُلُ الْمَاءُ ، فَإِذَا بِهِمَا قَدْ سَدَا ذَلِكَ الْمَكَانُ ، فَحِينَئِذٍ قَالَتْ : فَرَطْتُ ، وَهَذِهِ عَاقِبَةُ التَّفْرِيطِ ، فَكَيْفَ الْحِيلَةُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ؟ ! وَقَلَمَا تَنْجِجُ حِيلَةَ الْعَجَلَةِ وَالْإِرْهَاقِ . غَيْرَ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَقْنَطُ مِنْ مَنَافِعِ الرَّأْيِ ، وَلَا يَيَاسُ عَلَى حَالٍ ، وَلَا يَدْعُ الرَّأْيَ وَالْجُهْدَ . ثُمَّ إِنَّهَا تَمَاوَتْ ، فَطَلَعَتْ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ مَنَقَلِبَةً عَلَى ظَهْرِهَا تَارَةً ، وَتَارَةً عَلَى بَطْنِهَا ، فَأَخَذَهَا الصَّيَادَانِ فَوَضَعَاهَا عَلَى الْأَرْضِ بَيْنَ النَّهْرِ وَالْغَدِيرِ ، فَوُثِّبَتْ إِلَى النَّهْرِ فَتَجَّتْ . وَأَمَّا الْعَاجِزَةُ فَلَمْ تَزَلْ فِي إِقْبَالِ وَإِدْبَارِ حَتَّى صِيدَتْ

قَالَ الْأَسَدُ : قَدْ فَهِمْتُ ذَلِكَ وَلَا أَظُنُّ الثَّورَ يَغْشَى ، وَلَا يَرْجُو لِي الْغَوَائِلُ^١ ، وَكَيْفَ يَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَمْ يَرِ مَنَى سُوءًا قَطُّ ، وَلَمْ أَدْعُ خَيْرًا إِلَّا فَعَلْتَهُ مَعَهُ ، وَلَا أُمْنِيَّةَ إِلَّا بَلَّغْتَهُ إِيَّاهَا ؟ قَالَ دُمْنَةُ : إِنَّ اللَّئِيمَ لَا يَزَالُ نَافِعًا نَاصِحًا حَتَّى يُرْفَعَ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا بَأَهْلٌ ، فَإِذَا بَلَّغَهَا التَّمَسُّ مَا فَوْقَهَا ، وَلَا سِوَا أَهْلِ الْخِيَانَةِ وَالْفُجُورِ ، فَإِنَّ اللَّئِيمَ الْفَاجِرَ لَا يَخْدِمُ السُّلْطَانَ وَلَا يَنْصَحُ لَهُ إِلَّا مِنْ فَرَقٍ^٢ ، فَإِذَا اسْتَغْنَى وَذَهَبَتْ الْمُهَيْبَةُ عَادَ إِلَى جَوْهَرِهِ^٣ : كَذَنْبُ الْكَلْبِ الَّذِي يُرْبَطُ لَيْسَتْ تَقِيْمٌ ، فَلَا يَزَالُ مُسْتَوِيًّا مَا دَامَ مُرْبُوطًا ، فَإِذَا حُلَّ انْحَنَى وَاعْوَجَّ كَمَا كَانَ . وَاعْلَمْ — أَيُّهَا الْمَلِكُ — أَنَّهُ : مَنْ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ نَصِيحَائِهِ مَا يَنْقُلُ عَلَيْهِ مِمَّا يَنْصَحُونَ لَهُ بِهِ لَمْ يَحْمَدْ رَأْيَهُ : كَالْمَرِيضِ الَّذِي يَدْعُ مَا يَبْعَثُ لَهُ الطَّيِّبُ

ويعمد إلى ما يشتهي . وحقّ على مؤازر السلطان^١ أن يبالغ في التحضيض^٢ له على ما يزيد سلطانه قوّة ويزيّنه ، والكفّ عما يضرّه ويَشِينه . وخير الإخوان والأعوان أقلّهم مدهانة^٣ في النصيحة . وخير الأعمال أحلاها عاقبة . وخير النساء الموافقة لبعْلِها . وخير الثناء ما كان على أفواه الأُخيار . وأشرف الملوك من لم يخالطه بَطَر . وخير الأخلاق أعونها على الورع ، وقد قيل : لو أن امرأ توسّد النار وافترش الحيات كان أحقّ ألا يهنّئه النوم . والرجل إذا أحسّ من صاحبه عداوة يريد به لا يطمئن إليه . وأعجز الملوك أخذهم بالهويناء ، وأقلّهم نظراً في مستقبل الأمور ، وأشبههم بالفيل الهائج الذي لا يلتفت إلى شيء ، فإن أحزنه أمر تهان به ، وإن أضع الأمور حمّل ذلك على قرّائه . قال الأسد : لقد أغلظت في القول . وقول الناصح مقبول محمول ، وإن كان شربة معادياً لي كما تقول فإنّه لا يستطيع لي ضرراً . وكيف يقدر على ذلك وهو آكل عُشب وأنا آكل لحم ؟ ! وإنما هو لي طعام ، وليس عليّ منه مخافة . ثم ليس إلى الغدر به سبيل بعد الأمان الذي جعلته له ، وبعد إكراحي له ، وثنائى عليه . وإن غيّرت ما كان منّي وبذلته سفّهت رأيي ، وجهلّت نفسي ، وغدّرت بدمتي . قال دمنة : لا يفرّئك قولك « هو لي طعام وليس عليّ منه مخافة » فإن شربة إن لم يستطعك بنفسه احتال لك من قبل غيره . ويقال : إن استضافك ضيف ساعة من نهار وأنت

١ مؤازرة : معاضدة ومعاونة ٢ الحمل على الشيء ٣ المدهانة : المراعاة .

٤ الهويناء : الرفق واللين

لا تعرف أخلاقه فلا تأمنه على نفسك ، ولا تأمن أن يصلاك منه أو بسببه ما أصاب القملة من البرغوث . قال الأسد : وكيف كان ذلك ؟ قال دمنة : زعموا أن قملة لزمت فراش رجل من الأغنياء دهرًا ، فكانت تُصيب من دمه وهو نائم لا يشعر ، وتدب ديبًا رقيقًا ، فكثت كذلك حينًا ، حتى استضافها ليلة من الليالي برغوث . فقالت له : بت الليلة عندنا في دم طيب وفراش لين . فأقام البرغوث عندها ، حتى إذا أوى الرجل الى فراشه وثب عليه البرغوث فلدغه لدغة أيقظته ، وأطارت النوم عنه . فقام الرجل وأمر أن يُقتش فراشه ، فنظر فلم ير إلا القملة ، فأخذت تقصعت وفر البرغوث . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لا يسلم من شره أحد . وإن هو ضعف عن ذلك جاء الشر بسببه . وإن كنت لا تخاف من شتربة نفخ غيره من جنك الذين قد حملهم عليك وعلى عداوتك . فوقع في نفس الأسد كلام دمنة . فقال : ما الذي ترى إذا ؟ وبماذا تشير ؟ قال دمنة : إن الضرس المكسور المسأ كول لا يزال صاحبه منه في ألم وأذى حتى يفارقه . والطعام الذي قد غشت النفس عنه وتقلقت منه ، الراحة في قذفه . والعدو المخوف دواؤه قتله . قال الأسد : لقد تركتني أكره مجاورة شتربة إياي ، وأنا مُرسَل إليه ، وذاكر له ما وقع في نفسي منه ، ثم أمره باللاحاق حيث أحب . فكره دمنة ذلك ، وعلم أن الأسد متى كلم شتربة في ذلك وسمع منه جوابًا عرف باطل ما أتى به ، واطلع على غدره وكذبه ، ولم يخف عليه

أمره . فقال للأسد : أما إرسالك إلى شترية فلا أراه لك رأياً ولا حزمًا .
 فليُنظرُ الملك في ذلك ، فإن شترية متى شعر بهذا الأمر خفت أن يعاجل
 الملك بالمكابرة . وهو إن قاتلك قاتلك مستعدًا ، وإن فارقك فارقك فراقًا
 يليك منه النقص . ويلزمك منه العار . مع أن ذوى الرأى من الملوك
 لا يُعلنون عُقوبة من لم يُعلن ذنبه . ولكن لكل ذنب عندهم عقوبة :
 فلذنب العلانية عُقوبة العلانية ، ولذنب السرّ عقوبة السرّ . قال الأسد :
 إن الملك إذا عاقب أحداً عن ظنة ظنها من غير تيقن بجرمه فنفسه عاقب ،
 وإياها ظلم . قال دمنة : أما إذا كان هذا رأى الملك فلا يدخلن عليك شترية
 إلا وأنت مستعدّ له . وإياك أن تصيدك منه غرة أو غفلة ، فإنى لا أحسب
 الملك حين يدخل عليه إلا سيعرف أنه قد همّ بعظيمة ^١ . ومن علامات
 ذلك أنك ترى لونه متغيرًا ، وترى أوصاله ^٢ تُرعد ، وتراه ملتفتًا يمينًا وشمالًا ،
 وتراه يهزّ قرنيه : فعل الذى همّ بالنطاح والقتال . قال الأسد : سأكون
 منه على حذر ، وإن رأيت منه ما يدلّ على ما ذكرت علمت أن ما فى أمره شكّ
 فلما فرغ دمنة من حمل الأسد على الثور وعرف أنه قد وقع في نفسه
 ما كان يلمس ، وأن الأسد سيتحذر الثور ويتهيأ له ، أراد أن يأتى الثور
 ليغريه بالأسد ، وأحبّ أن يكون إتيانه من قبل الأسد مخافة أن يبلغه
 ذلك فيتأذّى به . فقال : أيها الملك ، ألا آتى شترية فأنظر إلى حاله وأمره
 وأسمع كلامه ، لعلّ أطلع على سرّه ، فأطلع الملك على ذلك وعلى ما يظهر لى

١ أى بفعلة شعاء ٢ الاوصال: الاعضاء أو المفاصل: جمع وصل بكسر الواو

منه . فأذن له الأسد في ذلك ، فانطلق فدخل على شترية كالكئيب الحزين



انتناس شترية بدمه



دحول دمنة على شترية كشيا

فلما رآه الشور رحّب به ، وقال : ما كان سبب انقطاعك عني^١ ، فإنني لم أرك منذ أيام ، ولعلك في سلامة . قال دمنة : ومتي كان من أهل السلامة من لا يملك نفسه ، وأمره بيد غيره ممن لا يوثق به ، ولا ينفك على خطر وخوف حتى ما من ساعة تمرّ ويأمن فيها على نفسه ! قال شترية : وما الذي حدث ؟ قال دمنة : حدث ما قدّر وهو كائن . ومن ذا الذي غالب القدر ؟ ومن ذا الذي بلغ من الدنيا جسيما من الأمور فلم يبطر^٢ ؟ ومن ذا الذي بلغ مناه فلم يغتر^٣ ؟ ومن ذا الذي تبسّع هواه فلم يخسر ؟ ومن ذا الذي طلب من اللثام

١ يجوز أن تكون (كان) زائدة ، وما مبتدأ وسبب خبره . ويجوز أن تكون ناقصة واسمها يعود على (ما) وسبب خبرها ٢ يقال : بطر فلان كفرح : أخذه دهشة وحيرة عند هجوم النعمة فلم يقدّر بحقها ، أو طغى بالنعمة

فلم يُحَرِّمْ ؟ ومن ذا الذى خالط الأشرار فسلم ؟ ومن ذا الذى صحب السلطان فدام له منه الأمن والإحسان ؟ قال شترية : إني أسمع منك كلاماً يدلّ على أنه قد رابك من الأسد ريب ، وهالك^١ منه أمر. قال دمنة : أجل^٢ ، لقد رابني منه ذلك ، وليس هو في أمر نفسي . قال شترية : ففي نفس من رابك ؟ قال دمنة : قد تعلم ما بيني وبينك ، وتعلم حقك علىّ ، وما كنت جعلت لك من العهد والميثاق أيام أرسلني الأسد إليك ، فلم أجد بُدّاً من حفظك وإطاعتك على ما أطلعت عليه بما أخاف عليك منه. قال شترية : وما الذى بلغك ؟ قال دمنة : حدّثني الخبير الصدوق الذى لا مريّة^٣ في قوله أن الأسد قال لبعض أصحابه وجلسائه : قد أعجبني سمن الثور ، وليس لى إلى حياته حاجة ، فأنا آكله ومُطعم أصحابي من لحمه . فلما بلغني هذا القول وعرفت غدره وتقصّ عهده أقبلت إليك لأقضى حقك ، وتحتال أنت لأمرك . فلما سمع شترية كلام دمنة وتذكر ما كان دمنة جعل له من العهد والميثاق وفكر في أمر الأسد ، ظنّ أن دمنة قد صدقه ونصّح له ، ورأى أن الأمر شبيه بما قال دمنة ، فأهمّه ذلك ، وقال : ما كان للأسد أن يغدر بي ولم آت إليه ذنباً ، ولا إلى أحد من جنده منذ صحبتته^٤ ، ولا

١ هاله الامر يهوله : أفرعه وعظم عليه ٢ أجل : حرف جواب بمعنى نعم فعناه التصديق ان وقع بعد الماضي نحو هل قام محمود ، والوعد ان وقع بعد المستقبل ٣ المريّة بالكسر وتضم : الشك ، والجدل ٤ أما منذ فهي كمد ويجوز فيها ضم الميم وكسرها ولهما ثلاث حالات : (الاولى) أن يليها اسم مجرور ، والصحيح حينئذ أنهما حرفا جر في هذا المقام . ومثما « من » ان كان الزمن ماضياً أو في ان كان

أظن الأسد إلا قد نحل على بالكذب وشبه عليه أمرى، فإن الأسد قد صحبه قوم سوء، وجرب منهم الكذب وأموراً هي تصدق عنده ما بلغه من غيرهم. فإن صحبة الأشرار ربما أورثت صاحبها سوء ظن بالأخيار، وحملته تجربته على الخطأ كخطأ البطّة التي زعموا أنها رأت في الماء ضوء كوكب فظنته سمكة، فحاولت أن تصيدها، فلما جربت ذلك مراراً علمت أنه ليس بشيء يصاد، فتركته. ثم رأت من غد ذلك اليوم سمكة فظنت أنها مثل الذى رآته بالأمس فتركتها ولم تطلب صيدها. فإن كان الأسد بلغه عنى كذب فصدقه على وسمعه فى، فما جرى على غيرى يجرى على، وإن كان لم يبلغه شيء وأراد السوء بى من غير علة فإن ذلك لمن أعجب الأمور. وقد كان يقال: إن من العجب أن يطلب الرجل رضاء صاحبه ولا يرضى، وأعجب من ذلك أن يلتبس رضاءه فيسخط، فإذا كانت الموجدة عن علة كان الرضاء موجوداً، والعفو مأمولاً. وإذا كانت عن غير علة انقطع الرجاء، لأن العلة إذا كانت الموجدة فى ورودها

الزمن حاضراً، ويجوز فيها أن يكونا بمعنى (من) و (الى) إذا كان المجرور معدوداً تقول مارأيت منذ يوم الجمعة، أو منذ يومنا، أو منذ ثلاثة أيام (الثانية) أن يليهما اسم مرفوع ومعناها حينئذ الامد ان كان الزمان حاضراً أو معدوداً وأول المدة ان كان ماضياً ويعربان إذا (على المشهور) مبتدأين وما بعدهما خبر تقول مارأيت منذ يومان، والمعنى (الامد يومان) ويجوز أن يكونا ظرفين مضافين للجملة (وقد حذف فعلها) والتقدير منذ كان يومان (الثالثة) أن يليهما الجمل الفعلية أو الاسمية كما فى هذا المقام والمشهور حينئذ أن يكونا ظرفين مضافين للجملة، وهناك غير آراء ما ذكرناه مما لم نرفيه مسيس حاجة ١ شبه عليه الامر بالبناء للمجهول: اشبهه عليه والتبس بغيره

كان الرضاء مأمولا في صدورها^١

قد نظرت فلا أعلم بيني وبين الأسد جرما ولا صغير ذنب ولا كبيره . ولعمري ما يستطيع أحد أطال صحبة صاحب أن يحترس في كل شيء من أمره ، ولا أن يتحفظ من أن يكون منه صغيرة أو كبيرة يكرها صاحبه . ولكن الرجل ذا العقل وذا الوفاء إذا سقط عنده صاحبه سقطة نظر فيها وعرف قدر مبلغ خطئه عمداً كان أو خطأ . ثم ينظر : هل في الصفح عنه أمر يخاف ضرره وشينه فلا يؤاخذ صاحبه بشيء يجد فيه إلى الصفح عنه سبيلا ؟ . فإن كان الأسد قد اعتقد على ذنباً فلست أعلمه إلا أني خالفته في بعض رأيه نصيحة له ، فعساه أن يكون قد أنزل أمرى على الجرأة عليه والمخالفة له . ولا أجدل في هذا المحضر إنما ما^٢ ، لأنني لم أخالفه في شيء إلا ما قد ندر من مخالفة الرشد والمنفعة والدين ، ولم أجاهر بشيء من ذلك على رءوس جنده وعند أصحابه . ولكنني كنت أخلو به وأكلمه سرا كلام الهائب الموقر ، وعلمت أنه من التمس الرخص^٣ من الإخوان عند المشاورة ، ومن الأطباء عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ منافع الرأي ، وازداد فيما وقع فيه من ذلك تورطا ، وحمل الوزر . وإن لم يكن هذا فمسي أن يكون ذلك من بعض سكرات السلطان . فإن مصاحبة السلطان خطرة وإن صوحب بالسلامة والثقة والمودة وحسن الصحبة . وإن

١ أصل الورود : ورود الماء والصدور الرجوع عنه
٢ ما هنا : نكرة
٣ الرخص : جمع
ناقصة وتسمى الإبهامية ومعناها أي شيء وهنا : إنما أي اثم
رخصة وهي اليسر والسهولة ، وفي الشرع ما أقيم على أعذار العباد

لم يكن هذا فبعض ما أوتيت من الفضل قد جعل لي فيه الهلاك . وإن لم يكن هذا ولا هذا فهو إذاً من مواقع القضاء والقدر الذى لا يدفع . والقدر هو الذى يسلب الأسد قوته وشدته ويدخله القبر . وهو الذى يحمل الرجل الضعيف على ظهر الفيل الهائج . وهو الذى يسلط على الحية ذات الحمة من ينزع حتمها ويلعب بها . وهو الذى يجعل العاجز حازماً ، ويثبط الشهم ، ويوسع على المقتر ، ويشجع الجبان ، ويحيي الشجاع عندما تعثره المقادير من العلل التي وضعت عليها الأقدار

قال دمنة : إن إرادة الأسد بك ليست من تحميل الأشرار ولا سكرة السلطان ولا غير ذلك ، ولكنّها القدر والفُجور منه^١ ، فإنه فاجر خوّان غدار ، لطعامه حلاوة ، وآخره سمٌ مُميت . قال شربة : فأراني^٢ قد استلذت الحلاوة إذ ذقتها ، وقد انتهيت إلى آخرها الذى هو الموت . ولولا الحين ما كان مُقامى عند الأسد ، وهو آكل لحم وأنا آكل عُشب . فأنا في هذه الورطة كالنحلة^٣ التي تجلس على السيلوفر^٤ إذ تستلذ ريحه وطعمه ،

١ الفجور : الانبعاث في المعاصي ٢ فأراني : على صيغة المبني للمجهول بمعنى أظنني
٣ النحل : ذباب العسل واحده نحلة يرعى الازهار والثمرات فاذا ما رأى موضعاً نقياً بنى فيه بيوتاً من الشع ثم بنى البيوت التي تأوي فيها ملوكهم ثم بيوت الذكور التي لا تعمل شيئاً ثم تلقى البذر فيها بنته لانه لها بمنزلة العنكبوت قالوا فاذا ألقته حضنته كما يحضن الطير فيخرج منه دود أبيض ينهض بعد قليل ويندب نفسه ثم يطير
٤ السيلوفر يفتح النون وكسرها وتبدل لامه نونا : من النباتات التي تثبت في المياه الراكدة له أصل يشبه أصل الجوز وساقه ملساء تشبه ملاءة البردى أما طوله فيحسب عمق الماء لانه لا يورق تحت سطحه فاذا ما طال وساوى سطحه أورق وأزهر . ورقه عريض يقرب من الدائرة . وأما زهره فتسع له رونق وجمال . ولفظه ليس بمرى

فتجلسها تلك اللذة . فإذا جاء الليل ينضم عليها ، فتلجج فيه وتموت . ومن لم يرض من الدنيا بالكفاف الذى يُغنيه ، وطمعت عينه إلى ما سوى ذلك^١ ولم يتخوف عاقبتها كن كالذباب الذى لا يرضى بالشجرة والرياحين ، ولا يُقنعه ذلك حتى يطلب الماء الذى يسيل من أذن الفيل ، فيضربه الفيل بأذنيه فيهلكه . ومن يبذل وده ونصيحته لمن لا يشكره فهو كمن يبذر في السباخ^٢ . ومن يُشر على المعجب^٣ فهو كمن يشاور الميت أو يسار^٤ الأصم . قال دمنه : دع عنك هذا الكلام ، واحتل لنفسك . قال شتربة : بأى شيء أحتال لنفسى إذا أراد الأسد أكلى مع ما عرفتني من رأى الأسد وسوء أخلاقه ؟ . واعلم أنه لو لم يُردبى إلا خيراً ثم أراد أصحابه بمكرهم وفجورهم هلاكى لقدروا على ذلك . فإنه إذا اجتمع المكرة الظامة على البرىء الصحيح كانوا خلقاء أن يهلكوه وإن كانوا ضعفاء وهو قوى : كما أهلك الذئب والغراب وابن آوى الجمل حين اجتمعوا عليه بالمكر والخديعة والخيانة^٥ . قال دمنه : وكيف كان ذلك ؟ !

قال شتربة : زعموا أن أسداً كان في أجمة مجاورة لطريق من طرق الناس ، وكان له أصحاب ثلاثة : ذئب ، وغراب ، وابن آوى ، وأن رعاة

١ طمح بصره الى الشيء كقطع طمحا وطموحاً وطماحاً بالكسر : ارتفع نظره شديداً ٢ السباخ من الارض ما لم يحث ولم يعمر ٣ أعجب الرجل (مبنياً للمجهول) بنفسه وبما عنده : زها واستكبر وكان ذا عجب (بالضم) ٤ الاصم : ذو الصمم وهو الذى لا يسمع . وساره : نجاه ٥ تقدم شرح الذئب وابن آوى ، وأما الجمل فهو الحيوان المعروف ويتنوع الى نوعين ذوالسنامين ويسمى البقريانى ، والجمل العربى وله سنام واحد والهجين ضرب كريم منه وهو يصبر على العطش كثيراً

مرّوا بذلك الطريق ومعهم جمال ، فتحلّف منها جل فدخل تلك الأجمة حتى انتهى إلى الأسد . فقال له الأسد : من أين أقبلت ؟ قال : من موضع كذا . قال : فما حاجتك ؟ قال : ما يأمرني به الملك . قال : تقيم عندنا في السّعة والأمن والخصب . فأقام الأسد والجل معه زمناً طويلاً . ثم إن الأسد مضى في بعض الأيام لطلب الصيد ، فلقي فيلاً عظيماً ، فقاتله قتالاً شديداً ،



الفيل نكث مُتخناً بالجراح



مقاتلة الأسد لليل

وأفلّت منه مثقلاً مُتخناً بالجراح^١ يسيل منه الدم ، وقد خدّشه الفيل بأنيابه^٢ . فلما وصل إلى مكانه وقع لا يستطيع حراكاً ، ولا يقدر على طلب الصيد . فلبث الذئب والغراب وابن آوى أياماً لا يجدون طعاماً ، لأنهم كانوا يأكلون من فضلات الأسد وطعامه ، فأصابهم جوع شديد وهزال

١ مثقلاً بمعنى ثقيلاً من كثرة ما أصابه . ويقال : أثخنه الجراحة : أوهنته وأضعفته

٢ الأنياب جمع ناب (مؤنثاً) هي السن خلف الرباعية وكذلك يجمع على أنيب ونيوب وأناييب

وعرف الأسد ذلك منهم ، فقال : لقد جهدت^١ واحتجتم إلى ما تأكلون .
 فقالوا : لا تهمنى أنفسنا ، لكننا نرى الملك على ما نراه ، فليتنا نجد ما يأكله
 ويصلحه . قال الأسد : ما أشك في نصيحتكم ، ولكن اتشربوا لعلمكم
 نصيبون صيداً تأتونى به ، فيصيبني ويصيبكم منه رزق . فخرج الذئب
 والغراب وابن آوى من عند الأسد ، فتنحوا ناحية ، وتشاوروا فيما بينهم ،
 وقالوا : ما لنا ولهذا الأكل العشب الذى ليس شأنه من شأننا ! ولا
 رأيه من رأينا ! ألا نزين للأسد فيأكله ، ويطعمنا من لحمه ؟ قال ابن آوى :
 هذا مما لا نستطيع ذكره للأسد ، لأنه قد أمّن الجمل ، وجعل له من ذمته
 عهداً . قال الغراب : أنا أكفيكم أمر الأسد . ثم انطلق فدخل على الأسد ،
 فقال له الأسد : هل أصبت شيئاً ؟ قال الغراب : إنما يصيب من يسعى
 ويُبصر . وأما نحن فلا سعى لنا ولا بصر لما بنا من الجوع . ولكن قد وُفقنا
 لرأى واجتمعنا عليه ، إن وافقنا الملك فنحن له محبيون . قال الأسد : وما
 ذاك ؟ قال الغراب : هذا الجمل آكل العشب ، المتمرغ بيننا من غير منفعة
 لنا منه ، ولا ردّ عائدة ، ولا عمل يُعقب مصلحة . فلما سمع الأسد ذلك
 غضب ، وقال : ما أخطأ رأيك ! وما أعجز مقالك وأبعدك من الوفاء والرحمة !
 وما كنت حقيقاً أن تجترئ على بهذه المقالة ، وتستقبلنى بهذا الخطاب ،
 مع ما علمت من أنى قد آمنت الجمل وجعلت له من ذمتي^٢ . أولم يبلغك !

١ يقال جهد كسبح جهداً : نكد واشتد . ويقال جهد بالبناء للمفعول : غم ومنه
 قولهم (أصحابهم فحوط من المطر فجهدوا جهداً شديداً) ٢ أى جعلت له عهداً
 من ذمتي تخفف المفعول للعلم به

أنه لم يتصدق متصدق بضدقة هي أعظم أجراً من آمن نفساً خائفة، وحقن دماً مُهدراً! وقد آمنت به ولست بغادر به. قال الغراب: إني لأعرف ما يقول الملك. ولكن النفس الواحدة يُقتدى بها أهل البيت، وأهل البيت تقتدى بهم القبيلة، والقبيلة يقتدى بها أهل المصر، وأهل المصر فداء الملك. وقد نزلت بالملك الحاجة. وأنا أجعل له من ذمته مخرجاً على ألا يتكلف الملك ذلك^١، ولا يليه بنفسه، ولا يأمر به أحداً، ولكننا نحتال بحيلة لنا وله^٢ فيها إصلاح وظفر. فسكت الأسد عن جواب الغراب عن هذا الخطاب، فلما عرف الغراب إقرار الأسد أتى أصحابه، فقال لهم: قد كلمت الأسد في أكله الجمل على أن نجتمع نحن والجمل عند الأسد، فنذكر ما أصابه، ونتوجع له اهتماماً منا بأمره، وحرصاً على صلاحه، ويعرض كل واحد منا نفسه عليه تجملاً لياأكله، فيرد الآخرا ن عليه، ويسفهان رأيه، ويدينان الضرر في أكله. فإذا فعلنا ذلك سألنا كلاً ورضي الأسد عنا. ففعلوا ذلك، وتقدموا إلى الأسد. فقال الغراب: قد احتجت — أيها الملك — إلى ما يقويك، ونحن أحق أن نهب أنفسنا لك، فإننا بك نعيش، فإذا هلكت فليس لأحد منا بقاء بعدك، ولا لنا في الحياة من خيرة، فليأكلني الملك، فقد طببت بذلك نفساً. فأجابه الذئب وابن آوى: أن اسكت^٣،

١ على حرف جر ومعناها هنا الاستدراك والاضراب وهي المصدر المجرور بها
تعب خيراً لمبتدأ محذوف تقديره والتدبير مدبر على ألا يتكلف الملك ذلك . . .

٢ الضمير هنا يعود الى الملك لا الجمل ٣ أن هنا هي ما تسمى المفسرة لانها
وقعت بعد ما فيه معنى القول وهو فاجابه

فلا خير للملك في أكلك ، وليس فيك شيع ، قال ابن آوى : لكن أنا أشيع الملك ، فليأكلني ، فقد رضيت بذلك ، وطبت عنه نفساً ، فردَّ عليه الذئب والغراب بقولهما : إنك لمنتن قدير ، قال الذئب : إني لست كذلك فليأكلني الملك ، فقد سمحت بذلك ، وطبت عنه نفساً ، فاعترضه الغراب وابن آوى ، وقالوا : قد قالت الأطباء : من أراد قتل نفسه فليأكل لحم ذئب . فظنَّ الجمل أنه إذا عرَّض نفسه على الأكل التمسوا له عذراً كما التمس بعضهم لبعض الأعذار ، فسلم ويرضى الأسد عنه بذلك ، وينجو من المهالك . فقال : لكن أنا فيَّ للملك شيع وري ، ولحي طيب هني ، وبطني نظيف ، فليأكلني الملك ويطعم أصحابه وخدمته ، فقد رضيت بذلك



وثبهم على الجمل وتزريقه



يا عمرو بالجمل ليعرض نفسه

وطابت نفسي عنه ، وسمحت به . فقال الذئب والغراب وابن آوى : لقد صدق الجمل وكرُم ، وقال ما عرَّف . ثم إنهم وثبوا عليه فمزقوه

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنه إن كان أصحاب الأسد قد اجتمعوا على هلاكى ، فإنى لست أقدر أن أمتنع منهم ولا أحترس ، وإن كان رأى الأسد لى على غير ما هم عليه من رأى فى فلا ينفعنى ذلك ، ولا يُغنى عنى شيئاً . وقد يقال : خير السلاطين من عدل فى الناس ، ولو أن الأسد لم يكن فى نفسه لى إلا الخير والرحمة لغيرته كثرة الأقويل ، فإنها إذا كثرت لم تلبث دون أن تذهب الرقة والرأفة . ألا ترى أن الماء ليس كالقؤل ، وأن الحجر أشد من الإنسان . فالماء إذا دام انحدره على الحجر لم يلبث حتى يثقبه ويؤثر فيه ، وكذلك القول فى الإنسان . قال دمنة : فماذا تريد أن تصنع الآن ؟ قال شتربة : ما أرى إلا الاجتهاد والمجاهدة بالقتال . فإنه ليس للمصلّى فى صلاته ، ولا للمتصدق فى صدقته ، ولا للورع فى ورعه من الأجر ما للمجاهد عن نفسه إذا كانت مجاهدته على الحق . قال دمنة : لا ينبغي لأحد أن يخاطر بنفسه وهو يستطيع غير ذلك . ولكن ذا رأى جاعل القتال آخر الحيل ، وبادئ قبل ذلك بما استطاع من رفق وتمحل^١ ، وقد قيل : لا تحقرن العدو الضعيف المهن^٢ ، ولا سيما إذا كان ذا حيلة ويقدر على الأعوان ، فكيف بالأسد على جراته وشدته ؟ ! فإن من حقر عدوه لضعفه أصابه ما أصاب وكيل البحر^٣ من الطيطوى^٤ . قال شتربة : وكيف كان ذلك ؟

١ التحمل : طلب الشيء بحيلة وتكاف ٢ المهن : الحقيير ٣ وكيل البحر
وفى بعض النسخ الموكل بالبحر يؤخذ من سياق المثل أنه حيوان بحرى أو خرافى
لا وجود له ٤ الطيطوى : من الطيور التى لا تفارق الأجام والمياه لانه

قال دمنة : زعموا أن طائراً من طيور البحر يقال له الطيطوى كان وطنه على ساحل البحر ، ومعه زوجة له . فلما جاء أوان تفريخها قالت الأنثى للذكر : لو التمسنا مكاناً حَرِيْراً نُفَرِّخُ فيه ، فَإِنِ أخشى من وكيل البحر إذا مدَّ الماء أن يذهب بفراخنا . فقال لها : أفرخي مكانك ، فإنه موافق لنا والماء والزهر مناس قريب . قالت له : يا غافل ! ليحسنُ نظرك فَإِنِ أخاف وكيل البحر أن يذهب بفراخنا . فقال لها : أفرخي مكانك ، فإنه لا يفعل ذلك . فقالت له : ما أشدَّ تعنتك ! أما تذكر وعيده وتهدهد إياك ! ألا تعرف



وكيل البحر يتناول فراخ الطيطوى



الطيطوى يتحدث إلى زوجته

نفسك وقدرك ؟ ! فَإِنِ أن يُطاعِها . فلما أكرّث عليه ولم يسمع قولها قالت

لا ينال قوته الا في شاطئ النياض والآجام من دود تن . وقيل يطعن هذا الطائر ويصيح ولا ينفر من موضعه الا اذا طلبه البازي فيهرب ، فاذا كن في الليل صاح وأما في النهار فيكن في الحشيش ولا يصيح

له : إن من لم يسمع قول الناصح يُصيبه ما أصاب السُّلْحَفَاءُ حين لم تسمع قول البَطَّين . قال الذَّكر : وكيف كان ذلك ؟

قالت الأُنثى : زعموا أن غديرًا كان عنده عُشْب ، وكان فيه بَطَّان وكان في الغدير سُلْحَفَاءٌ بينها وبين البطَّين مودَّةٌ وصداقة ، فاتَّفَقَ أن غِيضَ ذلك الماء ، فجاء البَطَّان لودَّاع السُّلْحَفَاءِ ، وقالتا : السلام عليك ، فإننا ذاهبتان عن هذا المكان لأجل نقصان الماء عنه . فقالت إنما يَبِينُ نُقصان الماء على مثلى ، فإنى كأنى السفينة لا أقدير على العيش إلا بالماء . فأما أنما فتقديران على العيش حيث كنتم ، فاذهبا بي معكما . قالتا لها : نعم . قالت : كيف السبيل إلى حملى ؟ قالتا : نأخذ بطرفى عود وتعلِّقين بوسطه ،



سقوط السُّلْحَفَاءِ وموتها



الطَّان والسُّلْحَفَاءِ

١ السُّلْحَفَاءُ بضم ففتحتين بينهما سكون ، وقد تكسر السين وقد تحذف التاء كلمة معربة عن الفارسية ومعناها دابة من جنس الزواحف . وهى أنواع ثلاثة : برية ونهرية

ونَظِيرُ بكَ فِي الْجَوِّ . وَإِيَّاكَ إِذَا سَمِعْتَ النَّاسَ يَتَكَلَّمُونَ أَنْ تَنْطِقَ . نِم
أَخَذَتَاهَا فطارتا بها فِي الْجَوِّ . فَقَالَ النَّاسُ : عَجَبٌ سُلْحَفَاتُ بَيْنَ بَطْنَيْنِ قَدْ
حَمَلَتَاهَا ! فَلَمَّا سَمِعْتَ ذَلِكَ قَالَتْ : فَقَدْ أَفْهَمَ اللَّهُ أَعْيُنَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ! فَلَمَّا فَتَحَتْ
فَاهَا بِاللُّغَةِ وَقَعَتْ عَلَى الْأَرْضِ فَمَاتَتْ . قَالَ الذِّكْرُ : قَدْ سَمِعْتَ مَقَالَاتِكَ فَلَا
تَخَافِي وَكِيلَ الْبَحْرِ . فَلَمَّا مَدَّ الْمَاءَ ذَهَبَ بِفِرَاحِهِمَا . فَقَالَتِ الْأُنْثَى : قَدْ عَرَفْتُ
فِي بَدْءِ الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا كَائِنٌ . قَالَ الذِّكْرُ : سَوْفَ أُنْتَقِمُ مِنْهُ . ثُمَّ مَضَى إِلَى
جَمَاعَةِ الطَّيْرِ فَقَالَ لَهُنَّ : إِنَّكُمْ أَخَوَاتِي وَنِقَاتِي ، فَأَعْنَنِي . قُلْنَ : مَاذَا تَرِيدُ
أَنْ نَفْعَلَ ؟ قَالَ . تَجْتَمِعْنَ وَتَذْهَبْنَ مَعِيَ إِلَى سَائِرِ الطَّيْرِ فَتَشْكُو إِلَيْهِمْ مَا لَقِيتِ
مِنْ وَكِيلِ الْبَحْرِ ، وَقُولِي لَهُنَّ : إِنَّكُمْ طَيْرٌ مِثْلُنَا فَأَعْنِنَا ، فَقَالَتْ لَهُ جَمَاعَةُ الطَّيْرِ :
إِنَّ الْعَنْقَاءَ هِيَ سَيِّدَتُنَا وَمَلِكَتُنَا ، فَذْهَبَ بِنَا إِلَيْهَا حَتَّى نَصِيحَ بِهَا ، فَتَظْهَرُ

وبَحْرِيَّةٌ وَأَشْهُرُ أَنْوَاعِهَا النَّهْرِيَّةُ أَوِ الرُّخْوَةُ . دَرَقَتْهَا مَفْرُطَةٌ رَقِيقَةٌ بِيضِيَّةُ الشَّكْلِ وَنَاقِصَةٌ
نَقْصًا عَظِيمًا . وَالسُّلْحَفَاتُ مَفْطَاةٌ بِجِلْدٍ قَاسٍ مَتِينٍ . وَعَنْقُهَا طَوِيلٌ لَبِنٌ وَرَأْسُهَا مَحْرُوطٌ
جَلْدِي طَوِيلٌ ، قَوَائِمُهَا قَصِيرَةٌ عَرِيضَةٌ وَقَوِيَّةٌ وَهِيَ ذَاتُ خَمْسِ أَصْلَابٍ مُتَلَاصِقَةٍ تَلَاصِقًا تَامًا
١ الْعَنْقَاءُ : مِنَ الطَّيْرِ الَّتِي بَلَغَ الْخَلْفُ فِيهَا غَايَتَهُ ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ جَعَلَهَا طَيْرًا
غَرِيبًا يَبْدُو بِيضًا كَالْجِبَالِ وَزَعَمَ الْقَزْوِينِيُّ أَنَّهَا أَعْظَمُ الطَّيْرِ جِثَّةً وَأَكْبَرُهَا خَلْقَةً بِخُطْفِ
الْفِيلِ كَمَا تَخُطِفُ الْحِدَاةُ الْفَارَ فَإِذَا طَارَتْ سَمِعَ لِاجْنِحَتَيْهَا دَوًى كَدَوًى الرِّعْدِ الْقَاصِفِ
وَتَعِيشُ أَلْفِي سَنَةً ثُمَّ أَطَالَ فِي وَصْفِهَا . وَذَكَرَ أَرِسْطَاطَالِيْسُ أَنَّهَا تَصَادُ فَيَصْنَعُ مِنْ مَخَابِهَا
الْقِدَاحَ لِلشَّرْبِ تَخُطِفُ الثَّوْرَ وَهِيَ مِنْ أَعْظَمِ سَبَاعِ الطَّيْرِ . وَقِيلَ سَمِيَتِ الْعَنْقَاءُ لَطَوَّلِ
عَنْقِهَا ، أَوْ لِبَيَاضِ كَانِ فِي عُنُقِهَا كَالطُّوقِ . وَيَقُولُ الرَّمْخُسِيُّ : إِنَّ الْعَنْقَاءَ قَدْ انْقَطَعَ
نَسْلُهَا فَلَا تَوْجِدُ الْيَوْمَ فِي الدُّنْيَا . وَهَلَمْ جَرَا إِلَى آخِرِ مَا جَاءَ مِنَ الْإِخْتِلَافِ فِيهَا مِمَّا لَا تَجْنِي
مِنْهُ غَيْرَ الْجَهْدِ وَالْإِعْنَاتِ .

لنا فنشكو إليها ما نالك من وكيل البحر ، ونسألها أن تنتقم لنا منه بقوة ملكها . ثم إنهم ذهبوا إليها مع الطيطوى فاستغثتها وصحن بها ، فترأت لهم ، فأخبرتها بقصتهم وسألها أن تصير معهم إلى محاربة وكيل البحر . فأجابتهن إلى ذلك . فلما علم وكيل البحر أن العنقاء قد قصده في جماعة



وكيل البحر يفر من العنقاء، وجماعة الطير



الطيطوى يستجد بالعنقاء

الطير خاف من محاربة ملك لا طاقة له به ، فردّ فراخ الطيطوى وصالحه ، فرجعت العنقاء عنه

وإنما حدثتكم بهذا الحديث لتعلم أن القتال مع الأسد لا أراه لك رأياً . قال شترية : فما أنا بمقاتل الأسد ، ولا ناصب له العداوة سراً ولا علانية ، ولا متغير له عما كنت عليه ، حتى يبدو لي منه ما أخوف فأغالبه . فكره دمنة قوله ، وعلم أن الأسد إن لم ير من الثور العلامات التي كان ذكرها له اتهمه وأساء به الظن . فقال دمنة لشترية : إذهب إلى الأسد ، فستعرف

حين ينظر إليك ما يُريد منك . قال شترية : وكيف أعرف ذلك ؟ قال دمنة : سترى الأسد حين تدخل عليه مُقعيا على ذنبه ، رافعاً صدره إليك ، ماداً بصره نحوك ، قد صرّ أذنيه ، وففر فاه ، واستوى للوثة . قال شترية : إن رأيت هذه العلامات من الأسد عرفت صدقك في قولك . ثم إن دمنة لما فرغ من حمل الأسد على الثور والثور على الأسد توجه إلى كليلة . فلما التقيا قال كليلة : إلام انتهى عملك الذي كنت فيه ؟ قال دمنة : قريب من الفراغ على ما أحبّ وتحبّ . ثم إن كليلة ودمنة انطلقا جميعاً ليحضرا قتال الأسد والثور ، وينظرا ما يجري بينهما ، ويعاينا ما يؤول إليه أمرهما . وجاء شترية ، فدخل على الأسد فرآه مُقعيا كما وصفه له دمنة . فقال : ماصاحب السلطان إلا كصاحب الحية التي في مبيته ومقيله ، فلا يدري متى يهيج به .



قتال الاسد والثور



شترية يدخل على الاسد فيقوم فيه الشر

ثم إن الأسد نظر إلى الثور ، فرأى الدلالات التي ذكرها له دمنة . فلم يشك

أنه جاء لقتاله ، فوائبه ، ونشأ بينهما الحرب ، واشتد قتال الثور والأسد وطال ، وسالت بينهما الدماء . فلما رأى كيلة أن الأسد قد بلغ منه ما قد بلغ قال لدمنة : أيها الفسل^١ ما أنكر جهلتك ! وأسوأ عاقبتك في تدبيرك ! قال دمنة : وما ذاك ؟ قال كيلة : جرح الأسد ، وهلك الثور . وإن أخرج الخرق من حل صاحبه على سوء الخلق والمبارزة والقتال وهو يجد إلى غير ذلك سبيلا . وإن العاقل يدبر الأشياء ويقيسها قبل مباشرتها ، فما رجا أن يتم له منها أقدم عليه ، وما خاف أن يتعذر عليه منها انحرف عنه ولم يلتفت إليه . وإني لأخاف عليك عاقبة بغيك هذا ، فإنك قد أحسنت القول ولم تحسن العمل . أين معاهدتك إياي أنك لا تضرر بالأسد في تدبيرك ؟ وقد قيل : لاخير في القول إلا مع العمل ، ولا في الفقه إلا مع الورع ، ولا في الصدقة إلا مع النية ، ولا في المال إلا مع الجود ، ولا في الصدق إلا مع الوفاء ، ولا في الحياة إلا مع الصحة ، ولا في الأمن إلا مع السرور واعلم أن الأدب يذهب عن العاقل الطيش ، ويزيد الأحق طيشاً ، كما أن النهار يزيد كل ذي بصر نظراً ، ويزيد الخفاش^٢ سوء النظر

١ الفسل بالفتح : الضعيف الرذل الذي لامرؤة له ولا جلد ، وبالكسر : الاحق
٢ الخفاش بضم قشديد : واحد الخفافيش التي تطير في الليل ويسمى أيضاً خشافاً ووطواطا . ولما كان لا يبصر نهراً الشمس الوقت الذي لا يكون فيه ظلمة ولا ضوء وهو قبيل غروب الشمس اذ يكون وقت هيجان البعوض فيخرج الخفاش طالباً للطعام . قالوا وقد عد من الحيوانات اذ كان ذا أذنين وأستنان وخصيتين ومنقار ويبيض ويطيح ويبول كما تبول ذوات الاربع ويرضع ولده . وهو أعجب الطير خلقة لانه لحم ودم يطير بغير ريش شديد الطيران سريع القلب .وصوف بطول العمر ، حتى يقال انه أطول عمراً من النسر وحمار الوحش ، وقد تلد أنثاه ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة ، وكثيراً

وقد أذكرني أمرك شيئاً سمعته . فإنه يقال : إن السلطان إذا كان صالحاً ووزرائه وزراء سوء منعوا خيره ، فلا يقدر أحد أن يدنو منه : ومثله في ذلك مثل الماء الطيب الذي فيه التماسيح^١ : لا يقدر أحد أن يتناوله ، وإن كان إلى الماء محتاجاً . وأنت يا دمنة أردت ألا يدنو من الأسد أحد سواك ، وهذا أمر لا يصح ولا يتم أبداً ، وذلك للمثل المضروب : إن البحر بأمواجه ، والسلطان بأصحابه . ومن الحق الحرص على التماس الإخوان بغير الوفاء لهم ، وطلب الآخرة بالرياء ، ونفع النفس بضر الغير ، وما عظمي وتأديبي إياك إلا كما قال الرجل للطائر : لا تلمس تقويم ما لا يستقيم ، ولا تعالج تأديب من لا يتأدب . قل دمنة : وكيف كان ذلك ؟

قال كليله : زعموا أن جماعة من القرّة كانوا سكاناً في جبل ، فالتمسوا في ليلة باردة ذات رياح وأمطار ناراً ، فلم يجدوا ، فرأوا يراعة^٢ تطير كأنها

ما يسفد وهو طائر في الهواء ، وكذلك يحمل أولاده تحت جناحه وربما قبض على ولده بفيه لشدة حنوه واشفاقه عليه وربما أرضعت الانثى ولدها وهي طائرة . والحفاش أسرتان : أحدهما تأكل النبات والثانية تأكل الهوام

١ التماسح : حيوان قوي كاسر يسطو أحياناً على الإنسان ، غير أنه قليل الانتشار ، وهو يألف الاقطار الشديدة الحرارة فيقيم بالأنهار والبحيرات العذبة المياه ويخرج كثيراً . يقصد الصيد والتغذى ، وسيره سريع جداً غير أنه يزحف على خط مستقيم وبذلك تستطيع طرائده أن تنجو منه أحياناً

وغذاؤه غالباً اللحم ولا سيما لحم الأسماك ، ويصطاد أحياناً الطيور المائية وكذلك الحيوانات الثديية الضعيفة ولا يهجم على الإنسان إلا نادراً ، ولا يستطيع أن يزدرد طعامه في الماء ، وهو مع ذلك يأخذ صيده إليه فيخبئه في شق أو حفرة حتى ينتق

٢ اليراعة : طائر صغير يكون كسائر الطيور إذا كان النهار حتى إذا جاء الليل رأيته كالشهاب الثاقب

شرارة نار، فظنوها ناراً، وجمعوا حطباً كثيراً، فالتقوه عليها، وجعلوا
ينفخون طمعاً أن يُوقدوا ناراً يصطلون^١ بها من البرد. وكان قريباً منهم طائر
على شجرة ينظرون إليه وينظر إليهم، وقد رأى ما صنعوا، فجعل يناديهم
ويقول: لاتعبوا، فإن الذي رأيتموه ليس بنار. فلما طال ذلك عليه عزم
على القرب منهم لينهاهم عما هم فيه، فمرّ به رجل فعرف ما عزم عليه، فقال
له: لا تلتمس تقويم ما لا يستقيم. فإن الحجر المانع الذي لا ينقطع،
لا تُجرب عليه السيوف، والعود الذي لا ينحني لا تعمل منه القوس، فلا
تتعب. فأبى الطائر أن يُطيعه، وتقدّم إلى القردة ليعرفهم أن اليراعة ليست
بنار. فتناوله بعض القردة فضرب به الأرض، فمات. فهذا مثلي معك
في ذلك، ثم قد غلب عليك الحب^٢ والفجور، وهما خلقتا سوء، والحب
شرهما عاقبة. ولهذا مثل. قال دمنة: وما ذلك المثل؟

قال كيلة: زعموا أن خباً ومغفلاً اشتركا في تجارة، وسافرا. فبينما هما في
الطريق إذ تخلف المغفل لبعض حاجته فوجد كيساً فيه ألف دينار فأخذه،
فأحس به الحب، فرجعا إلى بلدهما. حتى إذا دنوا من المدينة قعدا لا قسم
المال، فقال المغفل: خذ نصفه وأعطني نصفه، وكان الحب قد قرّر في نفسه
أن يذهب بالألف جميعه. فقال له: لا تقسم. فإن الشركة والمفاوضة أقرب
إلى الصفاء والخالطة. ولكن آخذ نفقة وتأخذ مثلها، وندفن الباقي في أصل

١ أي يستدفنون بها ٢ الحب بالفتح والكسر: النش والحب والحداع،
أما الرجل الحداع فالفتح فيه أفصح من الكسر ٣ « ١٠ » في بينا: زائدة
وهي أحد أنواع « ١٠ » الكافة عن الجر

هذه الشجرة ، فهو مكان حريز ، فإذا احتجنا جئنا أنا وأنت فنأخذ حاجتنا منه ، ولا يعلم بموضعنا أحد . فأخذنا منه يسيرا ، ودفنا الباقي في أصل دَوْحَة ،



المكار يبرأ والمغفل يلطم وجهه

المكار والمغفل بدفنا المال

ودخلا البلد . ثم إن الخبّ خالف المغفل إلى الدنانير ، فأخذها ، وسوّى الأرض كما كانت ، وجاء المغفل بعد ذلك بأشهر . فقال للخبّ : قد احتجت إلى نفقة ، فانطلق بنا نأخذ حاجتنا . فقام الخبّ معه ، وذهبا إلى المكان ، ففرا ، فلم يجد شيئا ، فأقبل الخبّ على وجهه يلطمه ، ويقول : لا تغتبر بصحبة صاحب : خالفتني إلى الدنانير فأخذتها . فجعل المغفل يحلف ويلعن أخذها . ولا يزداد الخبّ إلا شدة في اللطم ، وقال : ما أخذها غيرك ، وهل شعر بها أحد سواك ! ثم طال ذلك بينهما . فترافعا إلى القاضى ، فاقصّ القاضى قصتهما ، فادعى الخبّ أن المغفل أخذها ، وجحد المغفل . فقال

١ أنكر ولم يعترف

للخب : ألك على دَعَاكَ يِنَّة ؟ قل : نعم ، الشجرة التي كانت الدنانير عندها تشهد لى أن المغفل أخذها . وكان الخب قد أمر أباه أن يذهب فيتوارى فى الشجرة ، بحيث إذا سئلت أجاب . فذهب أبو الخب ، فدخل جوف الشجرة . ثم إن القاضى لما سمع ذلك من الخب أكبره ، وانطلق هو وأصحابه ، والخب والمغفل معه ، حتى وافى الشجرة . فسألها عن الخبر ، فقال الشيخ من جوفها : نعم ! المغفل أخذها . فلما سمع القاضى ذلك اشتد تعجبه . فدعا بحطب ، وأمر أن تُحرق الشجرة فأضرمت حولها النيران ،



أو المكار يستخرج من الشجرة المكار يطاف به مشهورا والقاضى يصعق اياه فاستغاث أبو الخب عند ذلك ، فأخرج وقد أشرف على الهلاك . فسأله القاضى عن القصة ، فأخبره بالخبر ، فأوقع بالخب ضرباً وبأبيه صنعا ، وأركبه

مشهوراً . وغرم الخبّ الدنانير ، فأخذها وأعطاهها المغفل . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الخبّ والخديعة ربما كان صاحبهما هو الغبون . وإنك يا دمنة جامع للخبّ والخديعة والفجور ، وإنى أخشى عليك ثمة عملك ، مع أنك لست بناج من العقوبة ، لأنك ذو لونين ولسانين . وإنما غدوبة ماء الأنهار ما لم تبلغ إلى البحار . وصلاح أهل البيت ما لم يكن فيهم المفسد . وإنه لاشئ أشبه بك من الحية ذات اللسانين التي فيها السم ، فإنه قد يجرى من لسانك كسمها^١ . وإنى لم أزل لذلك السم من لسانك خائفاً ، ولما يحلّ بك متوقعا . والمفسد بين الإخوان والاصحاب كالحية يربّيها الرجل ، ويطعمها ، ويمسحها ، ويكرمها ، ثم لا يكون له منها غير اللدغ . وقد يقال : الزم ذا العقل وذا الكرم ، واسترسل إليهما ، وإياك ومفارقتهما . واصحب الصاحب إذا كان عاقلاً كريماً ، أو عاقلاً غير كريم ، فالعقل الكريم كامل ، والعقل غير الكريم أصحبه ، وإن كان غير محمود الخليفة^٢ . واحذر من سوء أخلاقه ، وانتفع بعقله . والكريم غير العاقل الزمه ، ولا تدع مواصلته ، وإن كنت لا تحمد عقله ، وانتفع بكرمه ، وانتفعه بعقلك . والفراذ^٣ كلّ الفرار من اللثيم الأحمق .. وإنى بالفرار منك لجدير ، وكيف يرجو إخوانك عندك كرماً ووداً ؟ ! وقد صنعت بملكك الذى أكرمك وشرّك ما صنعت . وإن مثلك مثل التاجر الذى قال : إن أرضا

١ الكاف هنا : اسم بمعنى مثل أى قد يجرى من لسانك مثل سمها . وتقع في الشعر والنثر
٢ الخليفة : الطبيعة والحلق
٣ منصوب على التحذير أى الزم الفرار

تأكل جِرْدَانَهَا مائة مَن^١ حديد ، ليس بمستنكر على بُزَاتِهَا أَنْ تَخْطِفَ
الأفِيال . قال دمنة : وكيف كان ذلك ؟!

قال كيلة : زعموا أنه كان بأرض كذا تاجر ، فأراد الخروج إلى بعض
الوجود لا بتغاء الرزق ، وكان عنده مائة مَن حديد . فأودعها رجلاً من
إخوانه ، وذهب في وجهه . ثم قدم بعد ذلك بمدة فجاء والتس الحديد .
فقال له : إنه قد أكلته الجِرْدَان . فقال : قد سمعت أنه لا شيء أقطع من
أنيابها للحديد . ففرح الرجل بتصاديقه على ما قال وادّعى . ثم إن التاجر
خرج فلقى ابناً للرجل ، فأخذه وذهب به إلى منزله . ثم رجع إليه الرجل من
الغد ، فقال له : هل عندك علم بابني ؟ فقال له التاجر : إني لما خرجت من
عندك بالأمس رأيت بازياً^٢ قد اختطف صبيّاً . ولعله ابنك . فلطم الرجل
على رأسه ، وقال : يا قوم ، هل سمعتم أورايتم أن البُرّة تخطف الصبيان ؟
فقال : نعم ، وإن أرضاً تأكل جِرْدَانَهَا مائة مَن حديد ليس بعجَب أن
تختطف بُزَاتِهَا الْفِيْلَة . فقال له الرجل : أنا أكلت حديدك وهذا ثمنه ،
فاردّد عليّ ابني

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنك إذا غدرت بصاحبك فلا شك
أنك بمن سواه أغدر . وأنه إذا صاحب أحد صاحباً وغدر بمن سواه فقد
علم صاحبه أنه ليس عنده للمودة موضع . فلا شيء أضيع من مودة تمنح

١ المن : رطلان ٢ البازي من كواسر الطير وأنواعه كثيرة وكلها قوية
الطيران سريعتها تحوم على صيدها وتنقض عليه انقضاضاً مستقيماً وهي تصطاد في الغالب
المصافير وصفار ذوات الأزعج

من لا وفاء له ، وحبياء يصطنع عند من لا شكر له ، وأدب يُحمل إلى من لا يتأدب به ولا يسمعه ، وسريّستودع عند من لا يحفظه ، فإنّ صحيفة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر : كالريح إذا مرّت بالغيّب حملت طيباً ، وإذا مرّت بالنّين حملت نّتنا ، وقد طال ونقل كلامي عليك . فانتهي كلامة من كلامه إلى هذا المكان . وقد فرغ الأسد من الثور ، ثم فكّر في



الأسد منتفب وهو ينظر إلى الثور

قتله بعد أن قتله ، وذهب عنه الغضب ، وقال : لقد فجعتني شترية بنفسه ، وقد كان ذا عقل ورأى وخلق كريم ولا أدري لعلّه كان بريئاً أو مكذوباً عليه . فحزن ونديم على ما كان منه ، وتبيّن ذلك في وجهه . وبصر به دمنة . فترك محاولة كلامة ، وتقدّم إلى الأسد ، فقال له : ليّه نّك الظفر إذا أهلك الله أعداءك ! فماذا يُحزنك أيها الملك ؟ . قال : أنا حزين على عقل شترية ورأيه وأدبه . قال له دمنة : لا ترجمه أيها الملك ، فإنّ العاقل لا يرحم من يخافه .

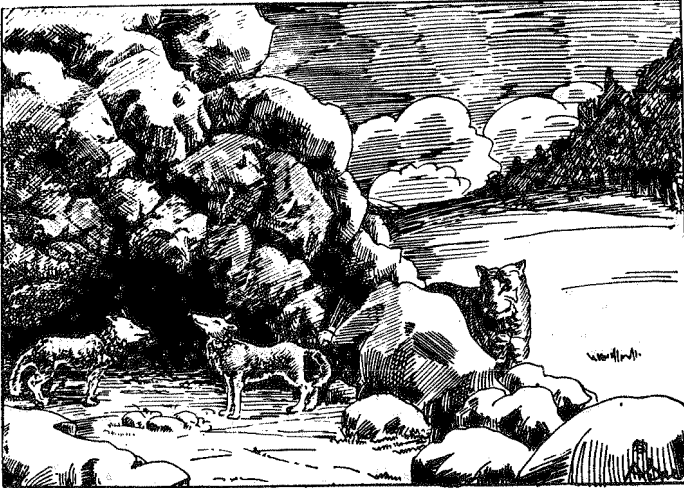
وإن الرجل الحازم ربما أبغض الرجل وكرهه ، ثم قرّبه وأدناه لما يعلم عنده من الغنى والكفاية ، فعل الرجل المتكابر على الدواء الشنيع رجاء منفعة . وربما أحبّ الرجل وعزّ عليه فأقصاه وأهلكه مخافة ضرره ، كالذى تلدّغه الحية في إصبعه ، فيقطعها ويتبرأ منها مخافة أن يسرى سمها إلى بدنه . فرضى الأسد بقول دمنة . ثم علم بعد ذلك بكذبه وغدره وفجوره ، فقتله بشر قنلة (انتفى باب الأسد والثور)

باب الفحص عن أمر دمنة

قال ديشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد حدثتني عن الواشى الماهر المحتال ، كيف يُفسد بالنيمة المودة الثابتة بين المتحابين ، فحدثني حينئذ بما كان من حال دمنة ، وما آل أمره إليه بعد قتل شترية ، وما كان من معاذيره عند الأسد وأصحابه حين راجع الأسد رأيه في الثور ، وتحقق النيمة من دمنة ، وما كانت حجته التي احتج بها . قال الفيلسوف : إني وجدت في حديث دمنة أن الأسد حين قتل شترية ندم على قتله ، وذكر قديم صحبته وجسيم خدمته ، وأنه كان أكرم أصحابه عليه ، وأخصهم منزلة لديه ، وأقربهم وأدناهم إليه . وكان يواصل له المشورة دون خواصه ، وكان من أخص أصحابه عنده بعد الثور النمر . فاتفق أنه أمسى النمر ذات

١ الثور : ذكر البقر ، ويسمى الصغير منه بالعجل وهو من أشد الحيوانات ويبلغ أشده في الثالثة من عمره أو الرابعة ، يعرف صاحبه الذى يعنى بأمره وينقاد له بلىن . ومن خواصه ان اللون الاحمر يزعبه ويغضبه

ليلة عند الأسد . فخرج من عنده جوف الليل يُريد منزله ، فاجتاز على منزل
كليلة ودمنة فلما انتهى إلى الباب سمع كليلة يُعاتب دمنة على ما كان
معه ويلومه على النيمة واستعمالها ، خصوصاً^١ مع الكذب والبهتان في حق
الخاصة ، وعرف النمر عصيان دمنة ، وترك القبول ، فوقف يستمع ما يجري



كليلة يؤنب دمنة على النيمة وقد سمعها النمر

بينهما ، فكان فيما قال كليلة لدمنة : لقد ارتكبت مَرَكَباً صعباً ، ودخلت
مدخلا ضيقاً ، وجئت على نفسك جنابة مؤبقة^٢ ، وعاقبتها وخيمة ، وسوف
يكون مَصْرَعك شديداً إذا انكشف للأسد أمرك ، واطَّلَع عليه ، وعرف
غَدْرُك ومحالِك^٣ ، وبقيت لا ناصر لك ، فيجتمع عليك الهوان والقتل مخافة

١ خصوصاً : يستعمل بمعنى لا سيما منصوباً على الحالية أو المصدرية
٢ مهلكة ٣ يقال : محل به السلطان محلاً بالفتح ومحالاً بالكسر : كاده سعاية
إليه ، والفعل كقطع وعلم وكرم

شرك ، وحذرا من غوائلك . فليست بمتخذك بعد اليوم خايلا ، ولا مُفسد
إليك سرا ، لأن العلماء قد قالوا : تباعد عن لارغبة فيه ، وأنا جدير
بمباعدتك ، والتماس الخلاص لى مما وقع فى نفس الأسد من هذا الأمر .
فلما سمع النمر هذا من كلامهما قفل راجعا^١ فدخل على أم الأسد .
فأخذ عليها العهود والمواثيق أنها لا تُفشى ما يُسر إليها . فعاهدته على ذلك .
فأخبرها بما سمع من كلام كيلة ودمنة . فلما أصبحت دخلت على الأسد
فوجدته كئيبا حزينا مهموما لما ورد عليه من قتل شترية . فقالت : ما هذا
الهم الذى قد أخذ منك وغلب عليك ؟ . قال : يُحزننى قتل شترية إذا
تذكرت صحبته ومواظبته على خدمتي ، وما كنت أسمع من نصيحته ،
وأسكن إليه من مشاورته ، وأقبل من مناصحته . قالت أم الأسد : إن أشد
الحوادث مأسه أمرؤ به على نفسه ، وهذا خطأ عظيم . كيف أقدمت على قتل
الثور بلا علم ولا يقين ؟ ! ولولا ما قالت العلماء فى إذاعة الأسرار وما فيها
من الإثم والشنار لذكرت لك^٢ ، وأخبرتكم بما علمت . قل الأسد : إن
أقوال العلماء لها وجوه كثيرة ، ومعان مختلفة . وإنى لأعلم صواب ما تقولين .
وإن كان عندك رأى فلا تطويه عنى . وإن كان قد أسر إليك أحد سرا
فأخبرينى به . وأطلعينى عليه ، وعلى جملة الأمر . فأخبرته بجميع ما ألقاه
إليها النمر من غير أن يُخبره باسمه ، وقالت : إنى لم أجهل قول العلماء فى تعظيم

١ حال لتأكيد الحدث المراد من الفعل لأن (قتل) منها ما رجع

٢ المفعول محذوف وتريد : لذكرت لك أخباراً علمتها

العقوبة وتشديدها ، وما يدخل على الرجل من العار في إذاعة الأسرار .
ولكني أحببت أن أخبرك بما فيه المصلحة لك ، وإن وصل خطؤه وضرره
إلى العامة ، فإصرارهم على خيانة الملك مما لا يدفع الشر عنهم ، وبه تحتج
السفهاء ، ويستحسنون ما يكون من أعمالهم القبيحة . وأشدّ معارهم إقدامهم
على ذى الحزم . فلما قصت أمّ الأسد هذا الكلام ، استدعى أصحابه وجنده
فأدخلوا عليه . ثم أمر أن يؤتى بدمنة . فلما وقف بين يدي الأسد ورأى
ما هو عليه من الحزن والكآبة التفت إلى بعض الحاضرين ، فقال : ما الذى
حدث ؟ وما الذى أحنز الملك ؟ فالتفتت أمّ الأسد إليه ، وقالت :
قد أحنز الملك بقاؤك ولو طريقة عين^٢ . ولن يدعك بعد اليوم حياً . قال
دمنة : ما ترك الأول للآخر شيئاً ، لأنه يقال : أشدّ الناس في توقّ الشر
يُصيبه الشرّ قبل المستسلم له . فلا يكون الملك وخاصته وجنوده المثل السوء^٣ .
وقد علمت أنه قد قيل : من صحب الأشرار وهو يعلم حالهم كان أذاه من
نفسه . ولذلك انقطعت النُسّاك بأنفسها عن الخلق ، واختارت الوحدة على
المخالطة ، وحب العمل لله على حب الدنيا وأهلها . ومن يجزى بالخير خيراً
وبالإحسان إحساناً إلا الله ؟ ومن طلب الجزاء على الخير من الناس كان
حقيقاً أن يخطى بالحرمان ، إذ يخطئ الصواب في خلوص العمل لغير الله

١ معارهم : جمع معرة وهى الأثم والحيانة ٢ طرفه : خبر لكان حذف
مع اسمها والتقدير ولو كان البقاء طريقة عين ٣ هذا مثل قولهم : لا خير في قول
السوء بالفتح والضم . فان فتحت فعناه لا خير في القول القبيح وان ضمنت فعناه في
أن تقول سوءاً وإذا فالسوء بالفتح مصدر ساء يسوء اذا قبح

تعالى ، وطلب الجزاء من الناس . وإن أحق ما رَغِبْتَ فيه رعية الملك هو محاسن الأخلاق ومواقع الصواب وجميل السير . وقد قالت العلماء : من صدَّق ما ينبغي أن يكذب وكذَّب ما ينبغي أن يصدَّق خرج من مصافِّ العقلاء ، وكان جديراً بالازدراء

فينبغي ألا يعجِّل الملك في أمرى بشبهة . ولست أقول هذا كراهة للموت ، فإنَّه وإن كان كرهها لا منجى منه ، وكل حيِّ هالك . ولو كانت لي مائة نفس وأعلم أن هوى الملك في إتلافهنَّ طبت له بذلك نفساً . فقال بعض الجند : لم ينطق بهذا لحبه الملك ، ولكن لخلاص نفسه والتماس العذر لها . فقال له دمنة : ويلاك ، وهل علىَّ في التماس العذر لنفسى عيب ؟ وهل أحد أقرب إلى الإنسان من نفسه ؟ وإذا لم يلتمس لها العذر فلمن يلتمسه ؟ لقد ظهر منك ما لم تكن تملك كتمانهُ من الحسد والبغضاء ، ولقد عرِفَ من سمع منك ذلك أنك لا تحب لأحد خيراً ، وأنتك عدو نفسك ، فمن سواها بالأولى ؟ فمثلك لا يصلح أن يكون مع البهائم فضلاً عن أن يكون مع الملك وأن يكون ببابه . فلما أجابه دمنسة بذلك خرج مكتئباً حزينا مستحياً .

١ ويل : كلمة عذاب ويقال (ويله وويلك — بفتح اللام وويل ، وويل لزيد — بضم اللام — وويل له) فالنصب على اضرار الفعل والرفع على الابتداء . هذا إذا لم تضف أما إذا أضيفت فليس إلا النصب لأنك لو رفعته لم يكن له خبر . ويقال في الندبة ويلاه والهاء للسكت ساكنة تثبت في الوقف وتحذف في الوصل وربما ثبتت في الوصل لضرورة الشعر فتضم كالخرف الاصلى ويجوز كسرهما لالتقاء الساكنين . ومنها ويليه أصلها في الدعاء على المرء ثم استعملت في التعجب ثم في معنى قتله الله : يقال : رجل ويله بكسر اللام وضمة أى داهية ويقال للمستجاد ويله أى ويل لأمه كقولهم لا ب لك يريد لا أب لك فركبوه وجعلوه كالشيء الواحد ثم ألحقت الهاء بالغة

فقال أمّ الأسد لدمنة : لقد عجبت منك — أيها المحتال — في قلة حيائك وكثرة وقاحتك ، وسرعة جوابك لمن كلمك . قال دمنة : لأنك تنظرين إلى بعين واحدة ، وتسمعين مني بأذن واحدة . مع أن شقاوة جدّي^١ قد زوت^٢ عني كل شيء ، حتى لقد سعوا إلى الملك بالنيمة على . ولقد صار من باب الملك لاستخفافهم به وطول كرامته إياهم وما هم فيه من العيش والنعمة لا يدرون في أيّ وقت ينبغي لهم الكلام ، ولا متى يجب عليهم السكوت . قالت : ألا تنظرون إلى هذا الشقيّ مع عظم ذنبه كيف يجعل نفسه بريئاً كمن لا ذنب له ؟ ! قال دمنة : إن الذين يعملون غير أعمالهم ليسوا على شيء . كالذي يضع الرّماد موضعاً ينبغي أن يضع فيه الرمل ويستعمل فيه السّرجين^٣ ، والرجل الذي يلبس لباس المرأة ، والمرأة التي تلبس لباس الرجل والضعيف الذي يقول : أنا ربّ البيت ، والذي ينطق بين الجماعة بما لا يسأل منه . وإنما الشقيّ من لا يعرف الأمور ولا أحوال الناس ، ولا يقدر على دفع الشرّ عن نفسه ، ولا يستطيع ذلك . قالت أمّ الأسد : أتظن — أيها الغادر المحتال — بقولك هذا أنك تخدع الملك ولا يسجنك ؟ قال دمنة : الغادر الذي لا يأمن عدوّه مكره ، وإذا استمكن من عدوّه قتله على غير ذنب . قالت أمّ الأسد : — أيها الغادر الكذوب — أتظنّ أنك ناج من عاقبة كذبك ؟ وأن محالك هذا ينفعك مع عظم جرمك ؟ قال دمنة : الكذوب الذي يقول ما لم يكن ، ويأتي بما لم يقل ولم يفعل ، وكلامي واضح

١ الجد بالفتح : الحظ ٢ زوت : نحت وأبعدت

٣ السرجين بالكسر ويقال له السرقين أيضاً : الزبل

مبين . قالت أمّ الأسد : العلماء منكم هم الذين يوضحون أمره بفصل الخطاب . ثم نهضت فخرجت . فدفع الأسد دمنة إلى القاضى . فأمر القاضى بحبسه ، فألقى فى عنقه حبل ، وانطلق به إلى السجن . فلما انتصف الليل أخبر كيلة أن دمنة فى الحبس . فأتاه مستخفياً . فلما رآه وما هو عليه من ضيق القيود ، وخرج المكان ، بكى وقال له : ما وصلت إلى ما وصلت إليه إلا لاستعمالك الخديعة والمكر ، وإضرارك عن العظة . ولكن لم يكن لى بُدّ فيما مضى من إنذارك والنصيحة لك ، والمساعدة إليك فى خلوص الرغبة فيك ، فإنه لكل مقام مقال ، ولكل موضع مجال . ولو كنت قصّرت فى عظمتك حين كنت فى عافية لكنت اليوم شريكك فى ذنبك . غير أن العجب دخل منك مدخلا قهر رأيك ، وغلب على عقلك . وكنت أضرب لك الأمثال كثيراً ، وأذكرك قول العلماء وقد قالت العلماء : إن المحتال يموت قبل أجله . قال دمنة : قد عرفت صدق مقالتك ، وقد قالت العلماء : لا تجزع من العذاب إذا وقف منك على خطيئة . ولأنّ تعذب فى الدنيا بحجره منك خير من أن تعذب فى الآخرة

١ هذه اللام تسمى لام الابتداء وفائدتها توكيد مضمون الجملة وإذا لحقت المضارع قصرت معناه على الحال ، ولها موضعان : المبتدأ كما فى هذا المقام وكذلك قوله تعالى : « لأنتم أشد رهبة » . والموضع الثانى بعد ان (بالكسر) وتدخل على خبرها إذا كان اسماً أو فعلاً مضارعاً أو ظرفاً وهذه تسمى (المرحلقة) ذلك لأنها كانت داخلة فى الاصل على ان ثم ترحلقت الى خبرها (قيل) حتى لا يجتمع مؤكداً معاً . وتدخل لام الابتداء على خبر ان المحففة للفرق بينها وبين النافية وتسمى (الفارقة) وتدخل أيضاً على اسم ان المتأخر

بجَهَنَّمَ مع الإثم . قال كليلَة : قد فهمت كلامك ، ولكن ذنبك عظيم ، وعقاب الأسد شديد أليم . وكان بقريهما فهد مُعتقل^٢ ، يسمع كلامهما ولا يريانه .



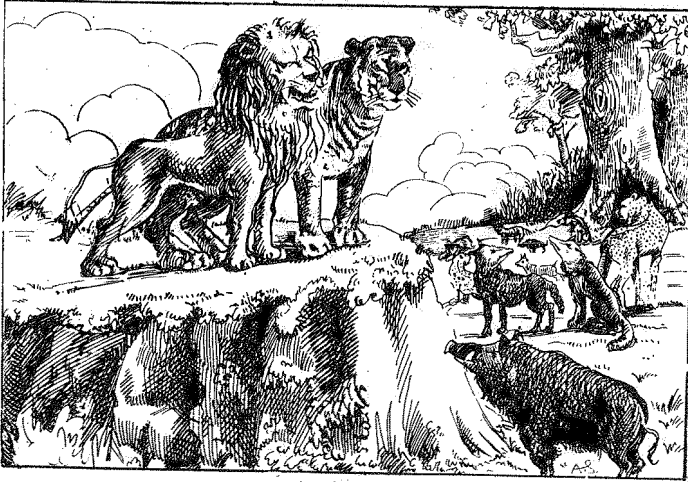
دمنة يعترف والفهد يسمع

فعرِف معاينة كليلَة لدمنة على سوء فعله ، وما كان منه . وأن دمنة مقرّ بسوء عمله وعظيم ذنبه ، فحَفِظَ المحاورَة بينهما ، وكَتَمَها ليشهَدَ بها إن سئل عنها . ثم إن كليلَة انصرف إلى منزله ، ودخلت أمّ الأسد حين أصبحت على الأسد .

والام الابتداء الصدارة الا في باب ان (بالكسر) ولذلك يعلق بها الفعل في مثل : علمت لزيد منطلق ومنعت من النصب على الاشتغال في نحو زيد لانا أكرمه ، كذلك منعت الخبر من أن يتقدم عليها في مثل لزيد قائم ، وكذلك تمنع تقدم المبتدأ في مثل لقائم زيد ١ جهنم : مكان العقاب الاخرى

٢ الفهد بالفتح : حيوان من فصيلة الكلب البرى له مزاج كزجاج النمر وفي طبيعه مشابة لطباع الكلاب ولذلك زعم (ارسطو) أنه يتولد بين نمر وأسد . كثير النور ثقيل الجثة ومن خلقه الفضب وله وثبات شديدة . ومعتقل مقيد ومحبوس

وقالت له : — يا سيد الوحوش — حوشيت^١ أن تنسى ما قلت بالأمس ،
وأنتك أمرت به لوقتته ، وأرضيت به ربَّ العباد . وقد قالت العلماء : لا ينبغي
للإنسان أن يتوانى في الجِدِّ للتعوى ، بل لا ينبغي أن يدافع عن ذنب الأثيم .
فلما سمع الأسد كلام أمه أمر أن يحضر النمر : وهو صاحب القضاء . فلما
حضر قال له وللجواس العادل^٢ : اجلسا في موضع الحكم ، وناديا في الخند :
صغيرهم وكبيرهم . أن يحضروا ، وينظروا في حال دمنة ، ويبحثوا عن شأنه ،



دمنة بين يدى القضاء

ويفحصوا عن ذنبه ، ويثبتوا قوله وعذر في كتب القضاء . وارفعا إلى
ذلك يوما فيوماً : فلما سمع ذلك النمر والجواس العادل — وكان هذا الجواس
عمَّ الأسد — قالا : سمعاً وطاعة^٣ لما أمر الملك ، وخرجا من عنده ، فعميلا

١ حوشيت : نزهت ٢ الجواس اسم من أسماء الاسد ٣ سمعاً وطاعة
منصوبتين على المصدر والتقدير أسمع سمعاً وأطيع طاعة ، واذا رفعتا كان ذلك على

بمتقاضى ما أمرهما به . حتى إذا مضى من اليوم الذى جلسوا فيه ثلاث ساعات أمر القاضى أن يُؤتى بدمنة . فأتى به . فأوقف بين يديه والجماعة حضور . فلما استقرَّ به المكان نادى سيّد الجمع بأعلى صوته : أيها الجمع ، إنكم قد علمتم أن سيّد السباع لم يزل منذ قتل شربة خائر النفس^١ ، كثير الهم والحزن : يرى أنه قد قتل شربة بغير ذنب ، وأنه أخذه بكذب دمنة ونميمته . وهذا القاضى قد أمر أن يجلس مجلس القضاء ، ويبحث عن أمر دمنة . فمن علم منكم شيئاً فى أمر دمنة من خير أو شر فليقل ذلك ، وليتكلم به على رءوس الجمع والأشهاد ، ليكون القضاء فى أمره بحسب ذلك . فإذا استوجب القتل فالتثبت فى أمره أولى . والعجلة من الهوى ، ومتابعة الاصحاب على الباطل ذل . فعندها قال القاضى : أيها الجمع ، اسمعوا قول سيّدكم ولا تكتموا ما رقم من أمره ، واحذروا فى الستر عليه ثلاث خصال : إحداهن - وهى أفضلهن - ألا تزدروا فعله ، ولا تعدّوه يسيراً . فمن أعظم الخطايا قتل البرىء الذى لا ذنب له بالكذب والنيمة ، ومن علم من أمر هذا الكذاب الذى اتهم البرىء بكذبه ونميمته شيئاً فستر عليه فهو شريكه فى الإثم والعقوبة

والثانية إذا اعترف المذنب بذنبه كان أسلم له وأحرى بالملك وجنده أن يعفوا عنه ويصفحوا

والثالثة ترك مراعاة أهل الذم والفجور ، وقطع أسباب مواصلاتهم

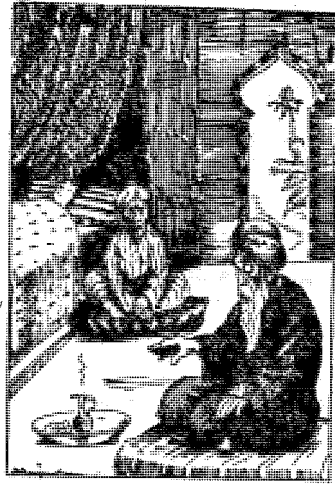
تقدير مبتدأ محذوف وجوبا تقديره (أمرى سمع وطاعة أو على أنهما مبتدآن والتقدير : لى أو عندى سمع وطاعة) ١ خائر النفس : مختلطها

ومودتهم عن الخاصة والعامة . فمن علم من أمر هذا المحتال شيئاً فليتكلم به على رؤوس الأشهاد ممن حضر ، ليكون ذلك حجة عليه . وقد قيل : إنه من كتم شهادة ألجم بلجام من نار يوم القيامة . فليقل كل واحد منكم ما علم . فلما سمع ذلك الجمع أمسكوا عن القول . فقال دمنة : ما يسكتكم ؟ ! تكلموا بما علمتم . واعلموا أن لكل كلمة جوابا . وقد قالت العلماء : من يشهد بما لم ير ويقول مالا يعلم أصابه ما أصاب الطبيب الذي قال لما لا يعلمه : إني أعلمه . قالت الجماعة : وكيف كان ذلك ؟ !

قال دمنة : زعموا أنه كان في بعض المدن طبيب له رفق وعلم . وكان ذا فطنة فيما يجري على يديه من المعالجات ، فكبر ذلك الطبيب وضعف



الجاهل يزعم علمه بالطب



الملك يشاور الطبيب الأعمى

بصره . وكان لملك تلك المدينة ابنة قد زوجها لابن أخ له ، فعرض لها ما يعرض للحوامل من الأوجاع . فحىء بهذا الطبيب . فلما حضر سأل

الجارية عن وجعها وما تجد . فأخبرته . فعرف داءها ودواءها ، وقال : لو كنت أبصر لجمعت الأخلاط على معرفتي بأجناسها ، ولا أنق في ذلك بأحد غيري . وكان في المدينة رجل سفيه . فبلغه الخبر . فأتاهم وادعى علم الطب ، وأعلمهم أنه خبير بمعرفة أخلاط الأدوية والعقاقير ، عارف بطبائع الأدوية المركبة والمفردة . فأمره الملك أن يدخل خزانة الأدوية ، فيأخذ من أخلاط الدواء حاجته . فلما دخل السفينة الخزانة ، وعرضت عليه الأدوية ، ولا يدرى : ما هي ولا له بها معرفة ، أخذ في جملة ما أخذ منها صرة فيها سم قاتل لوقته ، وخلطه في الأدوية ، ولا علم له به ، ولا معرفة عنده بجنسه . فلما تمت أخلاط الأدوية سقى الجارية منه ، فماتت لوقتها . فلما عرف



الجاهل يؤمر بشرب الدواء القاتل



الجاهل يجمع الدواء في بيت الحكمة

الملك ذلك دعا بالسفيه ، فسقاه من ذلك الدواء فمات من ساعته .

وإنما ضربت لكم هذا المثل لتعلموا ما يَدْخُلُ على القائل والعامل من الزَّلَّةِ بالشبهة في الخروج عن الحدِّ . فمن خَرَجَ منكم عن حدِّه أصابه ما أصاب ذلك الجاهل ، ونفسه الملوثة . وقد قالت العلماء : ربما جُزِيَ المتكلم بقوله . والكلام بين أيديكم ، فانظروا لأنفسكم . فتكلم سيّد الخنازير^١ لإدلاله^٢ وتبيّه بمنزلة عند الاسد . فقال : يا أهل الشرف من العلماء ، إسمعوا مقاتي ، وعُوا بأحلامكم كلامي . فلعلماء قد قالوا في شأن الصالحين : إنهم يُعرفون بسيماهم^٣ . وأتم — معاشر ذوى الاقتدار بحسن صنع الله لكم ، وتسام نعمته لديكم — تعرفون الصالحين بسيماهم وصورهم وتخبرون الشيء الكبير بالشيء الصغير . وههنا أشياء كثيرة تدلّ على هذا الشقيّ دمنة ، وتخبر عن شرّه . فاطلبوها على ظاهر جسمه ، لتستيقنوا وتسكنوا إلى ذلك .

١ الخنزير : حيوان من ذوات الثدي يأخذ من السبم الناب وأكل الجيف ومن البهيم الظلف وأكل العشب والعلف . ومنه البري الداجن والابد ، والبحرى . ويولد العفر (ولده) كامل الاسنان وتكبر كلما تقدم في السن ولا سيما النابان التحتيان وأما النابان الفوقيان فهما اشجذ سائر الاسنان . ويقال ان الخنزير له طاقة على الجرى ٢٥ دقيقة بسرعة أسرع الخيل . وله ستة أو سبعة أضراس على كل جانب فوقية وتحتية والامامية منها تشابه أضراس أكلة اللحوم والحلفية أضراس الانسان واستدل بذلك على أنه يأكل النبات واللحم كما أن له ستة قواطع في كل فك . وقد تلد الانثى عشرين في بعض الاحايين

اما طعامه فجميع أنواع الاغذية كاللحم والحبوب والاعشاب كما يشرب الماء القدر . وسيد الخنازير هذا كان خادماً على مائدة الملك كما يفهم مما بعد وقد جاء في بعض النسخ مكان لفظ سيد الخنازير كلمة (صاحب المائدة)

٢ الادلال . مصدر أدل عليه : وثق بصحبته فأفرط عليه ، ويريد تكلم سيد الخنازير لوثوقه بصحبته الملك واعجابه بنفسه

٣ يعرفون بما يظهر على وجوههم من علامات الصلاح .

قال القاضي لسيد الخنازير : قد علمتُ وعلم الجماعة الحاضرون أنك عارف بما في ذلك من الصور من علامات السوء . ففسّر لنا ما تقول ، وأطلعنا على ما ترى في صورة هذا الشقيّ . فأخذ سيّد الخنازير يذمّ دمنة وقال : إن العلماء قد كتبوا وأخبروا أنه من كانت عينه اليسرى أصغر من اليمنى ، وهي لا تزال تختلج^١ ، وكان أنفه مائلاً إلى جنبه الأيمن فهو شقيّ خبيث : قال له دمنة شأنك عجب أيها القدير ! ذو العلامات الفاضحة القبيحة . ثم العجب من جرّاءك على طعام الملك وقيامك بين يديه مع ما بجسمك من القدر والقبح ، ومع ما تعرفه أنت ويعرفه غيرك من عيوب نفسك . أفتكلّم في النقيّ الجسم الذي لا عيب فيه ؟ ! ولست أنا وحدي الذي أطلع على عيبك لكن جميع من حضر قد عرف ذلك ، وقد كان يحجزني عن إظهاره ما بيني وبينك من الصداقة . فأما إذ قد كذبت على^٢ ، وبهتني في وجهي^٣ ، وقت بعد أوتي ، فقلت : ما قلت فيّ بغير علم على رءوس الحاضرين ، فإني اقتصر على إظهار ما أعرف من عيوبك وتعرفه الجماعة ، وحقّ على من عرفك حقّ معرفتك أن يمنع الملك من استعماله إياك على طعامه . فلو كلّفت أن تعمل الزراعة لكنت جديراً بالخِذلان فيها . فالأحرى بك ألا تدنوا إلى عمل من الأعمال ، وألا تكون دباغاً ولا حجّاماً لعامّي فضلاً^٤

١ اختلجت العين : انتفضت أجفانها بحركة اضطرارية ٢ من قولهم : بهته : إذا قال عليه ما لم يفعل ٣ فضلاً منصوب بفعل محذوف تقديره يفضل فضلاً ، وهو مثل قولهم : لا يملك درهما فضلاً عن دينار ومعناها لا يملك درهما ولا ديناراً وملكه الدينار أولى بالاتقاء كأنه قيل : لا يملك درهما فكيف يملك ديناراً ونصبه — كما علمت — على المصدر . والتقدير أنه فقد ملك الدرهم فقدما يفضل فقد ملك دينار ،

عن خاصّ خدمة الملك . قال سيد الخنازير : أتقول لى هذه المقالة ؟ ! وتلقانى بهذا الملقى ؟ ! قال دمنة : نعم ! وحققاً^١ قلت فيك ، وإليك^٢ أعنى ، أيها الأعرج^٣ المكسور ، الأفعع الرجل^٤ ، والمنفوخ البطن ، الأفلج الشفتين^٥ ، السيئ المنظر والخجّر . فلما قال ذلك دمنة تغيّر وجه سيّد الخنازير ، واستعبر^٦ ، واستحى ، وتلجلج لسانه ، واستكان^٧ ، وقتر نشاطه^٨ . فقال دمنة : — حين رأى انكساره وبكاه — إنما ينبغي أن يطول بكاؤك إذا اطّلع الملك على قدرك وعيوبك فعزّلك عن طعامه ، وحال بينك وبين خدمته ، وأبعدك عن حضرته . ثم إن شعوراً^٩ كان الأسد قد جرّبه ، فوجد فيه أمانة وصديقاً ، فرتّبته فى خدمته ، وأمره أن يحفظ ما يجرى بينهم ، ويُطلعه على ذلك . فقام الشعور فدخل على الأسد ، فحدّثه بالحديث كلّ على جليته^{١٠} ، فأمر الأسد بعزل سيّد الخنازير عن عمله ، وأمر ألا يدخل عليه ، ولا يرى وجهه ، وأمر بدمنة أن يسجن . وقد مضى من النهار أكثره ، وجميع ماجرى

وأكثر استعماله أن يجيء بعد نى . وقال أبوحيان : ولم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب من كلام العرب

١ حقاً نائب عن المفعول المطلق لفعل محذوف إذا كان وصفاً للمصدر والتقدير قلت

قولاً حقاً ٢ أيأ مبنى على السكون فى محل نصب دفعولاً مقدماً وجوباً

٣ أى : مبنى على الضم فى محل نصب على الاختصاص والاعراج بدلا منه

٤ الأفعع : الاعرج ٥ أفلج الشفتين مشقوقهما ٦ استعبر : بكى

وسالت عبرته ٧ استكان : ذل ٨ قتر : سكن بعد حدته ولان بعد شدته

٩ الشعور : لم أعثر لهذا اللفظ على معنى لافى معجمات اللغة ولا فى معجمات الحيوان

التي استطعت البحث فيها . غير أننى رأيت ما يقرب من ذلك ، ولعله الحقيقة ، ذلك هو

لفظ (الشغب) بشين وثلاثة وغين معجمة وباء موحدة بعدها راء ، ويفسرهُ الثقات بابن آوى

١٠ جلية الامر : الخبر اليقين أو ما ظهر من حقيقته

وقالوا وقال قد كُتِبَ وخُتِمَ عليه بخاتم النمر . ورجع كل واحد منهم إلى منزله
ثم إن شعُوراً يقال له رَوْزَبَة كان بينه وبين كليلة إخاء ومودة . وكان
عند الأسد وجيهاً ، وعليه كريماً . واتفق أن كليلة أخذه الوجد إشفاقاً وحذراً
على نفسه وأخيه ، ففرض ومات . فانطلق هذا الشعور إلى دمنة ، فأخبره
بموت كليلة ، فبكى وحزن ، وقال : ما أصنع بالدنيا بعد مفارقة الأخ الصفيِّ
ولكن أحمد الله تعالى حيث لم يمت كليلة حتى أتني لي من ذوى قرابي
أخاً مثلك ، فإنني قد وثقت بنعمة الله تعالى وإحسانه إليّ فيما رأيت من
اهتمامك بي ومراعاتك لي ، وقد علمت أنك رجائي وركني فيما أنا فيه . فأريد
من إنعامك أن تنطلق إلي مكان كذا ، فتنظر إلي ما جمعت أنا وأخي بحيلتنا
وسعيينا ومشيتة الله تعالى ، فتأتينني به . ففعل الشعور ما أمره به دمنة . فلما
وضع المال بين يديه أعطاه شطره ، وقال له : إنك على الدخول والخروج على
الأسد أقدر من غيرك ، فتفرغ لشأني ، واصرف اهتمامك إليّ ، واسمع
ما أذكر به عند الأسد إذا رُفِعَ إليه ما يجري بيني وبين الخوصوم ، وما يبدو
من أمّ الأسد في حقّي ، وما ترى من متابعة الأسد لها ، ومخالفته إياها في
قهرى ، واحفظ ذلك كله . فأخذ الشعور ما أعطاه دمنة ، وانصرف عنه على
هذا العهد . فانطلق إلى منزله ، فوضع المال فيه . ثم إن الأسد بكر من الغد
فجلس . حتى إذا مضى من النهار ساعتان استأذن عليه أصحابه ، فأذن لهم

١ حيث : كلمة دالة على المكان وزعم الاخفش أنها تأتي للزمان ، قال الاصمعي
وما تخطئ في العامة والخاصة باب حين وحيث : غلط فيه العلماء مثل أبي عبيدة
وغیره وأما هي في هذا المقام فعناهما يخرج عن هذين وهو التلليل ولست واقفاً لذلك
على نظير من كلامهم

فدخلوا عليه ، ووضعوا الكتاب بين يديه . فلما عرّف قوْلهم وقول دمنة دعا أُمَّه فقرأ عليها ذلك . فلما سمعت ما فى الكتاب نادَتْ بأعلى صوتها : إن أنا أغلظت فى القول فلا تُلمنى ، فإنك لست تعرفُ ضررَكَ من نفعك . أليس هذا مما كنت أنهارك عن سماعه ؟ لأنّه كلام هذا المجرم المسميِّ إلينا ، الغادر بدمتنا . ثم إنَّها خرجت مُغضبةً — وذلك بعين الشعر الذى آخاه دمنة وبسمعه — فخرج فى أثرها مسرعاً حتى أتى دمنة ، فحدّثه بالحديث فبينما هو عنده إذ جاء رسول فانطلق بدمنة إلى الجمع عند القاضى . فلما مثل بين يدى القاضى استفتح سيّد المجلس ، فقال : يا دمنة قد أنبأنى بخبرك الامين الصادق . وليس ينبغى لنا أن نفحص عن شأنك أكثر من هذا ، لأن العلماء قالوا : إن الله تعالى جعل الدنيا سبباً ومصدافاً للآخرة ، لأنَّها دار الرسل والأنبياء الدالين على الخير ، الهادين إلى الجنة ، الداعين إلى معرفة الله تعالى . وقد ثبت شأنك عندنا ، وأخبرنا عنك من وثقنا بقوله ، إلا أن سيّدنا أمرنا بالعود فى أمرك ، والفحص عن شأنك ، وإن كان عندنا ظاهراً بيننا . قال دمنة : أراك — أيها القاضى — لم تتعوّد العدل فى القضاء ، وليس فى عدل الملوك دفع المظلومين ومن لا ذنب له إلى قاض غير عادل ، بل الخاصمة عنهم والذود . فكيف ترى أن أقتل ولم أخصم ، وتُعجّل ذلك موافقة لهواك ، ولم تمض بعد ذلك ثلاثة أيام ؟ ولكن صدق الذى قال : إن الذى تعوّد عمل البرِّ هينٌ عليه عمله وإن أضرَّ به . قال القاضى : إنا

١ العدل مفعول لتعود ، ومن الخطأ أن يعدى هذا الفعل بلى فلا يجوز أن يقال تعودت على المكرمات وإنما اسقاط الحرف

نجد في كتب الأولين أن القاضي ينبغي له أن يعرف عمل المحسن والمسيء ليجازي المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، فإذا ذهب إلى هذا ازداد المحسنون حرصاً على الإحسان ، والمسيئون اجتناباً للذنوب . والرأي لك — يادمنة — أن تنظر الذي وقعت فيه ، وتعرف بذنبك ، وتقرّ به ، وتوب . فأجابه دمنة : إن صالحى القضاة لا يقطعون بالظن ، ولا يعملون به ، لا في الخاصة ولا في العامة ، لعلمهم أن الظن لا يُغنى من الحق شيئاً . وأتم إن ظننتم أنى مجرم فيما فعلت ، فإنى أعلم بنفسى منكم ، وعلى نفسى يقين لا شك فيه ، وعلمكم بى غاية الشك . وإنما قبح أمرى عندكم أنى سمعت بغيرى ، فما عذرى عندكم إذا سمعت بنفسى كاذباً عليها ؟ ! فأسلمتها للقتل والعطب على معرفة منى ببراءتى وسلامتى مما قرّرت به^١ . ونفسى أعظم الأفس على حرمة ، وأوجبها حقاً ، فلو فعلت هذا بأقصاصكم وأدناكم لما وسعنى فى دينى^٢ ، ولا حسن بى فى مروءتى ، ولا حق لى أن أفعله . فكيف أفعله بنفسى ؟ ! فاكف — أيها القاضي — عن هذه المقالة ، فإنها إن كانت منك نصيحة فقد أخطأت موضعها ، وإن كانت خديعة فإن أقبح الخداع ما نظرتّه وعرفت أنه من غير أهله ، مع أن الخداع والمكر ليسا من أعمال صالحى القضاة ، ولا ثقة الولاية

واعلم أن قولك مما يتخذة الجهال والأشرار سبةً يقتدون بها ، لأن أمور القضاء يأخذ بصوابها أهل الصواب ، وبخطأها أهل الخطأ والباطل والتقليد الورع . وأنا خائف عليك — أيها القاضي — من مقاتلك هذه

أعظم الرزايا والبلايا . وليس من البلاء والمصيبة أنك لم تنزل في نفس الملك والجند والخاصة والعامة فاضلا في رأيك ، مُقْنِعاً في عدلك ، مَرْضِيّاً في حكمك ، وعفافك وفضلك . وإنما البلاء : كيف أنسيت ذلك في أمري ؟ !

• • • • •

فلما سمع القاضي ذلك من لفظ دمنة نهض فرفعه إلى الأسد على وجهه . فنظر فيه الأسد . ثم دعا أمّه فعرضه عليها . فقالت حين تدبّرت كلام دمنة للأسد : لقد صار اهتمامي بما أتخوّف من احتيال دمنة لك بمكره ودهائه حتى يقتلك أو يُفسد عليك أملك أعظم من اهتمامي بما سلف من ذنبه إليك في الغشّ والسعاية حتى قتلت صديقك بنير ذنب . فوقع قولها في نفسه . فقال لها : أخبريني عن الذي أخبرك عن دمنة بما أخبرك ، فيكون حجة لي في قتلي دمنة . فقالت : إني لأكره أن أفشى سرّاً من استكتمنيه ، فلا يهينني سروري بقتل دمنة إذا تذكرتُ أني استظهرت عليه بركوب ما نهت عنه العلماء من كشف السرّ . ولكني أطالب الذي استودعنيهِ أن يجعلني في حلٍّ من ذكره لك ، ويقوم هو بعلمه وما سمعه منه . ثم انصرفت وأرسلت إلى النمر ، وذكرت له ما يحقّ عليه من حسن معاونته الأسد على الحق ، وإخراج نفسه من الشهادة التي لا يكتبها مثله ، مع ما يحقّ عليه من نصر المظلومين ، وتثبيت حجة الحق في الحياة والممات . فإنه قد قالت العلماء : من كتم حجة ميت خطأ حجّته يوم القيامة . فلم تنزل به حتى قام فدخل على الأسد ، فشهد عنده بما سمع من إقرار دمنة .

فلما شهد النمر بذلك أرسل الفهد المحبوس الذي سمع إقرار دمنة وحفظه إلى الأسد . فقال : إن عندي شهادة فأخرجوه ، فشهد على دمنة بما سمع من إقراره . فقال لها الأسد : ما منعكما أن تقوما بشهادتكما ؟ وقد علمتا أمرنا واهتمامنا بالفحص عن أمر دمنة . فقال كل واحد منهما : قد علمنا أن شهادة الواحد لا توجب حكماً ، فكرهنا التعرض لغير ما يمتضى به الحكم ، حتى إذا شهد أحدهما قام الآخر بشهادته ، فقيل الأسد قولهما وأمر بدمنة أن يقتل في حبسه فقتل أشنع قتلة



قتل دمنة في سجنه



شهادة الفهد والنمر

فمن نظري هذا فليعلم أن من أراد منفعة نفسه بضر غيره بالخلافة^١ والمكر فإنه سيُجرى على خلافته ومكره (انقضى باب الفحص عن أمر دمنة)

باب الحمامة المطوقة^١

قال دَبْشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت مثل المتحابين : كيف قطع بينهما الكذب ؟ وإلى ماذا صار عاقبة أمره من بعد ذلك ؟ فحدثني إن رأيت عن إخوان الصفاء : كيف يُبتدأ تواصلهم ، ويستمتع بعضهم ببعض . قال الفيلسوف : إن العاقل لا يَعدِلُ بالإخوان شيئاً ، فالإخوان هم الأعداء على الخير كلّه ، والمؤاسون عند ما ينوب من المكروه . ومن أمثال ذلك مثل الحمامة المطوقة والجُرَذُ^٢ والظبي والغراب . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ !

١ الحمام : فرع من الاسرة الدجاجية ذو منقار ضيف وحوصلة متسعة غشائية ومعدة عضلية والاجنحة معتدلة أو قصيرة وطعامه الاصلى الحبوب وبعضها يأكل بذوراً وقد يضطر الى أكل الحشرات وهو موصوف بالدعة واللطف والطهارة والخو ولا يألف الا أثناءه ولا تألف الاثنى الاذكرها عادة . ويتعاونان على تربية الزغاليين . وأنواعه كثيرة منه البري والاهلي والوراشين قالوا ومن طبعه أن يطلب وكره ولو أرسل من ألف فرسخ . وربما صيد وغاب عن وطنه عشر حجج فلا يزال على ثبات عقله وقوة حفظه ونزعه الى وطنه حتى يجد الفرصة فيطير اليه ولذلك اتخذ منه النوع المعروف بحمام الرسائل ويعرف أيضاً بحمام البطاق ويستخدم في الحروب والمحاصرات والتجارة وغيرها لحمل الاخبار ويقال ان أول مرة استعمل فيها هذا الحمام هي سنة ٤٣ قبل الميلاد لما ان حصر انطيوخس مدينة (وودينه) فارسل رئيس الحكومة الى حاكم إحدى المدن رسالة منوطة بخيط في عنق حمامة فاجابه برسالة معلقة برجلها . وحكايات هذا النوع كثيرة مشهورة وأكثر هذا الحمام من النوع ذى الطوق الابيض لانه يدجن ويتعلم سريعاً ٢ الجرذ : حيوان قراض ينطوى تحته جميع أنواع الجرذان والفيران التي تعيش في البيوت والحقول وأنواعه كثيرة منها الاسمر والاسود ومن أنواعه أيضاً جرد السقف أو الجرذ الابيض البطن وجميع أنواع الجرذ تحب القتال ومع أنها تقتات بما تيسر لها فان بعضها يفترس بعضاً ولا تكتفي بأكل من تقتله من أبناء جنسها بل تأكل صغارها وبها من القوة ما تقرض به العلاج وسن الفيل

قال يسديا : زعموا أنه كان بأرض سكاو ندجين عند مدينة داهر مكان كثير الصيد ، ينتابه الصيادون وكان في ذلك المكان شجرة كثيرة الأغصان ملتفة الورق ، فيها وكر غراب . فبينما هو ذات يوم ساقط في وكره إذ بصُر بصياد قبيح المنظر سيء الخلق على عاتقه شبكة ، وفي يده عصا . مقبلا نحو الشجرة . فدُعِر منه الغراب ، وقال : لقد ساق هذا الرجل إلى هذا المكان إما حَيًّا^١ وإما حَيِّنَ غَيْرِي . فَلَا تُبَيِّنْ مَكَانِي حَتَّى أَنْظُر : ماذا يَصْنَعُ ؟ ثم إن الصياد نَصَبَ شَبَكَتَهُ وَشَرَّ عَلَيْهَا الْحَبَّ ، وَمِنْ قَرِيبًا^٢ مِنْهَا . فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى مَرَّتْ بِهِ حَمَامَةٌ ، وَكَانَتْ سَيِّدَةَ الْحَمَامِ . وَمَعَهَا حَمَامٌ كَثِيرٌ ، فَعَمِيَتْ هِيَ وَأَصْحَابُهَا عَنِ الشَّرِكِ . فَوَقَعْنَ عَلَى الْحَبِّ يَلْتَقِظُنَّهُ . فَعَلِقْنَ فِي الشَّبَكَةِ كُلَّهُنَّ . وَأَقْبَلَ الصِّيَادُ فَرِحًا مَسْرورًا . فَجَعَلَتْ كُلُّ حَمَامَةٍ تَضْطَرِبُ فِي حَبَائِلِهَا^٣ ، وَتَلْتَمِسُ الْخُلَاصَ لِنَفْسِهَا . قَالَتِ الْمَطْوُوقَةُ : لَا تَخَاذَلْنَ فِي الْمَعَالِجَةِ^٤ ، وَلَا تَكُنْ نَفْسَ إِحْدَاكُنَّ أَهْمَ الْيَهِمَا مِنْ نَفْسِ صَاحِبَتِهَا ، وَلَكِنْ تَعَاوَنَ جَمِيعًا ، فَتَقْلَعِ الشَّبَكَةَ ، فَيَنْجُو بَعْضُنَا بِبَعْضٍ . فَقْلَعْنَ الشَّبَكَةَ جَمِيعُهُنَّ بِتَعَاوُنِهِنَّ . وَعَلَوْنَ فِي الْجَوِّ . وَلَمْ يَقْطَعْ الصِّيَادُ رَجَاءَهُ مِنْهُنَّ . وَظَنَّ أَنَّهُنَّ لَا يَجَاوِزْنَ إِلَّا قَرِيبًا وَيَقَعْنَ . فَقَالَ الْغَرَابُ : لَا تَبْعِهِنَّ . وَأَنْظُرْ مَا يَكُونُ مِنْهُنَّ ، فَالْتَمَعْتَ الْمَطْوُوقَةُ . فَرَأَتْ الصِّيَادَ يَتْبَعُهُنَّ . فَقَالَتْ لِلْحَمَامِ : هَذَا الصِّيَادُ مَجْدَّدٌ فِي طَلْبِكُنَّ . فَإِنْ نَحْنُ أَخَذْنَا فِي

١ الحين بالفتح : الاجل والهلاك ٢ كن . من باب سمع وقعد ٣ الحبال :

جمع حباله بالكسر وهي المصيدة ٤ أصلها تتخاذلن فحذفت إحدى التاءين تخفيفا

الفيضاء لم يخفَ عليه أمرنا ، ولم يزل يتبعنا . وإن نحن توجهنا إلى العمران



الصيد يتبع الحمام



الصيد يروح صيده والغراب يظر إليه

خفي عليه أمرنا وانصرف . ويمكن كذا جُرْد هو أخ لي . فلواتهينا إليه قطع عنا هذا الشَّرْك . ففعلن ذلك ، وأيس الصياد منهم ، وانصرف ، وتبعهن الغراب . فلما انتهت الحمامة المطوقة إلى الجرد أمرت الحمام أن يسقطن . فوقعن ، وكان للجُرد مائة جُحر لهخاوف ، فنادته المطوقة باسمه وكان اسمه زَيْرُك فأجابها الجرد من جحره : من أنت ؟ قالت : أنا خليلتك المطوقة . فأقبل إليها الجرد يسعى . فقال لها : ما أوقعك في هذه الورطة ؟ قالت له : ألم تعلم أنه ليس من الخير والشر شيء إلا وهو مقدر على من تصيبه المقادير ، وهي التي أوقعتنى في هذه الورطة ، فقد لا يمنع من القدر من هو أقوى مني وأعظم أمرا ، وقد تنكسف الشمس والقمر إذا قضى ذلك عليهما . ثم إن الجُرد أخذ في قرض العقد الذي فيه المطوقة . فقالت له

المطوّقة : ابدأ بقطع عقيد سائر الحمام ، وبعد ذلك أقبل على عقدي ، وأعادت ذلك عليه مراراً ، وهو لا يلتفت إلى قولها . فلما أكرّث عليه القول وكرّرت قال لها : لقد كرّرت القول علي ، كأنك ليس لك في نفسك حاجة ولا لك عليها شفقة ، ترعين لها حقاً . قالت : إني أخاف إن أنت بدأت بقطع عقدي أن تمّلّ وتكسل عن قطع ما بقي ، وعرفت أنك إن بدأت بهنّ قبلي ، وكنت أنا الأخيرة لم ترض — وإن أدركك الفتور — أن أبقى في الشّرك . قال الجرذ : هذا مما يزيد الرغبة والمودة فيك . ثم إن الجرذ أخذ في قرص الشبكة حتى فرغ منها ، فانطلقت المطوّقة وحامها معها



الغراب يطالب ود الجرذ



الجرذ حاد في قطع الحائل

فلما رأى الغراب صنع الجرذ رغب في مصادقته ، فجاء وناداه باسمه ، فأخرج الجرذ رأسه ، فقال له : ما حاجتك ؟ قال : إني أريد مصادقتك .

قال الجرذ : ليس بيني وبينك تواصل ، وإنما العاقل ينبغي له أن يلتصق
 ما يجد إليه سبيلا ، ويترك التماس ما ليس إليه سبيل ، فإنما أنت الآكل
 وأنا طعام لك . قال الغراب : إن أكلني إياك وإن كنت لي طعاما مما لا ينبغي
 عني شيئا ، وإن مودتك آتتني مما ذكرت ، ولست بحقيق إذا جئت
 أطلب مودتك أن تردني خائبا ، فإنه قد ظهر لي منك من حسن الخلق
 ما رغبتني فيه ، وإن لم تكن تلتصق بإظهار ذلك ، فإن العاقل لا ينبغي
 فضله وإن هو أخفاه . كالمسك الذي يكتنم ثم لا يمنعه ذلك من النشر
 الطيب والأرج الفائح^٢ . قال الجرذ : إن أشدَّ العداوة عداوة الجواهر . وهي
 عداوتان : منها ما هو متكافئ كعداوة الفيل والأسد ، ومنها ما قوته من
 أحد الجانبين على الآخر . كعداوة ما بيني وبين السنور^٣ ، وبينني وبينك
 فإن العداوة التي بيننا ليست تضرُّك ، وإنما ضررها عائد علي . فإن الماء لو
 أطيل إسخانه لم يمنعه ذلك من إطفائه النار إذا صبَّ عليها . وإنما مصاحب
 العدو ومصالحه كصاحب الحية يحملها في كفه ، والعاقل لا يستأنس إلى
 العدو الأريب

قال الغراب : قد فهمت ما تقول ، وأنت خليك أن تأخذ بفضل
 خليقتك ، وتعرف صدق مقالتي ، ولا تصعب علي الأمر بقولك : ليس إلى

١ الرائحة الطيبة ٢ الأرج محرّكة : نفحة ريح الطيب ٣ السنور بكسر
 السين وفتح النون مشددة : القط وهو حيوان لطيف ظريف منه البرى والاهلي
 تسمح بلعابه وجهه وإذا تلطخ شيء من بدنه نطقه وإذا جاعت الانثى أكلت أولادها
 وإذا ألف السنور مزلّا منع غيره دخوله . له نفس غضوب يفترس ويأكل اللحم الحي
 ويناسب الإنسان في أمور منها أنه يعطس ويتناب وتتمطي ويتناول الشيء بيده

التواصل بيننا سبيل . فإن العقلاء الكرام لا ينتفون إلى معروف جزاء ،
والمودة بين الصالحين سريع اتصاها ، بطيء انقطاعها . ومثل ذلك مثل
الكوز من الذهب بطيء الانكسار ، سريع الإعادة ، هين الإصلاح إن
أصابه ثلم أو كسر . والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها ، بطيء اتصاها .
ومثل ذلك مثل الكوز من الفخار ، سريع الانكسار . ينكسر من أدنى
عيب ، ولا وصل له أبداً . والكريم يودّ الكريم ، والثلثم لا يودّ أحداً إلا
عن رغبة أو رهبة . وأنا إلى ودك ومعروفك محتاج ، لأنك كريم ، وأنا
ملازم لبابك ، غير ذائق طعاماً حتى تؤاخي . قال الجرذ : قد قبلت إخاءك
فإنني لم أرد أحدًا عن حاجة قط . وإنما بدأتك بما بدأتك به إرادة التوثق
لنفسى فإن أنت غدرت بى لم تقل : إني وجدت الجرذ سريع الانخداع .
ثم خرج من جحره ، فوقف عند الباب . فقال له الغراب : ما يمنعك من الخروج
إلى ؟ والاستئناس بى . فهل فى نفسك بعد ذلك منى ريبة ؟ قال الجرذ :
إن أهل الدنيا يتعاطون فيما بينهم أمرين ، ويتواصلون عليهما ، وهما ذات
النفس وذات اليد . فالتبازلون ذات النفس هم الأصفياء . وأما المتبازلون
ذات اليد فهم المتعاونون الذين يلتمس بعضهم الانتفاع ببعض . ومن كان
يصنع المعروف لبعض منافع الدنيا : فإنما مثله فيما يبدل ويُعطى كمثل الصياد
والقائه الحب للطيور : لا يريد بذلك نفع الطير ، وإنما يريد نفع نفسه .
فتعاطى ذات النفس أفضل من تعاطى ذات اليد ، وإني وثقت منك
بذات نفسك ومنحتك من نفسى مثل ذلك ، وليس يمنعنى من الخروج

إليك سوء ظنّ بك ، ولكن قد عرفت أن لك أصحابا جَوْهرهم كجوهرك^١ ،
وليس رأيهم في كرايك

قال الغراب : إن من علامات الصديق أن يكون لصديق صديقه
صديقاً ولعدوّ صديقه عدوّاً ، وليس لي بصاحب ولا صديق من لا يكون
لك محبّاً ، وإنه يهون على قطعة من كان كذلك من جَوْهرى . ثم إن الجرذ
خرج إلى الغراب ، فتصافحا وتصافيا ، وأنس كل واحد منهما بصاحبه .
حتى إذا مضت لهم أيام قال الغراب للجرذ : إن جُحرك قريب من طريق
الناس ، وأخاف أن يرميك بعض الصبيان بحجر . ولّى مكان في عزلة ، ولّى
فيه صديق من السلاحف ، وهو مُخَصَّب من السمك ونحن واجدون هناك
ما نأكل ، فأريد أن أنطلق بك إلى هناك لنعيش آمنين . قال الجرذ :
إن لي أخباراً وقصصاً سأقصّها عليك إذا اتهمينا حيث تريد . فافعل



الجرذ يقص على السلحفاة والغراب قصصه



الغراب يحمل الجرذ الى مكان السلحفاة

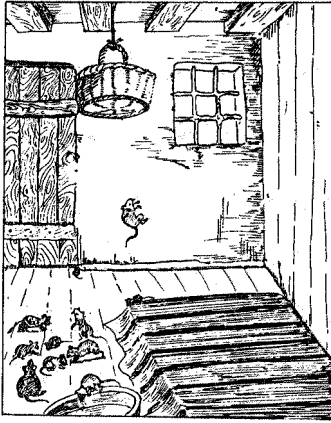
ما تشاء . فأخذ الغراب بذنب الجرذ ، وطار به حتى بلغ به حيث أراد .

١ جَوْهر الشيء : أصله

فلما دنا من العين التي فيها السلحفاة بصُرت السلحفاة بغراب ومعه جُرذ .
فدُعرت منه ، ولم تعلم أنه صاحبها . فساداها . فخرجت إليه ، وسألته من
أين أقبلت ؟ فأخبرها بقصته حين تبع الحمام ، وما كان من أمره وأمر الجرذ
حتى انتهى إليها . فلما سمعت السلحفاة شأن الجرذ عجبت من عقله ووفائه ،
ورحبت به . وقالت له : ما سافك إلى هذه الأرض ؟ قال الغراب للجرذ :
اقصص على الأخبار التي زعمت أنك تحدثني بها . فأخبرني بها مع جواب
ما سألت السلحفاة فإنها عندك بمنزلي . فقال : وقال :

كان منزلي أول أمرى بمدينة ماروت ، في بيت رجل ناسك وكان خالياً
من الأهل والعيال ، وكان يُؤتَى في كل يوم بَسَلَّةٌ من الطعام فيأكل منها
حاجته ، ويعلق الباقي . وكنت أرصد الناسك حتى يخرج ، وأنب إلى
السَّلَّة ، فلا أدعُ فيها طعاماً إلا أكلته ، وأرمي به إلى الجرذان ، فجهد
الناسك مراراً أن يعلق السَّلَّةَ مكاناً لا أناله ، فلم يقدر على ذلك ، حتى نزل
به ذات ليلة ضيف فأكل جميعاً . ثم أخذنا في الحديث . فقال الناسك
للضيف : من أى أرض أقبلت ؟ وأين تريد الآن ؟ وكان الرجل قد جاب
الآفاق ^١ ، ورأى عجائب . فأنشأ يحدث الناسك عما وطيء ^٢ من البلاد ،
ورأى من العجائب ، وجعل الناسك خلال ذلك يصفق بيديه لينفّرني عن
السَّلَّةِ فغضب الضيف ، وقال أنا أحدثك وأنت تهزأ بحدّثي . فاحملك على
أن سألتني ؟ فاعتذر إليه الناسك ، وقال : إنما أصفق بيدي لأنفّر جرّداً

قد تحيرت في أمره . ولست أضع في البيت شيئاً إلا وأكله . فقال الضيف :
جرذ واحد أم جرذان كثيرة ؟ فقال الناسك : جرذان البيت كثيرة ،



الجرذان تنعم بعيش الناسك



الضيف بغضب لتصفيت الناسك

ولكن فيهم جرذاً واحداً هو الذى غلبنى ، فما أستطيع له حيلة . قال
الضيف : لقد ذكرتني قول الذى قال : لأمرماً^١ باعت هذه المرأة سمماً
مقشوراً بغير مقشور . قال الناسك : وكيف كان ذلك ؟ !

قال الضيف : نزلت مرة على رجل بمكان كذا فتعشينا ، ثم فرّش لى ،
واقبل الرجل على فراشه ، فسمّيته يقول فى آخر الليل لامرأته : إني أريد
أن أدعو غداً رَهطاً^٢ ليأكلوا عندنا ، فاصنعى لهم طعاماً . فقالت المرأة :
كيف تدعو الناس إلى طعامك ؟ وليس فى بيتك فضل عن عيالك ، وأنت
رجل لا تبقي شيئاً ولا تدخره . قال الرجل : لا تندمى على شيء أطعمناه

١ أى لامر عظيم ٢ الرهط يطلق على مادون العشرة وليس له واحد من لفظه

وأففقناه ، فإن الجمع والادّخار ربما كانت عاقبته كعاقبة الذئب . قالت المرأة : وكيف كان ذلك ؟

قال الرجل : زعموا أنه خرج ذات يوم رجل قانص^١ ، ومعه قوسه ونشأ به^٢ ، فلم يجاوز غير بعيد حتى رمى ظبياً^٣ . فحمله ورجع طالباً منزله ، فاعترضه خنزير برى . فرماه بنشأ به ففدت منه ، فأدركه الخنزير ، وضر به بأنيابه ضربة أطارت من يده القوس ، ووقعا ميتتين . فأتى عليهما ذئب ، فقال :



الذئب وقد أصابته سه القوس فقتلته



الخنزير يدرك القانص

هذا الرجل والظبي والخنزير يكفيني أكلهم مدة ، ولكن أبدأ بهذا الوتر فأأكله ، فيكون قوت يرمى . فعالج الوتر حتى قطعه . فلما انقطع طارت

١ صائد ٢ النشاب بالضم : السهام وهو جمع نشابة ٣ الظبي : الغزال وجمعه أظب وظباء والظباء مختلفة الألوان وهي أصناف صنف يقال له الأرام وهي ظباء بيض خالصة البياض ومساكنها الرمال ويقال أنها ضأن الظباء لأنها أكثر لحوماً وشحوماً . وصنف يسمى العفر وألوانه الحمرة وهي قصار الاعناق أقل الظباء

سِية القوس^١، فضربت حلقه فمات. وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلمي أن الجمع والادخار وخيم العاقبة. فقالت المرأة نعم ما^٢ قلت. وعندنا من الأرز والسسم ما يكفي ستة نفر^٣ أو سبعة. فأنا غادية^٤ على اصطناع الطعام. فادع من أحببت. وأخذت المرأة حين أصبحت سمها فقشرتة، وبسطته في الشمس ليحف. وقالت لغلام لهم: اطرُد عنه الطير والكلاب. وتفرغت المرأة لصنعها، وتغافل الغلام عن السسم. فجاء كلب فعاث فيه^٥ فاستقدرته المرأة، وكرهت أن تصنع منه طعاماً ما. فذهبت به إلى السوق. فأخذت به مياضة سمها غير مقشور مثلاً بمثل. وأنا^٦ واقف في السوق. فقال رجل: لأمر ما باعت هذه المرأة سمها مقشوراً بغير مقشور. وكذلك قولي في هذا الجرد الذي ذكرت أنه على غير علة ما يقدر على ما شكوت منه. فالتمس لي فأساً، لعلني أحفر جحره، فأطلع على بعض شأنه. فاستعار الناسك من بعض جيرانه فأساً، فأتى بها الضيف. وأنا^٧ حينئذ في جحر غير جحري، أسمع كلامهما. وفي جحري كيس فيه مائة دينار. لا أدرى من وضعها. فاحتفر الضيف حتى انتهى إلى الدنانير فأخذها، وقال للناسك: ما كان هذا الجرد يقوى على الوثوب حيث كان

عدها تألف المواضع المرتفعة من الارض والاماكن الصلبة. وصنف يسمى الادام طوال الاعناق والقوائم يبيض البطون ١ سية القوس بكسر ففتح ما عطف من طرفها ٢ ما: فاعل نعم على الصحيح ٣ النفر من ثلاثة الى عشرة وقيل الى سبعة ولا يقال نفر فيما زاد على العشر ولذلك صلح أن يقال ثلاثة نفر وثلاثة أنفار ٤ مبكرة ٥ أفسده ٦ هذا الضيف للضيف وهو يحدث الناسك ٧ هذا الضيف ضمير الجرد وهو يحدث السلحفاة والغراب عن أمره

يثب إلا بهذه الدنانير ، فإن المال جعل له قوّة وزيادة في الرأى والنمى .
 وسترى بعد هذا أنه لا يتدبر على الوئوب حيث كان يثب . فلما كان من
 الغد اجتمع الجرذان التي كانت معى ، فقالت قد أصابنا الجوع وأنت
 رجأونا . فانطلقت ومعى الجرذان إلى المكان الذى كنت أئب منه إلى
 السلة . فحاولت ذلك مراراً فلم أقدر عليه . فاستبان للجرذان نقص حالى .
 فسمعتهم يقلن : انصرفن عنه ، ولا تطمعن فيما عنده ، فإننا نرى له حالا
 لا نحسبه إلا قد احتاج معها إلى من يعرله . فتركنى ، ولحقن بأعدائى ،
 وجفوننى ، وأخذن في غيبقى عند من يعادينى ويحسدنى . فقلت في نفسى :
 ما الإخوان ولا الأعوان ولا الأصدقاء إلا بالمال . ووجدت من لا مال له
 إذا أراد أمراً قعد به العدم^١ عما يريد : كالماء الذى يبقى في الأودية من
 مطر الشتاء : لا يمر إلى نهر ، ولا يجرى إلى مكان ، فقتربه أرضه .
 ووجدت من لا إخوان له لا أهل له ، ومن لا ولد له لا ذكر له^٢ ، ومن لا مال له
 لا عقل له ولا دنيا ولا آخرة له ، لأن الرجل إذا افتقر قطعه أقاربه وإخوانه ،
 فإن الشجرة النابتة في السباخ^٣ المأكولة من كل جانب كحال الفقير المحتاج
 إلى ما في أيدي الناس . ووجدت الفقر رأس كل بلاء ، وجالباً إلى صاحبه
 كل ممت ومعدن النيمة . ووجدت الرجل إذا افتقر آثمهم من كان له
 مؤتمناً ، وأساء به الظن من كان يظن فيه حسناً . فإن أذنب غيره كان هو
 للثمة موضعاً ، وليس من خلة هي للغنى مدح إلا وهى للفقير ذم . فإن كان

١ العدم بالضم : الفقر ٢ ما لم يكن من العاملين الذين قد أقاموا لهم في الحياذ آثاراً

٣ السباخ بالكسر : جمع سبعة بالتحريك وهى الأرض ذات الملح والنز

شجاعا قيل أهوج^١ . وإن كان جواداً سُمي مبدراً . وإن كان حلماً سُمي ضعيفاً . وإن كان وقوراً سُمي بليداً . فلموت أهون من الحاجة التي تحوج صاحبها إلى المسألة^٢ ، ولا سيما مسألة الأشحَاء^٣ والاثام ، فإن الكريم لو كلف أن يدخل يده في فم الأفعى فيخرج منه سما فيبتلعه كان ذلك أهون عليه وأحب إليه من مسألة البخيل اللئيم . وقد كنت رأيت الضيف حين أخذ الدنانير فقاسمها الناسك . فجعل الناسك نصيبه في خريطة^٤ عند رأسه لما جنَّ الليل ، فطمعت أن أصيب منها شيئاً فأردّه إلى جحرى ، ورجوت أن يزيد ذلك في قوّتى ، ويراجعنى بسببه بعض أصدقائى . فانطلقت إلى الناسك وهو نائم حتى انتهيت عند رأسه . ووجدت الضيف يقظان وبيده قضيب . فضربنى على رأسى ضربة موجعة . فسعيت إلى جحرى . فلما سكن عنى الألم هيجبجنى الحرص والشره . فخرجت طمعاً كطمعى الأول . وإذا الضيف يرصدنى . فضربنى ضربة أسالت منى الدم . فتقلّبت ظهراً لبطن إلى جحرى ، فخررت مغشياً علىّ ، فأصابنى من الوجع ما بغض إلى المال . حتى لا أسمع بذكره إلا تداخلنى من ذكر المال رعدة وهيبة . ثم تذكرت ، فوجدت البلاء فى الدنيا إنما يسوقه الحرص والشره ، ولا يزال صاحب الدنيا فى بليّة وتعب ونصب . ووجدت تجشّم الأسفار البعيدة فى طلب الدنيا أهون علىّ من بسط اليد إلى السخى بالمال . ولم أركل راضاً شيئاً . فصار أمرى إلى أن رضيت وقّعت . وانتقلت من بيت الناسك إلى البريّة .

١ أى أحمق طائشاً ٢ سؤال الناس ٣ البخلاء : جمع شحيح

٤ الخريطة : السكيس من الجلد وغيره

وكان لى صديق من الحمام . فسقيت إلى بصداقته صداقة الغراب . ثم ذكر لى الغراب ما بينك وبينه من المودة ، وأخبرنى أنه يريد المحبة إليك . فأحببت أن أجيء معه ، فكرهت الوحدة . فإنه لا شيء من سرور الدنيا يعدل صحبة الإخوان ، ولا غم فيها يعدل البعد عنهم . وجربت فعلت أنه لا ينبغي للعاقل أن يلتصق من الدنيا غير الكفاف الذى يدفع به الأذى عن نفسه ، وهو اليسير من المطعم والمشرب إذا اشتمل على صحة البدن ورفاهة البال . ولو أن رجلاً وهبت له الدنيا بما فيها لم يك ينتفع من ذلك إلا بالقليل الذى يدفع به عن نفسه الحاجة . فأقبلت مع الغراب إليك على هذا رأى ، وأنا لك أخ فلتكن منزلي عندك كذلك

فلما فرغ الجرذ من كلامه أجابته السلحفاة بكلام رقيق عذب ، وقالت : قد سمعت كلامك . وما أحسن ما تحدثت به ! إلا أنى رأيتك تذكر بقايا أمور هي في نفسك . واعلم أن حسن الكلام لا يتم إلا بحسن العمل ، وأن المريض الذى قد علم دواء مرضه إن لم يتداو به لم يُغن عنه به شيئاً ، ولم يجد لدائه راحة ولا خفة . فاستعمل رأيك ، ولا تحزن لقلة المال . فإن الرجل ذا المروءة قد يكرم على غير مال : كالأسد الذى يهاب وإن كان رابضاً . والغنى الذى لا مروءة له يهان وإن كان كثير المال : كالكلب لا يحفل به وإن طوق وخلخل بالذهب . فلا تكبرن عليك غربتك . فإن العاقل لا غربة له : كالأسد الذى لا يتقلب إلا معه قوته . فلتحسن تعاهدك

لنفسك . فإنك إذا فعلت ذلك جاءك الخير يطلبك ، كما يطلب الماء
انحداره . وإنما جعل الفضل للحازم البصير بالأمر . وأما الكسلان المتردد
فإن الفضل لا يصحبه . . . وقد قيل في أشياء ليس لها ثبات ولا بقاء :
ظل الغمامة في الصيف . وخلة الأشرار . والبناء على غير أساس . والمال
الكثير . فالعقل لا يحزن لقلته . وإنما مال العاقل عقله ، وما قدّم من صالح
عمله . فهو واثق بأنه لا يسلب ما عمل ، ولا يؤخذ بشيء لم يعمله ، وهو
خليق ألا يفغل عن أمر آخرته ، فإن الموت لا يأتي إلا بغتة ، ليس له وقت
معين . وأنت عن موعظتي غني بما عندك من العلم ، ولكن رأيت أن أقضى
مالك من حق قبلنا ، لأنك أخونا ، وما عندنا من النصيح مبذول لك

فلما سمع الغراب كلام السلحفاة للجرذ وردها عليه ولامطقتها بإد فرح
بذلك ، وقال : لقد سررتني ، وأنعمت عليّ . وأنت جديرة أن تسرّي
نفسك بمثل ما سررتني به . وإن أولى أهل الدنيا بشدة السرور من لا يزال
ربعة من إخوانه وأصدقائه من الصالحين معمرًا ، ولا يزال عنده منهم
جماعة يسرّهم ويسرّونه ، ويكون من وراء أمورهم وحاجاتهم بالمرصاد ، فإن
الكريم إذا عثر لا يأخذ بيده إلا الكرام : كالفيل إذا وحل لا تخرجه إلا الفيلة
فبينما الغراب في كلامه إذ أقبل نحوهم ظبي يسعى . فدعرت منه
السلحفاة . فغاصت في الماء . وخرج الجرذ إلى جحره . وطار الغراب فوق
على شجرة . ثم إن الغراب حلق في السماء لينظر : هل للظبي طالب ؟ فظفر

فلم ير شيئاً . فنادى الجرذ والسلحفاة ، وخرجا . فقالت السلحفاة للظبي حين
رأته ينظر إلى الماء : إشرب إن كان بك عطش ، ولا تحف ، فإنه



الظبي والجرذ والغراب والسلحفاة مستأنسين



الغراب يخلق ليرى هل للظبي طالب

لا خوف عليك . فدنا الظبي فرحبت به السلحفاة وحيته ، وقالت له : من
أين أقبلت ؟ قال : كنت أسنح^١ بهذه الصحارى . فلم تزل الأساورة^٢
تطرُدنى من مكان إلى مكان حتى رأيت اليوم شبحاً ، فنفقت أن يكون
قائصاً . قالت : لا تحف ، فإننا لم نره هنا قائصاً قط . ونحن نبذل لك ودنا
ومكاننا ، والماء والمرعى كثيران عندنا ، فارغب في صحبتنا . فأقام الظبي
معه . وكان لهم عريش^٣ يجتمعون فيه ، ويتذاكرون الأحاديث والأخبار .
فبينما الغراب والجرذ والسلحفاة ذات يوم فى العريش غاب الظبي . فتوقعوه

١ سنح الظبي والطيور وغيرها سنوحا : مر من المياسر الى الميامن : ولكن المراد
أنه كان يرتع ويرعى ٢ الاساورة جمع أسوار بالضم والكسر وهو الراعى بالسهم
٣ العريش المكان يستظل به عند الظهيرة وجمعه عرش بضمتين

ساعة فلم يأت . فلما أبطأ أشفقوا^١ أن يكون قد أصابه عنت^٢ . فقال الجرذ
والسلحفاة للغراب : أنظر : هل ترى مما يلينا شيئاً ؟ فحلّق الغراب في السماء
فنظر فإذا الظبي في الجبائل مقتنصاً . فاقض مسرعا ، فأخبرهما بذلك .
فقال السلحفاة والغراب للجرذ : هذا أمر لا يرجى فيه غيرك . فأغث
أخاك . فسمى الجرذ مسرعا . فأتى الظبي ، فقال له : كيف وقعت في هذه
الورطة ؟ وأنت من الأكياس^٣ . قال الظبي : هل يُغنى الكيس مع المتعاقبات
شيئاً ؟ . فبينما هما في الحديث إذواقتهما السلحفاة . فقال لها الظبي : ما أصبت
بمجيئك إلينا ، فإن القانص لو انتهى — وقد قطع الجرذ الجبائل —
استبقته عدواً ، وللجرذ أحجاراً كثيرة ، والغراب يطير ، وأنت ثقيلة
لاسى لك ولا حركة ، وأخاف عليك القانص . قالت : لاعيش مع فراق
الأحبة . وإذا فارق الأليف أليفه فقد سلب فؤاده ، وحرم سروره ، وعشى
بصره . فلم ينته كلامهما حتى وافى القانص . ووافق ذلك فراغ الجرذ من
الشرك . فنجى الظبي بنفسه . وطار الغراب محلّقا . ودخل الجرذ بعض
الاحجار . ولم يبق غير السلحفاة . ودنا الصياد فوجد حبالته مقطعة . فنظر
يميناً وشمالاً . فلم يجد غير السلحفاة تدب . فأخذها وربطها فلم يلبث الغراب
والجرذ والظبي أن اجتمعوا . فنظروا القانص قد ربط السلحفاة . فاشتد
حزنهم . وقال الجرذ : ما أرانا نجاوز عقبة من البلاء إلا صرنا في أشد منها .

١ خافوا ٢ العنت : الامر الشاق ٣ الاكياس : جمع كيس
كسيد وهو الفطن الظريف

ولقد صدق الذي قال : لا يزال الإنسان مستمراً في إقباله ما لم يعثر ، فإذا عثر^١ به العثار وإن مشى في جدد^٢ الأرض . وحذرى على السلحفاة خير الأصدقاء التي خلّتها^٣ ليست للمجازاة ولا لالتماس مكافأة ، ولكنها خلة الكرم والشرف ، خلة هي أفضل من خلة الوالد لولده ، خلة لا يزالها إلا الموت . ويح^٤ لهذا الجسد الموكل به البلاء الذي لا يزال في تصرف وتقلب ، ولا يدوم له شيء ، ولا يلبث معه أمر : كما لا يدوم للطالع من النجوم طلوع ، ولا للأفل منها أفول . لكن لا يزال الطالع منها آفلا ، والأفل طالما : وكما تكون آلام الكاوم^٥ ، وانتقاض^٦ الجراحات ، كذلك من قرحت كلومه^٧ يفقد إخوانه بعد اجتماعه بهم . فقال الظبي والغراب للجرذ : إن حذرنا وحذرك وكلامك — وإن كان بليغاً — كل منها لا يغنى عن السلحفاة شيئاً . وإنه كما يقال : إنما يختبر الناس عند البلاء ، وذو الأمانة عند الأخذ والعطاء ، والأهل والولد عند الفاقة ، كذلك تختبر الإخوان عند النوائب . قل الجرذ : أرى من الحيلة أن تذهب — أيها الظبي — فتقع بمنظر من القانص كأنك جريح ويقع الغراب عليك كأنه يأكل منك ،

١ لج : تبادى ٢ جدد : محركة : الأرض المستوية ٣ الخلة بالكسر : الصبغة ٤ ويح : كلمة ترحم وتوجع وقد تقال بمعنى الملح والتعجب وقيل هي بمعنى ويل يقال : ويح لزيد ويوحاً له (ورفعه على الابتداء ونصبه باضمار الفعل كأنك قلت الزمه الله ويحاً وتقول (ويح زيد ويوحه ويوحما زيد) بزيادة « ما » ونصبها به أيضاً . وقيل أصله ويحه فوصلت بياء موحدة مرة وبحاء موهلة أخرى وبحاء معجمة تارة وبسين أخرى وبلاد آونة وبهاء أخرى فقبل ويب ويوح ويوح وييس وويل وويه ٥ الكاوم : جمع كالم وهو الجرح ٦ انتقاضها : انتكاسها ٧ قرحت : يقال قرح الرجل قرحاً بالتحريك : خرجت فيه القروح

وأسى أنا فأكون قريباً من القانص مراقباً له . لعله يرمى ما معه من الآلة ، ويضع السلحفاة ، ويقصديك طامعاً فيك ، راجياً تحصيلك . فإذا دنا منك ففرّ عنه رؤيداً ، بحيث لا ينقطع طمعه منك . وممكنه من أخذك مرةً بعد مرةً حتى يبعدنا . وانحُ منه هذا النحو ما استطعت . فإنى أرجو ألا ينصرف إلا وقد قطعت الجبائل عن السلحفاة ، وأنجو بها . ففعل الغراب والظبي ما أمرهما به الجرذ . وتبعهما القانص . فاستجره الظبي حتى أبعده



الظبي يستطرد للقانص



الظبي يراى للقانص كأنه حرج

عن الجرذ والسلحفاة ، والجرذ مقبل على قطع الجبائل حتى قطعها ، ونجا بالسلحفاة . وعاد القانص مجهوداً لاغياً^١ . فوجد جبائله مقطعة . ففكر في أمره مع الظبي المتطلع^٢ . فظن أنه خوط في عقله . وفكر في أمر الظبي والغراب الذى كأنه يأكل منه ، وقرض جبائله . فاستوحش من الأرض ،

وقال : هذه أرض جن^١ أو سحرة^٢ ! فرجع موليا لا يلتبس شيئا ، ولا يلتفت إليه . واجتمع الغراب والظبي والجرذ والسحفاة إلى عريشهم سالمين آمنين كأحسن ما كانوا عليه



الظبي والجرذ والغراب والسحفاة في عريشهم آمنين

فإذا كان هذا الخلق مع صفه وضعفه قد قدر على التخلص من مرابط الهلكة مرة بعد أخرى بمودته وخلوصها ، وثبات قلبه عليها ، واستمعاة مع أصحابه بعضهم ببعض ، فالإنسان الذي قد أعطى العقل والفهم ، وألهم الخير والشر ومنح التمييز والمعرفة أولى وأحرى بالتواصل والتعاقد . فهذا مثل إخوان الصفاء واثلاثهم في الصحبة (اتقضى باب الحماية المطوقة)

١ جن : الجن خلاف الانس أو كل ما استتر عن الحواس من الملائكة والشياطين .
٢ السحرة : جمع ساحر وهو من يعمل السحر وفسروه بأنه اخراج الشيء في أوفق مظهره حتى يخدع أو يفتن

باب البوم^١ والغربان

قال دَبْشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت مثل إخوان الصفا وتعاونهم . فاضرب لى مثل العدو الذى لا ينبغي أن يُغترَّ به ، وإن أظهر تضرعاً ومكلاً . قال الفيلسوف : من اغترَّ بالعدو الذى لم يزل عدواً أصابه ما أصاب البوم من الغربان . قال الملك وكيف كان ذلك ؟ !

قال بيدبا : زعموا أنه كان في جبل من الجبال شجرة من شجر الدَّوح^٢ ، فيها وَكْرُ ألف غراب . وعليهنَّ والٍ من أنفسهنَّ . وكان عند هذه الشجرة كهف^٣ فيه ألف بومة ، وعليهنَّ والٍ منهنَّ . فخرج ملك البوم لبعض غَدَوَاتِهِ وَرَوَحَاتِهِ^٤ — وفي نفسه العداوة للملك الغربان ، وفي نفس الغربان

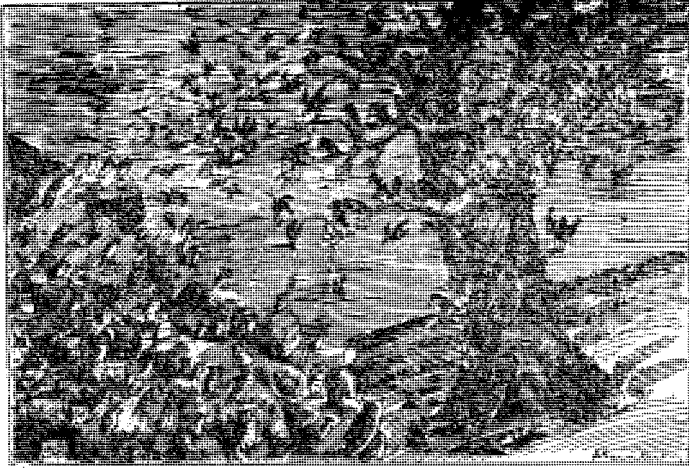
١ البوم : طائر قصير ضخيم ورأسه كبير بالنسبة الى جسمه وربما تتأ فيه شبه القرون أو الأذان ، وعيناه كبيرتان جداً في حدتين مستديرتين تتجهان الى الامام ، وهى فى أكثر الانواع معدة للنظر غلسا أو عند الزوال أو ليلا فاذا عرضت لضوء النهار تفرست دون ان تبصر ، وأذناه كبيرتان لهما شبه غطاء ، وجناحاه معتدلان عريضان مستديران مجهزان بما يكسبهما نشاطاً دون صوت مساء وغلسا

وريش البوم ناعم وأثناء أكبر من ذكره وهى تشبه الذكر فى لونها ، وهىئة الوجه والعينين أشبه بهيئة اهر . وتبيض الانثى من يبيضتين الى خمس يبيضات أما أنواعه فكثيرة جداً ، وأكثرها ليل ولا يطير منه فى النهار الا القليل . وأكبره ينتدى بالحشرات وخصوصاً الفيران والعصافير وأصغره ينتدى أيضاً بالحشرات الصغيرة . ولبعضه أصوات مختلفة فربما نبح كالكلب أو أتى بأصوات كصوت المنادى أو المستغيث فيضل بها المسافر ليلا ظنا منه أنها صادرة من العمار

٢ الدوح : جمع دوحة وهى الشجرة العظيمة ٣ الكهف : المغارة

٤ يريد ذهابه وإيابه

وملكها مثل ذلك اليوم — فأغار ملك البوم في أصحابه على الغربان في أوكارها ، فقتل وسبى منها خلقاً كثيراً ، وكانت الغارة ليلاً ، فلما أصبحت



هجوم البوم على الغربان

الغربان اجتمعت إلى ملكها فقلن له : قد علمت ما لقينا الليلة من ملك البوم ، وما منّا إلا من أصبح قتيلاً أو جريحاً أو مكسور الجناح ، أو منتوف الريش ، أو مقطوف الذنب . وأشدُّ مما أصابنا ضرراً علينا جراءتهن علينا ، وعلمهنَّ بمكاننا ، وهنَّ عائدات إلينا غير منقطعات عنّا : لعلمهنَّ بمكاننا . فإنما نحن لك ، ولك الرأى أيها الملك ، فانظر لنا ولنفسك . وكان في الغربان خمسة مُعترف هنَّ بحسن الرأى ، يُسند إليهنَّ في الأمور ، ويلقى عليهنَّ أزمة الأحوال . وكان الملك كثيراً ما يشاورهنَّ في الأمور ، ويتأخذ آراءهنَّ في الحوادث والنوازل .

فقال الملك للأول من الخمسة : ما رأيك في هذا الأمر ؟ قال : رأيي قد سبقتنا إليه العلماء ، وذلك أنهم قالوا : ليس للعدو الخنق^١ إلا الحرب منه . قال الملك للثاني : ما رأيك أنت في هذا الأمر ؟ قال : رأيي ما رأى هذا من الحرب . قال الملك : لا أرى لكما ذلك رأياً : أن نرحل عن أوطاننا ونُخلِجها لعدونا من أول نكبة أصابتنا منه ، ولا ينبغي لنا ذلك ، ولكن نُجمع أمرنا ، ونستعدّ لعدونا ، ونذكي^٢ نار الحرب فيما بيننا وبين عدونا ، ونحترس من الغرة^٣ إذا أقبل إلينا ، فلما هم مستعدّين ، وتقاتله قتالا غير مرجحين فيه ، ولا مقصّرين عنه ، وتلقى أطرافنا أطراف العدو ، وتحرّز بحصوننا ، وندافع عدونا : بالأناة مرة ، وبالجلاد^٤ أخرى ، حيث نصيب فرصتنا وبغيتنا ، وقد ثبينا عدونا عنا .

ثم قال الملك للثالث : ما رأيك أنت ؟ قال : ما أرى ما قالا رأياً ، ولكن نبثّ العيون^٥ ، ونبعث الجواسيس ، ونرسل الطلائع^٦ بيننا وبين عدونا ، فنعلم أيريد صلحنا ؟ أم يريد حربنا ؟ أم يريد الفدية^٧ ؟ فإن رأينا أمره أمر طامع في مال لم نكره الصلح على خراج نؤديه إليه في كل سنة ندفع به عن أنفسنا ، ونطمئن في أوطاننا . فإن من آراء الملوك إذا اشتدت شوكة عدوهم تخافون على أنفسهم وبلادهم ، أن يجعلوا الأموال جنة البلاد^٨ والملك والرعية .

١ الخنق : الشديد الغيظ ٢ تشمل ونضم ٣ الغرة بالكسر : الغفلة
٤ الجلاد : الشدة والصبر ٥ أى نرسل الجواسيس والرقباء ٦ الطلائع جمع
طليعة وهى ما ترسل أمام الجيش من الجنود لاستكشاف مكان العدو ٧ الفدية
ما يعطى من المال عوض المفدى عنه ٨ أى حصنا بقى البلاد طوارىء الاعداء

قال الملك للراعي : فما رأيك في هذا الصلح ؟ قال : لا أراه رأيا . بل أن نفارق أوطاننا ونصبر على الغربة وشدة المعيشة خير من أن نضيع أحسابنا ، ونخضع للعدو الذي نحن أشرف منه ، مع أن اليوم لو عرضنا ذلك عليهم لما رضين منا إلا بالشطط^١ . ويقال في الأمثال : قارب عدوك بعض المقاربة لتتال حاجتك . ولا تقاربه كل المقاربة : فيجتري عليك ، ويضعف جندك ، وتبدل نفسك . ومثل ذلك مثل الخشبة المنصوبة في الشمس : إذا أملتها قليلا زاد ظلها ، وإذا جاوزت بها الحد في إمالتها قص الظل . وليس عدونا راضيا منا بالدون في المقاربة فالرأي لنا ولك المحاربة .

قال الملك للخامس : ما تقول أنت ؟ وماذا ترى ؟ أالقتال أم الصلح ؟ أم الجلاء عن الوطن ؟ قال : أما القتال فلا سبيل للمرء إلى قتال من لا يقوى عليه ، وقد يقال : إنه من لا يعرف نفسه وعدوه ، وقاتل من لا يقوى عليه ، حمل نفسه على حتفها^٢ ، مع أن العاقل لا يستصغر عدوا : فإن من استصغر عدوه اغتر به ، ومن اغتر بعدوه لم يسلم منه . وأنا لليوم شديد الهيبة ، وإن أضربن عن قتالنا . وقد كنت أهابها قبل ذلك : فإن الحازم لا يأمن عدوه على كل حال : فإن كان بعيدا لم يأمن سطوته ، وإن كان مكثبا^٣ لم يأمن وثبته ، وإن كان وحيدا لم يأمن مكره . وأحزم الأقوام وأكيسهم من كره القتال لأجل النفقة فيه : فإن ما دون القتال النفقة فيه من الأموال والقول والعمل ، والقتال النفقة فيه من الأنفس والأبدان .

فلا يكونن القتال للبوم من رأيك ، أيها الملك : فإن من قاتل من لا يقوى عليه فقد غرر بنفسه . فإذا كان الملك مُحْصِناً للأسرار ، متخيراً للوزراء ، مهيباً في أعين الناس ، بعيداً من أن يُقدَّر عليه ، كان خليقاً ألا يسلب صحيح ما أُوتى من الخير . وأنت — أيها الملك — كذلك . وقد استشرتني في أمر ، جوابك متى عنه في بعضه علانية ، وفي بعضه سر . وللأسرار منازل : منها ما يدخل فيه الرَّهْط^٢ ، ومنها ما يستعان فيه بالقوم ، ومنها ما يدخل فيه الرجلان . ولست أرى لهذا السر على قدر منزلته أن يُشارك فيه إلا أربع آذان ولسانان . فتهض الملك من ساعته وخلا به ، فاستشاره ، فكان أول ما سأله عنه الملك أنه قال : هل تعلم ابتداء عداوة ما بيننا وبين البوم ؟ قال : نعم كلمة تكلم بها غراب . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ !

قال الغراب : زعموا أن جماعة من الكراكي^٣ لم يكن لها ملك ، فأجمعت أمرها على أن يملكن عليهن ملك البوم ، فبينما هي في مجعها إذ وقع لها غراب ، فقالت : لو جاءنا هذا الغراب لاستشرناه في أمرنا ، فلم يلبث دون أن جاءهن الغراب . فاستشرنه ، فقال : لو أن الطير بادت من الأقاليم

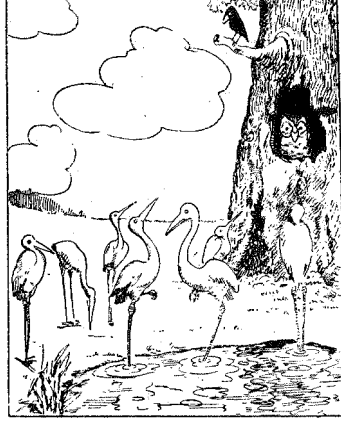
١ كاتما لها ٢ الرهط : الاقارب

٣ الكراكي جمع كركي وهو طائر رمادي يقرب من الوز غير أنه أبتز الذيل في خده لمعات سود قليلة اللحم صلب العظم طويل الساقين لاتصلح جماعته إلا برئيس لان في طبعه الحذر والتحارس بالزوبة فاذا نفى نوبته قام الذي كان نائماً حتى ينفض حراسته ، ومن طبعه أيضاً التناصر فلا تغاير الجماعة منه متفرقة بل تكون صفاً صفاً يتقدموا واحد رئيساً لها ثم تتبعه أطوع له من الظل ثم يتخلفه غيره ولا تزال كذلك حتى يتناول كل فرد هذه الرياسة بعد الطائر الآخر

وفقد الطاووس^١ والبطّ والنعام^٢ والحمام من العالم لما اضطرتن إلى أن تملكن عليكن اليوم التي هي أقبح الطير منظرًا ، وأسوأها خلقًا ، وأقلها عقلًا ،



العراب ينفر الكراكي من اليوم



الكراكي تريد تملك اليوم

١ الطاووس زينة الطيور ومظهر جاهها ، وهو نوعان وحشي لا يألف الدور وأهلى يريه الناس لمجرد الزينة والتفكه بمرآه البديع لان لحمه جاف صلب عسر الهضم . وفي رأسه قنبرة مؤلفة من أربع وعشرين ريشة صغيرة قاتمة خضراء أطرافها ذهبية اللون ، ولونه الى حيث بطنه يربك حمرة وردية وخضرة زبرجدية في صفرة عسجدية ذات بريق يكاد يذهب بنور العين ، وجناحه قصيران لا يساعده على الطيران الا قليلا ، وذيله طويل كبير جداً يتألف من ريشات جميلات ، فترى في وسط كل ريشه منه دائرة يتخللها الالوان السبعة : وهو مطبوع على الزهو بنفسه والاعجاب بريشه ولا سيما اذا كانت أنثاء أو الناس تنظر اليه فانه اذ ذاك ينشر ذيله ويسدل ثوب خيالة امامهم ذاهبا وآيبا حتى كأنما هو الملك يختال بين رعيته ،

٢ النعام اسم جنس مفردة نعامه وهو طائر كبير يشبه الجمل في عنقه ووظيفته ويشارك الطير في الجناح والريش والمنقار ، وليس للنعام حاسة السمع ولكن به الشم البليغ فهو يدرك بانفه ما يحتاج فيه الى السمع فربما شم القانص من بعيد ولذلك يقال : أشم من نعامه . قيل وليس في الدنيا حيوان لا يشرب الماء أبداً الا النعام . ووتى دميت رجل واجدة لم تنفع بالآخرى بل تجثم في مكانها حتى تهلك ، ومن خواصها

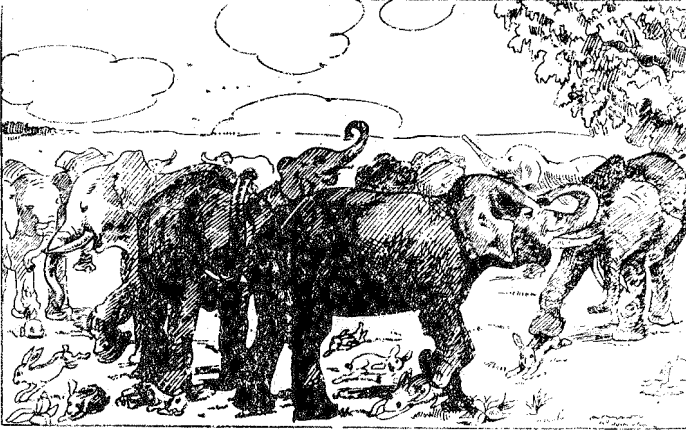
وأشدّها غضباً ، وأبعدها من كل رحمة ، مع عماها وما بها من العشا^١ بالنهار ،
وأشدّ من ذلك وأقبح أمورها سفهها وسوء أخلاقها . إلا أن ترين أن
تملكنها وتكنّ أنتنّ تدبرن الأمور دونها برأ يكنّ وعقولكنّ ، كما فعلت
الأرنب التي زعمت أن القمر ملكها ، ثم عملت برأيها . قال الطير : وكيف
كان ذلك ؟ !

قال الغراب : زعموا أن أرضاً من أراضى الفيلة تتابعت عليها السنون^٢ ،
وأجدبت ، وقلّ ماؤها ، وغارت^٣ عيونها ، وذوى^٤ نبتها ، ويس شجرها ،
فأصاب الفيلة عطش شديد : فشكّون ذلك إلى ملكهنّ ، فأرسل الملك
رُسُلَهُ وروّاده في طلب الماء ، في كل ناحية . فرجع إليه بعض الرسل ، فأخبره
أنّى قد وجدت بمكان كذا عيناً يقال لها عين القمر ، كثيرة الماء . فتوجّه
ملك الفيلة بأصحابه إلى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته . وكانت العين
في أرض للأرنب ، فوطئن الأرنب في أجحارهنّ ، فأهلكن منهنّ كثيراً .
فاجتمعت الأرنب إلى ملكها فقلن له : قد علمت ما أصابنا من الفيلة .
فقال : ليحضرن منكنّ كلّ ذى رأى رأيه . فتقدّمت أرنب من الأرنب ،

سرعة الجرى وأشد ما يكون إذا استقبلت الريح وقد تبتلع الصلب والحجر والدر
والحديد فتذنيه وتبعه .

ويقال أنها تقسم بيضها أثلاثاً فنه ماتحضنه ومنه ماتأخذ صفرتة غذاء ومنه ماتتحممه
وتتركه في الهواء حتى يتعفن ويتولد منه دود تغذي به فراخها إذا خرجت . ويضرب
بها المثل في الحق قيل لأنها ترك بيضها وتحضن بيض غيرها . وقيل لأنها إذا رأّت
القاصص وضعت رأسها خلف الكشيّب ظانة أنها قد استخفت عليه مادامت هي لم تره
١ سوء البصر ٢ السنون : الجذب ٣ غارت : جفت ٤ ذوي : ذبل

يقال لها (فَيَرُوز). وكان الملك يعرفها بحسن الرأى والأدب ، فقالت :
إن رأى الملك أن يبعثنى إلى الفيلة ، ويرسل معى أميناً ، ليرى ويسمع ما أقول ،



الفيلة فى طريقهم الى الماء

ويرفعه الى الملك^١. فقال لها الملك : أنت أمينة ، ونرضى بقولك ، فانطلقى
إلى الفيلة ، وبلغنى عني ما تريدين . واعلمى أن الرسول برأيه وعقله ولينه
وفضله يخبر عن عقل المرسل . فعليك باللين والرفق والحلم والتأنى : فإن
الرسول هو الذى يلين الصدور إذا رفق ، ويخشن الصدور إذا خرق^٢. ثم
إن الأرنب انطلقت فى ليلة قمرءاء ، حتى انتهت إلى الفيلة ، وكهت أن تدنو
منهن مخافة أن يطأنها بأرجلهن ، فيقتلنها ، وإن كنَّ غير متمعدات . ثم
أشرفت على الجبل ، ونادت ملك الفيلة ، وقالت له : إن القمر أرسلنى إليك ،
والرسول غير مأموم فيما يبلغ ، وإن أغلظ فى القول . قال ملك الفيلة : فما الرسالة ؟

١ جواب الشرط حذف لانه يفهم من المقام والتقدير ان رأى الملك الخ فعل ذلك

٢ خرق : حرق

قالت : يقول لك : إنه من عرف فضل قوته على الضعفاء فاعترَّ بذلك في شأن الأقوياء قياساً لهم على الضعفاء كانت قوته وبالا عليه . وأنت قد عرفت فضل قوتك على الدواب ، ففرِّك ذلك ، فعمدت إلى العين التي تسمى باسمي ، فشربت منها ، وكدّرتها . فأرسلني إليك : فأندرك ألا تعود إلى مثل ذلك . وإنك إن فعلت أغشى بصرك ، وأتلف نفسك . وإن كنت في شك من رسالتي ، فہلم^١ إلى العين من ساعتك : فأني موافيك بها . فعجب ملك الفيلة من قول الأرنب ، فانطلق إلى العين مع فيروز الرسول . فلما نظر إليها ، رأى ضوء القمر فيها . فقالت له فيروز الرسول : خذ بخروطوك من الماء فاغسل به وجهك ، واسجد للقمر . فأدخل الفيل خروطوه في الماء ،



الفيل يسجد للقمر

١ هلم : كلمة بمعنى الدعاء الى الشيء كتمال فتكون لازمة وقد تستعمل متعدية كهل شهداءكم أي أحضروهم ، ويجوز أن تلزم حالة واحدة في خطاب المفرد والمثنى والجمع وهو الافصح ويجوز أن تنصرف فيقال هلم يا رجل وهلم يا رجلان وهلمى

فتحرك فخيّل للفيل أن القمر ارتعد . فقال : ما شأن القمر ارتعد ؟ !
أُتراه^١ غضب من إدخال الخراطوم في الماء ؟ قالت فيروز الأرنب : نعم .
فسجد الفيل للقمر مرة أخرى ، وتاب إليه مما صنع ، وشرط ألا يعود إلى
مثل ذلك هو ولا أحد من فيلته .

قال الغراب : ومع ما ذكرت من أمر البوم فإن فيها الخلب^٢ والمكر
والخدعة ، وشرّ الملوك الخادع ، ومن ابتلى بسلطان مخادع وخدمه ، أصابه
ما أصاب الأرنب والصفرد^٣ حين احتسما إلى السنور . قالت السكراكي^٤ :
وكيف كان ذلك ؟ !

قال الغراب : كان لي جار من الصفار^٥ في أصل شجرة قريبة من
وكرى ، وكان يكثر مواصلي ، ثم فقدته ، فلم أعلم أين غاب ؟ وطالت
غيبته عني . فجاءت أرنب إلى مكان الصفرد فسكنته ، فكرهت أن
أخاصم الأرنب . فلبثت فيه زمانا . ثم إن الصفرد عاد بعد زمان ، فأتى
منزله ، فوجد فيه الأرنب . فقال لها : هذا المكان لي ، فانتقلي عنه . قالت
الأرنب : المسكن لي ، وتحت يدي ، وأنت مدع له . فإن كان لك حق
فاستعدي^٦ بإثباته عليّ . قال الصفرد : القاضى منا قريب : فهلم بنا إليه .
قالت الأرنب : ومن القاضى ؟ قال الصفرد : إن بساحل البحر سنورا^٧ متعبدا ،
يصوم النهار ، ويقوم الليل كله ، ولا يؤذى دابة^٨ ، ولا يهريق^٩ دما ، عيشه من

وهلموا وهلمن إلا أنها في الأولى اسم فعل وفي الثانية فعل
١ ترى ، مبنية للمجهول بمعنى تظن ٢ بالكسر طائر صغير كالصفور
قيل أنه من خساس الطير ويضرب المثل به في الجبن فيقال أجن من صفرد
٣ يهريق : فعل مضارع ماضيه هراق والمصدر هراقة (بالكسر) معناه صب
٤

الحشيش وما يَقْدِفُه إِلَيْهِ البحر. فَإِنْ أَحْبَبْتَ تَحَاكَمْنَا إِلَيْهِ ، وَرَضِينَا بِهِ .
 قَالَتِ الْأَرْبُ : مَا أَرْضَانِي بِهِ إِذَا كَانَ كَمَا وَصَفْتَ ! فَانْطَلَقَا إِلَيْهِ ، فَتَبِعَتْهُمَا
 لَا نَظْرًا إِلَى حُكُومَةِ الصَّوَامِ الْقَوَامِ . ثُمَّ إِنَّمَا ذَهَبَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا بَصُرَ السُّورُ
 بِالْأَرْبِ وَالصُّفْرِ دَقِبِلَيْنِ نَحْوَهُ انْتَصَبَ قَائِمًا يُصَلِّي ، وَأَظْهَرَ الْخُشُوعَ وَالتَّنَسُّكَ .
 فَعَجِبَا لِمَا رَأَيَا مِنْ حَالِهِ ، وَدَنُوا مِنْهُ هَائِبِينَ لَهُ ، وَسَلَّمَا عَلَيْهِ ، وَسَلَّاهُ أَنْ يَقْضَى
 بَيْنَهُمَا . فَأَمَرَهُمَا أَنْ يَقْصَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَفَعَلَا . فَقَالَ لَهَا : قَدْ بَلَغْنِي الْكِبَرُ ،
 وَثَقُلْتُ أَذُنَايَ : فَادْنُوا مِنِّي ، فَأَسْمِعَانِي مَا تَقُولَانِ . فَدَنُوا مِنْهُ ، وَأَعَادَا عَلَيْهِ
 الْقِصَّةَ ، وَسَلَّاهُ الْحُكْمَ . فَقَالَ : قَدْ فَهِمْتُ مَا قُلْتُمَا ، وَأَنَا مُبْتَدِئُكُمْ بِالنَّصِيحَةِ
 قَبْلَ الْحُكْمِ بَيْنَكُمَا . فَأَنَا أَمْرُكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالْأَتْلَابِ إِلَّا الْحَقَّ : فَإِنْ
 طَالَبَ الْحَقُّ هُوَ الَّذِي يَفْلُجُ^١ وَإِنْ قُضِيَ عَلَيْهِ ، وَطَالَبَ الْبَسَاطِلُ مَخْصُومًا^٢ ،
 وَإِنْ قُضِيَ لَهُ . وَلَيْسَ لِصَاحِبِ الدُّنْيَا مِنْ دُنْيَاهُ شَيْءٌ ، لَا مَالٌ وَلَا صَدِيقٌ
 سِوَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَقْدَمُهُ ، فَدَوِ الْعَقْلَ حَقِيقًا أَنْ يَكُونَ سَعِيهِ فِي طَلَبِ
 مَا يَبْقَى وَيَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِ غَدًا ، وَأَنْ يُنَمَّتْ بِسَعِيهِ فِيهَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ أُمُورِ
 الدُّنْيَا : فَإِنْ مَنَزَلَةُ الْمَالِ عِنْدَ الْعَاقِلِ بِمَنَزَلَةِ الْمَدَرِ^٣ . . . وَمَنَزَلَةُ النَّاسِ عِنْدَهُ فِيهَا

الماء وغيره ، وَأَصْلُهُ أَرَاقُهُ بِرِيقِهِ أَرَاقُهُ أَبْدَلَتْ أَلْهَمَزَتُهَا
 وَأَصْلُ هَرَاقُهُ هَرِيقُهُ عَلَى وَزْنِ دَحْرَجِهِ وَلِذَلِكَ قُتِحَتِ الْهَاءُ فِي الْمَضَارِعِ كَمَا فَتَحَتْ
 الدَّالُ فِي « يَدْحَرَجُ » وَالْأَمْرُ هَرَقَ بِفَتْحٍ فَسَكُونِينِ وَالْأَصْلُ هَرِيقَ عَلَى وَزْنِ دَحْرَجِ
 أَسْتَثْقَلَتِ الْكَسْرَةُ تَحْتَ الْيَاءِ فَخَذَفَتْ فَالتَّقَى سَاكِنَانِ الرَّاءِ وَالْيَاءِ حَذَفَتْ الْيَاءُ لِلتَّخْلُصِ
 مِنَ التَّقَاءِ السَّاكِنَيْنِ وَيُقَالُ فِي الْمَثْنَى هَرِيقًا وَفِي الْجَمْعِ هَرِيقُوا
 وَقَدْ يَجْمَعُ بَيْنَ الْهَاءِ وَالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ أَهْرَاقُهُ بِهَرِيقِهِ أَهْرَاقَةُ سَاكِنِ الْهَاءِ فِي الْجَمْعِ
 وَاسِمُ الْفَاعِلِ مِنْهُ مَهْرِيقٌ وَاسِمُ الْمَفْعُولِ مَهْرَاقٌ بِتَسْكِينِ الْهَاءِ وَيَجُوزُ تَحْرِيكُهَا
 ١ يَظْفَرُ عَلَى خَصْمِهِ ٢ مَخْصُومٌ : مَغْلُوبٌ بِالْخَصَامِ ٣ الْمَدَرُ : بِالتَّحْرِيكِ قِطْعُ الطِّينِ الْيَاسِ

يحبّ لهم من الخير ويكره من الشر بمنزلة نفسه . ثم إن السنور لم يزل يقصّ عليهما من جنس هذا وأشباهه ، حتى أنسا إليه ، وأقبلا عليه ، ودنوا منه ،



السنور يقص على الارب والصغرد



السنور يظهر بالصلاح والتقوى

ثم وثب عليهما فقتلهما . قل الغراب : ثم إن البوم تجمع - مع ماوصفت لكن من الشؤم - سائر العيوب : فلا يكوننّ تملك البوم من رأيكن . فلما سمع الكراكي ذلك من كلام الغراب أضربن عن تملك البوم . وكان هناك بوم حاضر قد سمع ماقلوا . فقال للغراب : لقد وترتني أعظم الترة^١ ، ولا أعلم أنه سلف مني إليك سوء أوجب هذا . وبعد فاعلم أن الفأس يُقطع به الشجر فيعود ينبت ، والسيوف يُقطع اللحم ثم يعود فيندمل^٢ ، واللسان لا يندمل جرحه ولا تؤسى^٣ مقاطعه . والنصل من السهم يغيب في اللحم ، ثم يُنزع فيخرج ، وأشباه النصل من الكلام إذا وصلت إلى القلب لم تُنزع ولم

١ يقال وتره ترة إذا أصابه بمكروه ٢ اندمل الجرح : التأم وتراجع الى البرء ٣ تؤسى : تدوي

تستخرج . ولكل حريق مطفىء : فللنار الماء ، وللسم الدواء ، وللحزن الصبر ،
ونار الحقد لا تخبو أبدا . وقد غرستم — معاشر الغريبان — بيننا وبينكم
شجر الحقد والعداوة والبغضاء

فلما قضى اليوم مقاتلته ، ولّى مغضباً ، فأخبر ملك اليوم بما جرى وبكل
ما كان من قول الغراب . ثم إن الغراب ندم على ما فرط منه ، وقال : والله
لقد خرقت في قولي الذى جلبت به العداوة والبغضاء على نفسى وقومى !
وليتنى لم أخبر الكراكى بهذه الحال ! ولا أعلمتها بهذا الامر ! ولعلّ أكثر
الطير قد رأى أكثر مما رأيت ، وعلم أضعاف ما علمت ، فنعما من الكلام
بمثل ما تكلمت اتقاء ما لم أتق ، والنظر فيما لم أنظر فيه من حذار العواقب ،
لا سيما إذا كان الكلام أفظع كلام ، يلقى منه سامعه وقائله المكروه مما يورث
الحقد والضغينة ، فلا ينبغي لأشبه هذا الكلام أن يُسمى كلاما ، ولكن
سهماً . والعاقل وإن كان واثقا بقوة وفضله لا ينبغي أن يحمله ذلك على أن
يجلب العداوة على نفسه اتكالا على ما عنده من الرأى والقوة ، كما أنه وإن
كان عنده الترياق لا ينبغي له أن يشرب السم اتكالا على ما عنده .
وصاحب حسن العمل — وإن قصر به القول في مستقبل الأمر — كان
فضله بيننا واضحا في العاقبة والاختبار . وصاحب حسن القول — وإن
أعجب الناس منه حسن صفته للأمر — لم يُحمد عاقبة أمره . وأنا صاحب
القول الذى لا عاقبة له محدودة . أليس من سفهى اجترائى على التكلم فى

الأمر الجسيم لا أستشير فيه أحداً ؟ ! ولم أعمل فيه رأياً . ومن لم يستشر النصحاء الأولياء ، وعمل برأيه من غير تكرير النظر والروية لم يعقبط^١ بمواقع رأيه . فما كان^٢ أغنانى عما كسبت يومى هذا ! وما وقعت فيه من المم^٣ ! وعاتب الغراب نفسه بهذا الكلام وأشباهه وذهب . فهذا ما سألتنى عنه من ابتداء العداوة بيننا وبين البوم

وأما القتال فقد علمت رأى فيه ، وكراحتى له . ولكن عندى من الرأى والحيلة غير القتال ما يكون فيه الفرج إن شاء الله تعالى . فإنه رب قوم قد احتالوا بآرائهم حتى ظفروا بما أرادوا . ومن ذلك حديث الجماعة الذين ظفروا بالناسك وأخذوا عريضه^٣ . قل الملك : وكيف كان ذلك ؟ !

قل الغراب : زعموا أن ناسكا اشترى عريضاً ضخماً ليجعله قُرْبَاناً ، فانطلق به يقيوده . فبصر به قوم من المكورة . فائتمروا بينهم أن يأخذوه من



الناسك وقد خدع فسلبوه بخرصه

الناسك . فعرض له أحدهم ، فقال له — أيها الناسك — ما هذا الكلب
الذي معك ؟ ! ثم عرض له الآخر ، فقال لصاحبه : ما هذا ناسك ، لأن
الناسك لا يقود كلباً . فلم يزالوا مع الناسك على هذا ومثله حتى لم يشكَّ أن
الذي يقوده كلب ، وأن الذي باعه إياه سحر عينه . فأطلقه من يده . فأخذه
الجماعة المحتالون ومضوا به

وإنما ضربت لك هذا المثل لما أرجو أن نصيب من حاجتنا بالرِّفق
والحيلة . وإنني أريد من الملك أن ينقُرني على رؤوس الأشهاد ، وينتِفِ



الوزير الذي طابت نفسه عن تنف ريشه



ملك الغريان يشاور وزراءه

ريشي وذنبي ، ثم يطرحني في أصل هذه الشجرة ، ويرتحل الملك هو
وجنوده إلى مكان كذا . فأرجو أني أصير ، وأطلع على أحوالهم ، ومواقع
تحصينهم وأبوابهم فأخادعهم وآتي إليكم لهمجم عليهم ، وننال منهم غرضنا
إن شاء الله تعالى

قال الملك : أَتَطِيبُ نَفْسَكَ لَذَلِكَ ؟ قال : نعم . وكيف لا تَطِيبُ نَفْسِي لَذَلِكَ وفيه أعظم الأراحات للملك وجنوده . ففعل الملك بالغراب ما ذكر ، ثم ارتحل عنه . فجعل الغراب يئن ويهمس^١ حتى سمعته البوم ورأينه يئن . فأخبرن ملكهن بذلك . فقصد نحوه ليسأله عن الغراب . فلما دنا منه أمر بوماً أن يسأله . فقال له : من أنت ؟ وأين الغراب ؟ فقال : أما إسمي ففلان . وأما ما سألتني عنه فإنني أحسبك ترى أن حالي حال من لا يعلم الأسرار . فقيل للملك البوم : هذا وزير ملك الغراب ، وصاحب رأيه ، فسأله بأيّ ذنب صنّع به ما صنّع ؟ فسئل الغراب عن أمره ، فقال : إن ملكنا استشار جماعتنا فيكنّ . وكنت يومئذ بمحضّر من الأمر . فقال — أيها الغراب — ما ترون في ذلك ؟ فقلت — أيها الملك — : لا طاقة لنا بقتال البوم ، لأنهنّ أشدّ بطشاً ، وأحدّ قلباً منا . ولكن أرى أن نلتمس الصلح ، ثم نبذل الفدية في ذلك . فإن قبلت البوم ذلك منا وإلا هربنا في البلاد . وإذا كان القتال بيننا وبين البوم كان خيراً لهنّ شراً لنا ، فالصلح أفضل من الخصومة ، وأمرتهن بالرجوع عن الحرب ، وضربت لهنّ الأمثال في ذلك ، وقلت لهنّ : إن العدوّ الشديد لا يردّ بأسه وغضبه مثل الخضوع له : ألا ترين إلى الحشيش : كيف يسلم من عاصف الريح لينة وميله معها حيث مالت . فعصيتنني في ذلك ، وزعمنّ أنهنّ يُردن القتال ، واتهمنني فيما قلت . وقلن إنك قد مالأت البوم علينا ، ورددن قولي ونصيحتي ، وعدنّ بنى بهذا العذاب ، وتركني الملك وجنوده وارتحل . ولا علم لي بهنّ بعد ذلك

فلم اسمع ملك اليوم مقالة الغراب قل لبعض وزرائه : ما تقول في الغراب ؟ وما ترى فيه ؟ قال : ما أرى إلا المعاجلة له بالقتل : فإن هذا أفضل عدد الغرابان ، وفي قتله لنا راحة من مكروه ، وفقده على الغرابان شديد . ويقال : من ظفر بالساعة التي فيها ينجح العمل ، ثم لا يعاجله بالذي ينبغي له ، فليس بحكيم . ومن طلب الأمر الجسيم ، فأمكنه ذلك فأغفله ، فاته الأمر ، وهو خليق ألا تعود الفرصة ثانية . ومن وجد عدوه ضعيفاً ، ولم ينجز قتله ، ندم إذا استقوى ولم يقدر عليه .

قال الملك لوزير آخر : ما ترى أنت في هذا الغراب ؟ قل : أرى ألا تقتله : فإن العدو الذليل الذي لا ناصر له أهل لأن يستبقي ويرحم ويصفح عنه ، لا سيما المستجير الخائف : فإنه أهل لأن يؤمن .

.....

قال ملك اليوم لوزير آخر من وزرائه : ما تقول في الغراب ؟ قل : أرى أن تستبقيه وتحسن إليه : فإنه خليق أن ينصحك . والعاقل يرى معاداة بعض أعدائه بعضاً ظفراً حسناً ، ويرى اشتغال بعض الأعداء ببعض خلاصاً لنفسه منهم ، ونجاة كنجاة الناسك من اللص والشیطان حين اختلفا عليه . قال له الملك : وكيف كان ذلك ؟ !

قال الوزير : زعموا أن ناسكاً أصاب من رجل بقرة حلوبا . فانطلق بها يقودها إلى منزله ، فعرض له لص أراد سرقها ، وتبعه شيطان يريد اختطافه . فقال الشيطان للص : من أنت ؟ قل أنا اللص ، أريد أن أسرق هذه البقرة من الناسك إذا نام . فمن أنت ؟ قل : أنا الشيطان أريد

اختطفه إذا نام وأذهب به . فاتمها على هذا إلى المنزل . فدخل الناسك منزله . ودخلا خلفه . وأدخل البقرة فربطها في زاوية المنزل ، وتعشى ونام . فأقبل اللص والشیطان يأتمران فيه . واختلفا على من یبدأ بشغله أولا . فقال الشیطان للص : إن أنت بدأت بأخذ البقرة فربما استيقظ وصاح واجتمع الناس ، فلا أقدر على أخذه . فأنظرني^١ ريثما أخذه ، وشأنك وما تريد . فأشفق اللص إن بدأ الشیطان باختطفه فربما استيقظ فلا یقدر على أخذ البقرة . فقال : لا . بل أنظرني أنت حتى آخذ البقرة ، وشأنك وما تريد . فلم یزالا في المجادلة حتى نادى اللص : أيها الناسك اتبه ، فهذا



الاص، والشیطان یجادلان فی أيهما یسبق یغفله صاحب البقرة یصرخ على صراخ اللص والشیطان

الشیطان یرید اختطافك . ونادى الشیطان : أيها الناسك اتبه ، فهذا اللص یرید أن یسرق بقرتك . فاتبه الناسك وجيرانه بأصواتهما . وهرب الخبيثان . قال الوزير الاول الذى أشار بقتل الغراب : أظن أن

١ أي أعطني زمنا یسع ما أریده

الغراب قد خدعكن ، ووقع كلامه في نفس الغبي منكم موقعه . فتردن أن تضعن الرأي في غير موضعه . فمها مهلا — أيها الملك — عن هذا الرأي . فلم يلتفت الملك إلى قوله وأمر بالغراب أن يُحمل إلى منازل اليوم ويكرم وتستوصى به خيرا

ثم إن الغراب قال للملك يوماً — وعنده جماعة من البوم وفيهن الوزير الذي أشار بقتله — أيها الملك ، قد علمت ما جرى على من الغربان . وإنه لا يستريح قلبي دون أخذى بثأرى منهن . وإنى قد نظرت في ذلك ، فاذا بى لا أقدر على ما رُمت ، لأنى غراب . وقد روى عن العلماء أنهم قالوا : من طابت نفسه بأن يُحرقها فقد قرَّبَ الله أعظم القربان : لا يدعو عند ذلك بدعوة إلا استجيب له . فإن رأى الملك أن يأمرنى فأحرق نفسى ، وأدعوربى أن يحولنى يوماً فأكون أشدَّ عداوة وأقوى بأساً على الغربان . لعلى أنتقم منهن . قال الوزير الذى أشار بقتله : ما أشبهك في خير ما تُظهر وشر ما تُخفى إلا بالخمرة الطيبة الطعم والريح ، المنقع فيها السم . أرايت لو أحرقتنا جسمك بالنار أكان جوهرك وطباعك متغيرة ؟ أليست أخلاقك تدور معك حينما درت ؟ وتصير بعد ذلك إلى أصلاك وطينتك : كالقارة التي خيَّرت في الأزواج بين الشمس والريح والسحاب والجبل فلم يقع اختيارها إلا على الجُرْد . قيل له : وكيف كان ذلك ؟ !

قال : زعموا أنه كان ناسك مستجاب الدعوة . فبينما هو ذات يوم جالس

على ساحل البحر إذ مرت به حِدَاةٌ في رجلها دِرْصُ فَاةٍ^١ . فوقعَت منها عند الناسك . وأدركته لها رحمة ، فأخذها ولفّها في رُدْنَه^٢ ، وذهب بها إلى منزله . ثم خاف أن تشقّ على أهله تربيتها . فدعا ربه أن يحولها جارية . فتحولت جارية حسناء . فانطلق بها إلى امرأته ، فقال لها : هذه ابنتي . فاصنعى معها صنيعك بولدى . فلما كبرت قال لها الناسك - يا بُنَيَّةَ اختارى من أحببت حتى أزوجك به . فقالت : أما إذا خيرتني فإنى أختار زوجاً يكون أقوى الأشياء . فقال الناسك : لعلك تريدن الشمس . ثم انطلق إلى الشمس . فقال : أيها الخلق العظيم ، لى جارية قد طلبت زوجاً يكون أقوى الأشياء . فهل أنت متزوجها ؟ فقالت الشمس : أنا أدلك على من هو أقوى منى : السحاب الذى يغطّينى ويردّ حرّ شعاعى ، ويكسِف أشعة أنوارى . فذهب الناسك إلى السحاب . فقال له : ما قال للشمس . فقال السحاب : وأنا أدلك على من هو أقوى منى . فاذهب إلى الريح التى تُقبل بى وتدبر ، وتذهب بى شرقاً وغرباً . فجاء الناسك إلى الريح . فقال لها : كقولك للسحاب . فقالت : وأنا أدلك على من هو أقوى منى : وهو الجبل الذى لا أقدر على تحريكه . فمضى إلى الجبل . فقال له : القول المذكور . فأجابه الجبل ، وقال له : أنا أدلك على من هو أقوى منى . الجرذ الذى لا أستطيع الامتناع منه إذا تقبّنى واتخذنى مسكناً . فانطلق الناسك إلى الجرذ . فقال له : هل أنت متزوج هذه الجارية ؟ فقال : وكيف أتروّجها

١ أى ولد فَاةٍ ٢ الردن بالضم : أصل الكم وفى بعض النسخ لفها في ورقة وهو خطأ

وجحرى ضيق . وإنما يتزوج الجرذ الفأرة . فدعا الناسك ربه أن يحولها
فأرة كما كانت . وذلك برضا الجارية . فأعادها الله إلى عنصرها الأول .
فانطلقت مع الجرذ . فهذا مثلك أيها الخساع . فلم يلتفت ملك البوم إلى
ذلك القول ، ورفق بالغراب ، ولم يزد له إلا إكراما . حتى إذا طاب عيشه
ونبت ريشه واطلع على ما أراد أن يطلع عليه راغ روعة . فأتى أصحابه بما



الغراب تفعل النوم فمدت إلى أهله



الغراب يجدد النوم ليلته

رأى وسمع . فقال للملك : إني قد فرغت مما كنت أريد ، ولم يبق إلا أن
تسمع وتطيع . قال له : أنا والجنود تحت أمرك . فاحتكم : كيف شئت
قل الغراب : إن البوم بمكان كذا في جبل كثير الحطب . وفي ذلك
الموضع قطع من الغنم مع رجل راع . ونحن مصيبون هناك نارا ، ونلقينا
في أفتاب البوم ، وقدف عليها من يابس الحطب ، ونتراوح عليها ضربا
بأجنحتنا حتى تضطرم النار في الحطب . فمن خرج منهم احترق ، ومن لم
يخرج مات بالدخان موضعه . ففعل الغرابان ذلك . فأهلك البوم قاطبة .

ورجعن إلى منازلهنَّ سالمات آمنا

ثم إن ملك الغربان قال لذلك الغراب : كيف صبرت على صحبة البوم ؟
ولا صبر للأخيار على صحبة الأشرار . فقال الغراب : إن ما قلته — أيها
الملك — لكذلك . ولكن العاقل إذا أتاه الأمر الفظيع العظيم الذي
يخاف من عدم تحمله الجائحة^١ على نفسه وقومه لم يجزع من شدة الصبر عليه ،
لما يرجو أن يعقبه صبره حسن العاقبة وكثير الخير ، فلم يجد لذلك ألماً .
ولم تكره نفسه الخضوع لمن هو دونه ، حتى يبلغ حاجته فيغتبط بخاتمة أمره
وعاقبة صبره . فقال الملك : أخبرني عن تقول البوم . قال الغراب : لم أجد
فيهن عاقلاً إلا الذي كان يحشُنَّ على قتلى . وكان حرّضهن على ذلك مراراً .
فكنَّ أضعف شيء رأيا . فلم ينظرن في أمرى ويدكرن أنى قد كنت ذا منزلة
في الغربان ، وأنى أعدت من ذوى الرأى ، ولم يتخوفن مكرى وحيلتي ، ولا
قبيلن من الناصح الشفيق^٢ ، ولا أخفين دونى أسرارهن . وقد قال العلماء :
ينبغي للملك أن يحصن أموره من أهل النيمة ، ولا يطلع أحداً منهم على
مواضع سرّه . فقال الملك : ما أهلك البوم في نفسى إلا البغى وضعف رأى
الملك وموافقته وزراء السوء . فقال الغراب : صدقت — أيها الملك — إنه
قلماً ظفّر أحد بغى ولم يطغ . وقلّ من أكثر من الطعام إلا مريض ، وقلّ من
وثق بوزراء السوء وسلم من أن يقع في المهالك . وكان يقال : لا يطمعن ذو
الكبر في حسن الثناء ، ولا الخبّ في كثرة الصديق ، ولا السيء الأدب

١ الجائحة : الشدة المهلكة ٢ كذلك رأى الناصح الشفيق مضيق بين الادعاء
ومن قد نال منهم الحرق والحداد

في الشرف ، ولا الشحيح في البر ، ولا الحريص في قلة التوب ، ولا الملك المختال المتهاون بالأمور الضعيف الوزراء في إثبات ملكه وصلاح رعيته . قال الملك : لقد احتملت مشقة شديدة في تصنعك لليوم وتضرعك لهن . قال الغراب : إنه من احتمال مشقة يرجو نفعها ، ونحى عن نفسه الأنفة والحمية ، ووطنها على الصبر حميد غيب رأيها^١ : كما صبر الأسود على حمل ملك الضفادع^٢ على ظهره ، وشيع بذلك وعاش . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟^١

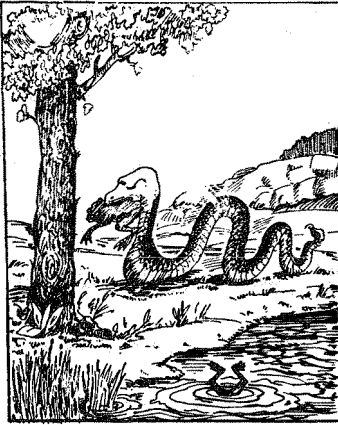
قال الغراب : زعموا أن أسود من الحيات كبر وضعف بصره وذهبت قوته . فلم يستطع صيداً . ولم يقدر على طعام . وأنه انساب^٣ يلتبس شيئاً يعيش به حتى انتهى إلى عين كثيرة الضفادع قد كان يأتيها قبل ، فيصيب من ضفادعها رزقه . فرمى نفسه قريباً من مظهر الكلابة والحزن . فقال له ضفدع : مالي أراك — أيها الأسود — كئيباً حزينا ؟ ! قال : ومن أخرى

١ عاقبة ٢ الضفادع : دابة من الزواحف ، وأنواعها كثيرة : منها العادية والمتسلقة (الطيارة وغير الطيارة) والسامة تأكل الحشرات والديدان وما يشابهها ولا تشرب الماء . ومن غريب أمرها أنك إذا فتحت فاهما مدة طويلة اختنقت وماتت كما يقتل الإنسان إذا سد فيه وأنفه لأنها تتناول الأكسجين من الماء أثناء مروره من الحياشيم . وتنفس الضفادع أيضاً بواسطة جلدها سواء أكانت في الماء أم في الهواء ؟ فإذا نزع رثناها عاشت بتنفس الجلد ما يقارب ستة أسابيع

تقيم الضفادع في الماء معظم الاوقات ويضرب بها المثل في السباحة وتستطيع اجتياز المسافات الشاسعة طلباً للماء فتسير وثباتاً لطول أرجلها وهي تنق أصواتاً تختلف في القوة والكثافة فيتعذر على سامعها أن يعرف ما بينه وبينها من البعد بصوتها ، وقيل ان بعضها يبلغ عمره الاربعين من السنين

٣ الانسياق : ديب الحية

بطول الحزن منى ؟ وإنما كان أكثر معيشتي مما كنت أصيب من الضفادع . فابتليت ببلاء . وحرمت على الضفادع من أجله . حتى إنى إذا التقيت ببعضها لا أقدر على إمساكه . فانطلق الضفدع إلى ملك الضفادع فبشره بما سمع من الأسود . فأتى ملك الضفادع إلى الأسود ، فقال له : كيف كان أمرك ؟ قال : سعت منذ أيام فى طلب ضفدع . وكان ذلك فى المساء . فاضطرته إلى بيت ناسك . ودخلت فى أثره فى الظلمة . وفى البيت ابن للناسك . فأصبت أصبعه . فظننت أنها الضفدع . فلدغته فمات . فخرجت هارباً . فتبعنى الناسك فى أثرى ، ودعا على ولعنى ، وقال : كما قتلت ابنى البرئ ظمأً وتعدياً أدعو عليك أن تدلّ وتصير مركباً لملك الضفادع ، فلا تستطيع أخذها ، ولا أكل شئ منها إلا ما يتصدق به عليك . فأتيت إليك لتركنى مقرّاً بذلك ، راضياً به . فرغب ملك الضفادع فى ركوب



الأسود يتناول غذاءه



ملك الضفادع يتخذ الأسود مركباً

الأسود : وظنّ أن ذلك نخر له وشرف ورفعة . فركبه واستطاب له ذلك .

فقال له الأسود قد علمت - أيها الملك - أني محروم . فاجعل لي رزقاً أعيش به . قال ملك الضفادع : لعمرى لا بدّ لك من رزق يقوم بك إذ كنت مركبى فأمر بضفدعين يؤخذان في كل يوم ، ويُدفعان إليه . فعاش بذلك ولم يضره خضوعه للعدوّ الذليل . بل انتفع بذلك ، وصار له رزقاً ومعيشة . وكذلك كان صبرى على ما صبرت عليه التماساً لهذا النفع العظيم الذى اجتمع لنا فيه الأمن والظفر وهلاك العدو والراحة منه . ووجدت سرعة اللين والرفق أسرع وأشدّ استئصالاً للعدوّ من سرعة المكابرة ، فإن النار لا تزيد بمحدثها وحرّها إذا أصابت الشجرة على أن تحرق ما فوق الارض منها ، والماء يبرده ولينه يستأصل ما تحت الأرض منها . ويقال : أربعة أشياء لا يستقلّ قليلها : النار ، والمرض ، والعدوّ ، والدّين . قال الغراب : وكل ذلك كان من رأى الملك وأدبه وسعادة جدّه . وأنه كان يقال : إذا طلب اثنان أمراً ظفر به منهما أفضلهما مروءة ، فإن اعتدلا في المروءة فأشدّهما عزماً ، فإن استويا في العزم فأسعدهما جدّاً . وكان يقال : من حارب الملك الحازم الأريب المتضرّع^١ الذى لا تُبطره السراء ، ولا تدهشه الضراء ، كان هو داعى الختف إلى نفسه^٢ ، ولا سيما إذا كان مثلك أيها الملك العالم بفروض الاعمال وموضع الشدة واللين ، والغضب والرضاء ، والمعالجة والأناة ، الناظر في أمر يومه وغده ، وعواقب أعماله . قال الملك للغراب : بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويمن طالئك كان ذلك . فإن رأى الرجل الواحد العاقل الحازم

أبلغ في هلاك العدو من الجنود الكثيرة من ذوى البأس والنجدة والعَدَد
والعدَّة. وإنَّ من عجيب أمرِك عندى طول بُنْكِ بينَ ظهْرانى البوم^١ ،
تسمع الكلام الغليظ ، ثم لم تسقطَ بينهما بكلمة . قال الغراب : لم أزل
متمسكاً بأدبِك أيها الملك : أصحب البعيد والقريب بالرفق واللين والمبالغة
والمؤاتاة^٢ . قال الملك : أصبحت وقد وجدتْكَ صاحب العمل ، ووجدت
غيرك من الوزراء أصحاب أقواليل : ليس لها عاقبة حميدة . فقد منَّ الله
علينا بك مِنَّة عظيمة لم نكن قبلها نجد لذة الطعام ولا الشراب ولا النوم
ولا القرار . وكان يقال : لا يجد المريض لذة الطعام والنوم حتى يبرأ ، ولا
الرجل الشره الذى قد أطعمه سلطانه فى مال وعملٍ فى يده حتى ينجزه له ،
ولا الرجل الذى قد ألحَّ عليه عدوه وهو يخافه صباحاً ومساءً حتى يستريح
منه قلبه . ومن وضع الحمل الثقيل عن يديه فقد أراح نفسه . ومن آمن
عدوه نلج صدره^٣

قال الغراب : أسأل الله الذى أهلك عدوك أن يمتعك بسلطانك ،
وأن يجعل فى ذلك صلاح رعيَّتِكَ ، ويشركهم فى قُرة العين بملكك . فإنَّ
الملك إذا لم يكن فى ملكه قُرة عيون رعيَّته فمثلُه مثل زُئمة العنز التى يمصُّها^٤ ،
وهو يحسبها حَمَلة الصَّرع . فلا يصادف فيها خيراً . قال الملك : أيها الوزير
الصالح ، كيف كان سيرة البوم وملكها فى حروبها ؟ وفيما كانت فيه من

١ يقال (أقام بين ظهريهم وظهرانيهم) بالثنية . ولا تكسر النون وبين (أظهرهم)
أي فى وسطهم ٢ المؤاتاة : الموافقة ٣ اطمان قلبه ٤ قطعة لحم تتدلى من عنقه

أمورها؟ قال الغراب : كانت سيرته سيرة بَطَرٍ وَأَشْرٍ وَخِيَلَاءٍ وَعَجْزٍ وَغَرٍّ ،
مع ما فيه من الصفات الذميمة . وكل أصحابه ووزرائه شبيه به إلا الوزير
الذي كان يشير بقتلى ، فإنه كان حكيماً أريباً فيلسوفاً حازماً عالماً ، قلما يُرى
مثله في علوِّ الهمة وكَمالِ العقل وجودة الرأي . قال الملك : وأى خِصْلَةٍ
رَأَيْتَ مِنْهُ كانت أدل على عقله ؟ قال : خَلَّتْهُنَّ . إحداهما رأيه في قتلى ،
والأخرى أنه لم يكن يَكْتُمُ صاحبه نصيحته وإن استقلها ، ولم يكن كلامه
كلام عُنْفٍ وَقَسْوَةٍ . ولكنه كلام رفق ولين ، حتى إنه ربما أخبره ببعض
عيوبه ولا يصرِّح بحقيقة الحال . بل يضرب له الأمثال ، ويحدثه بعيب
غيره ، فيعرف عيبه . فلا يجد ملكه إلى الغضب عليه سبيلاً . وكان مما
سمعته يقول للملك : إنه لا ينبغي للملك أن يفعل عن أمره فإنه أمر جسيم
لا يظفر به من الناس إلا قليل ، ولا يدرك إلا بالحزم ، فإن الملك عزيز ، فمن
ظفر به فليُحَسِّنْ حِفْظَهُ وَتَحْصِينَهُ ، فإنه قد قيل : إنه في قَلَّةِ بقاءه بمنزلة قَلَّةِ
بقاء الظلِّ عن ورق النيلوفر . وهو في خِفَّةِ زواله وسرعة إقباله وإدباره كالرمح .
وفي قَلَّةِ ثباته كالليب مع اللثام ، وفي سرعة اضمحلاله كحُجَابِ الماء من وقع
المطر . فهذا مثل أهل العداوة الذين لا ينبغي أن يغترَّ بهم ، وإن هم أظهروا
تودداً وتضرعاً .

(انقضى باب اليوم والغربان)

باب القرد^١ والغليم^٢

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب لى مثل الرجل الذى يطلب الحاجة فاذا ظفر بها أضاعها . قال الفيلسوف : إن طلب الحاجة أهون من الاحتفاظ بها . ومن ظفر بحاجة ثم لم يحسن القيام بها أصابه ما أصاب الغليم . قال الملك وكيف كان ذلك ؟

قال بديبا : زعموا أن قرداً كان ملك القردة يقال له ماهر . وكان قد كبر وهرم . فوثب عليه قرد شاب من بيت المملكة . فتغلب عليه ، وأخذ مكانه . فخرج هارباً على وجهه حتى انتهى إلى الساحل . فوجد شجرة من شجرات التين . فارتقى إليها وجعلها مقامه . فبينما هو ذات يوم يأكل من ذلك التين إذ سقطت من يده تينة في الماء . فسمع لها صوتاً وإيقاعاً . فجعل يأكل ويرمى في الماء . فأطربه ذلك . فأكثر من طرح التين في الماء . ونم^٣ غليم ، كلما وقعت تينة أكلها . فلما كثر ذلك ظن أن القرد إنما يفعل

١ القرد : حيوان في مقدمة الحيوانات ذوات الثدي وليس فيها من هو أقرب منه إلى الانسان ، سواء في أصابعه وعينه وجهته وهيكله . كذلك في استعداده للتهذب . وهو نشط شديد القوة والعضلات . وأكثر أنواعه تعيش على هيئة قبائل في الغابات . تلد أنثاه واحداً أو اثنين وقد يعمر إلى الأربعين

أما أنواعه فكثيرة جداً تختلف اختلافاً بيناً في الجسم والشكل ، وليس يقرب من الانسان غير أنواع ثلاثة منه : وهى الغوريلا وليس له ذنب والشامبانزي وهوارق من الاول : يكثر المشي على أرجله والاورنغ أو تنغ وهوارق من الاولين ولا يعيش الا على أربع رقيق طائع ٢ الغليم : ذكر السحفاة

٣ نم بالفتح ظرف متعلق بمحذوف يعرب خبراً مقدماً وجواباً والغليم مبتدأ

ذلك لاجله . فرغِبَ في مصادقته ، وأنسَ إليه وكلَّه . وألف كل واحد منهما صاحبه . وطالت غيبة الغيلم عن زوجته . فجزعت عليه . وشكت ذلك إلى جارة لها ، وقالت : قد خفت أن يكون قد عرَضَ له عارضُ سوءٍ فاغتاله . فقالت لها : إن زوجك بالساحل ، قد أَلِفَ قردًا وأَلِفَه القرد ، فهو مؤاكلة



ألف القرد والغيلم متصانين



ابتداء الصيحة بين القرد والغيلم

ومشاركه . وهو الذى قطعاه عنك ، ولا يقدر أن يُقيم عندك حتى تحتال لهلاك القرد . قالت : وكيف أصنع ؟ قالت جارتها : إذا وصل إليك قمارضى . فإذا سألك فقولى : إن الحكماء وصفوا لى قلب قرد . ثم إن الغيلم انطلق بعد مدة إلى منزله فوجد زوجته سيئة الحال مهمومة . فقال لها الغيلم : مالى أراك هكذا ؟ ! فأجابته جارتها ، وقالت : إن زوجتك مريضة مسكينة . وقد وصف لها الاطباء قلب قرد . وليس لها دواء سواه . قال الغيلم : هذا أمر عسير . من أين لنا قلب قرد ونحن فى الماء ؟ ! لكن سأحتال لصديقى . ثم انطلق إلى ساحل البحر . فقال له القرد : يا أخى ، ما حبسك عنى ؟ قال له

الغيلم : ما حبسني عنك إلا حيائي . فلم أعرف كيف أجازيك على إحسانك إلى ؟ وأريد أن تتم إحسانك إلى بزيارتك لي في منزلي ، فإنني ساكن في جزيرة طيبة الفاكهة . فاركب ظهري لأسبح بك . فرغب القرد في ذلك ونزل . فركب ظهر الغيلم . فسبح به . حتى إذا سبح به عرض له قبح ما أضمر في نفسه من الغدر . فنكس له رأسه . فقال له القرد : مالي أراك مهتما ؟ قال الغيلم : إنما همي لأنني ذكرت أن زوجتي شديدة المرض . وذلك يمنعني من كثير مما أريد أن أبلغه من كرامتك وملاطفتك . قال القرد : إن الذي أعرف من حرصك على كرامتي يكفيك مؤنة التكلف . قال الغيلم : أجل . ومضى بالقرد ساعة ثم توقف به ثانية . فساء ظن القرد ، وقال في نفسه : ما احتباس الغيلم وإبطاؤه إلا لأمر . ولست آمن أن يكون قلبه قد تغير لي ، وحال عن مودتي ، فأراد بي سوءا . فإنه لاشيء أخف وأسرع تقلبا من القلب . وقد يقال : ينبغي للعاقل ألا يغفل عن التماس ما في نفس أهله وولده وإخوانه وصديقه عند كل أمر ، وفي كل لحظة وكلة ، وعند القيام والقعود ، وعلى كل حال ، فإن ذلك كله يشهد على ما في القلوب . وقد قالت العلماء : إذا دخل قلب الصديق من صديقه ريبة فليأخذ بالحزم في التحفظ منه ، وليتقّد ذلك في لحظاته وحالاته ، فإن كان ما يظنّ حقا ظفّر بالسلامة ، وإن كان باطلا ظفّر بالحزم ولم يضره ذلك . ثم قال للغيلم : ما الذي يجسبك ؟ ! ومالي أراك مهتما ؟ ! كأنك تحدث نفسك مرة أخرى . قال : يهمني أن تأتي منزلي فلا تجد أمرى كما أحب ، لأن زوجتي مريضة .

قال القرد : لا تهتم فإنَّ المهمَّ لا يُغني عنك شيئاً ، ولكن التمس ما يُصلح زوجتك من الأدوية والأغذية ، فإنَّه يقال : لبيدُ ذو المال ماله في أربعة مواضع : في الصدقة ، وفي وقت الحاجة ، وعلى البنين ، وعلى الأزواج . قال الغيلم : وقد قالت الأطباء : إنه لا دواء لها الا قلب قرد . فقال القرد في نفسه : وا أسفاه ! لقد أدركني الحرص والشره على كبر سنِّي حتى وقعت في شرِّ ورطة . ولقد صدق الذي قال : يعيش القانع الراضى مستريحاً مطمئناً ، وذو الحرص والشره يعيش ما عاش في تعب ونصب ، وإنِّي قد احتجت الآن إلى عقلي في التماس المخرج مما وقعت فيه . ثم قال للغيلم : وما منعك أن تُعلمني عند منزلي ؟ حتى كنت أحمل قلبي معي . فهذه سنة فينا معاشر القردة . إذا خرج أحدنا لزيارة صديق خلَّف قلبه عند أهله ، أو في موضعه ، لننظر إذا نظرنا إلى حُرْم المزور وليست قلوبنا معنا . قال الغيلم : وأين قلبك الآن ؟ قال : خلفته في الشجرة . فإن شئت فارجع بي إلى الشجرة



القرد يعلو الشجرة ويسخر من الغيلم



القرد يعود على طير الغيلم ليحضّر قلبه

١ الحرم بضمّتين : نساء الرجل الواحد ، وبالتحريك : ما يحمله الرجل ويقاتل عليه

حتى آتيك به . ففرح الغليم بذلك . وقال : لقد وافقتني صاحبي بدون أن أغدُر به . ثم رجع بالقرد إلى مكانه . فلما قارب الساحل وثب عن ظهره فارتقى الشجرة . فلما أبطأ على الغليم ناداه : يا خليلي إحمل قلبك وانزل فقد حبستني . فقال القرد : هيهات . أتظن أني كالحمار الذي زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب ولا أذنان ؟ قال الغليم : وكيف كان ذلك ؟

قال القرد : زعموا أنه كان أسد في أجمة . وكان معه ابن آوى يأكل من فواضل طعامه . فأصاب الأسد جرب وضعف شديد وجهده . فلم يستطع الصيد . فقال له ابن آوى : ما باللك قد تغيرت أحوالك ؟ قال : هذا الجرب الذي قد أجهدني . وليس له دواء إلا قلب حمار وأذناه . قال ابن آوى : ما أيسر هذا ! وقد عرفت بمكان كذا حماراً مع قصَّارٍ يحمل عليه ثيابه ، وأنا آتيك به . ثم دلف^٢ إلى الحمار فأتاه وسلم عليه . فقال له : مالي أراك مهزولاً ؟ قال : ما يُطعمني صاحبي شيئاً . فقال له : وكيف ترضى المقام معه على هذا ؟ قال : فمالي حيلة في الهرب منه . فليست أتوجه إلى جهة إلا أضرب بي إنسان ، فكسدتني وأجاعني . قال ابن آوى : فأنا أدلك على مكان معزول عن الناس لا يمر به إنسان ، خصيب المرعى ، فيه قطع من الحمر لم ترعين مثلها حسناً وسميناً . قال الحمار : وما يحسننا عنها ؟ فانطلق بنا إليها . فانطلق به ابن آوى نحو الأسد . وتقدم ابن آوى ، ودخل الغابة على الأسد ، فأخبره بمكان الحمار . ونفج إليه ، وأراد أن يثب عليه ، فلم يستطع

لضعفه . وتخلص الحمار منه ، فأفلت هليماً^١ على وجهه . فلما رأى ابن آوى



الأسد وقد خارت قواه فلم يقو على اقتراسه



ابن آوى يزين للأسد اقتراس الحمار

أن الأسد لم يقدر على الحمار قال له : أعجزت يا سيد السباع إلى هذه الغاية ؟ فقال له : إن جئتني به مرة أخرى فلن ينجو مني أبداً . فضى ابن آوى إلى الحمار . فقال له : ما الذى جرى عليك ؟ إن أحد الحمير رآك غريباً فخرج يتلقاك مرحباً بك ، ولو ثبت له لآنسك ومضى بك إلى أصحابه . فلما سمع الحمار كلام ابن آوى ولم يكن رأى أسداً قط صدقه . وأخذ طريقه إلى الأسد^٢ . فسبقه ابن آوى إلى الأسد وأعلمه بمكانه ، وقال له : استعد له ، فقد خدعته لك فلا يدركك الضعف في هذه النوبة ، فإنه إن أفلت فلن يعود معي أبداً . فجاش جاش الأسد^٣ لتحريض ابن آوى له ، وخرج إلى موضع الحمار فلما بصر به عاجله بوئبة افتترسه بها . ثم قال : قد

١ جزعاً لا يلوي على شيء في طريقه ٢ يريد قصد نحوه

٣ هاج وجمع قواه

ذكرت الأطباء : أنه لا يؤكل إلا بعد الغسل والظهور . فاحتفظ به حتى أعود فأكل قلبه وأذنيه ، وأترك ماسوى ذلك قوتاً لك . فلما ذهب الأسد ليغتسل ، عمد ابن آوى إلى الحمار ، فأكل قلبه وأذنيه ، رجاء ان يتطير الأسد



ابن آوى يستل قلب الحمار



الاسد وقد تمكن من صرع الحمار

فلا يأكل منه شيئاً . ثم إن الأسد رجع إلى مكانه . فقال لابن آوى : أين قلب الحمار وأذناه ؟ قال ابن آوى : ألم تعلم أنه لو كان له قلب يققه به ، وأذنان يسمع بهما ، لم يرجع إليك بعد ما أفلت ونجا من المَلَكَة

وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أنى لست كذلك الحمار الذى زعم ابن آوى أنه لم يكن له قلب وأذنان . ولكنك احتلت عليّ وخدعتنى ، فخدعتك بمثل خديعتك ، واستدركت فارط أمرى . وقد قيل : إن الذى يفسده الحلم لا يصلحه إلا العلم . قال الغيليم : صدقت ، إلا أن الرجل الصالح يعترف برأته . وإذا أذنب ذنباً لم يستحى أن يؤدّب لصده فى قوله وفعله ، وإن وقع فى ورطة أمكنه التخلص منها بحيلته وعقله : كالرجل الذى

يَعْتَرُ عَلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَنْهَضُ عَلَيْهَا مُعْتَمِدًا . فهذا مثل الرجل الذي يطلب الحاجة ، فإذا ظفرَ بها أضاعها .
(انقضى باب القرد والغليم)

باب الناسك وابن عرس^١

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب لى مثل الرجل العجّالان فى أمره من غير روية ولا نظر فى العواقب . قال الفيلسوف : إنه من لم يكن فى أمره متبثّا ، لم يزل نادماً ، ويصير أمره إلى ماصار إليه الناسك من قتل ابن عرس ، وقد كان له ودوداً . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ !

قال الفيلسوف : زعموا أن ناسكاً من الناسك كان بأرض جرجان . وكانت له امرأة جميلة . فكنا زماناً لم يُرزقا ولداً . ثم حملت منه بعد الإياس^٢ . فسرت المرأة ، وسر الناسك بذلك . فحمد الله تعالى ، وسأله أن يكون الحمل ذكراً . وقال لزوجته : أبشرى ، فإنى أرجو أن يكون غلاماً لنا فيه منافع وقرّة عين ، أختار له أحسن الأسماء ، وأحضر له سائر الأدباء . فقالت المرأة : ما يحملك — أيها الرجل — على أن تتكلم بما لاتدرى : أيكون أم لا ؟ ومن فعل ذلك أصابه ما أصاب الناسك الذي أراق على رأسه السمن والعسل . قال لها : وكيف كان ذلك ؟ !

١ ابن عرس : حيوان كالغار واعتده بعضهم من أنواع الفأرو عنده العداوة للحية والتمساح وهو المعروف عند العامة فى أيامنا (بالعرسة) أو العروسة
٢ الإياس بالكسر : اليأس والقنوط

قالت : زعموا أن ناسكا كان يجرى عليه من بيت رجل تاجر في كل يوم رزق من السمن والعسل . وكان يأكل منه قوته وحاجته ، ويرفع الباقي ويجعله في جرة فيعلقها في وتد في ناحية البيت حتى امتلأت . فبينما الناسك ذات يوم مستقل على ظهره - والعكازة في يده ، والجرة معلقة على رأسه - فكر في غلاء السمن والعسل فقال : سأبيع ما في هذه الجرة بدينار وأشتري به عشرة أعنز . فيجبنن ويلدن في كل خمسة أشهر بطناً . ولا تلبث إلا قليلا حتى تصير غنما كثيرة إذا ولدت أولادها . ثم حَزَرَ^١ على هذا النحو بسنين ، فوجد ذلك أكثر من أربعمائة أعنز . فقال : أنا أشتري بها مائة من البقر ، بكل أربعة أعنز ثوراً أو بقرة . وأشتري أرضاً وبَدَرًا^٢ وأستأجر



الناسك وقد سال ما في الجرة على رأسه



لناسك يتخيل ما سيحنيه من جرة السمن والعسل

أَكْرَةً^٢ ، وأزرع على النيران ، وأنتفع بالبان الإناث ونتاجها . فلا يأتي على خمس سنين إلا وقد أصبت من الزرع مالا كثيراً . فأبني بيتاً فاخراً وأشتري

١ يقال حزر الشيء يحزر كيضرب وينصر حزرأ ومحزرة : قدره بالحدس والتخمين

٢ أَكْر وهو العامل

إماء^١ وعبيداً ، وأتزوج امرأة جميلة ذات حسن . ثم تأتي بفلام سريّ نجيب . فأختار له أحسن الأسماء . فإذا ترعرع أدبته ، وأحسن تآديبه ، وأشدّد عليه في ذلك . فإن يقبل مني وإلا ضربت رأسه بهذه العكازة هكذا . وأشار بيده إلى الجرة فكسرها . فسال ما كان فيها على وجهه .

وإنما ضربت لك هذا المثل لكي لا تعجلّ بذكر ما لا ينبغي ذكره ، وما لا تدري : أصبح أم لا يصح ؟ فاعتظ الناسك بما حكّت زوجته . ثم إن المرأة ولدت غلاماً جميلاً ، ففرّح به أبوه . وبعد أيام حان لها أن تتطهّر . فقالت المرأة للناسك : أقمّد عند ابنك حتى أذهب إلى الحمام فأغتسل وأعود . ثم إنها انطلقت إلى الحمام وخلفّت زوجها والفلام . فلم يلبث أن جاءه رسول الملك يستدعيه . ولم يجد من يُخلّقه عند ابنه غير ابن عرس داجن^٢ عنده : كان قد ربّاه صغيراً ، فهو عنده عديل ولده . فتركه الناسك



ابن عرس متبهج بعد قتل الأسود



ابن عرس يهجم لقائمة الأسود

عند الصبي^٣ ، وأغلق عليهما البيت ، وذهب مع الرسول . فخرج من بعض

أجحر البيت حية سوداء . فدنت من الغلام ، فضر بها ابن عرس ، ثم وثب عليها فقتلها . ثم قطعها وامتلاؤه من دمها . ثم جاء الناسك ، وفتح الباب . فالتقاء ابن عرس كالمبشر له بما صنع من قتل الحية . فلما رآه ملوثاً بالدم - وهو مذعور - طار عقله ، وظن أنه قد خنق ولده ، ولم يتثبت في أمره ، ولم يترؤ فيه حتى يعلم حقيقة الحال ، ويعمل بغير ما ظن من ذلك . ولكن ضرب ابن عرس ضربة بعكازة كانت في يده على أم رأسه فمات . ودخل الناسك ، فرأى الغلام سليماً حياً وعنده أسود مقطوع . فلما عرف القصة وتبين له سوء فعله في العجلة لطم على رأسه ، وقال : ليتني لم أرزق هذا الولد ، ولم أغدُر هذا الغدر . ودخلت امرأته فوجدته على تلك الحال ،



الناسك يندم وزوجه تؤنبه



الناسك يقتل ابن عرس

فقال له : ما شأنك ؟ فأخبرها بالخبر من حسن فعل ابن عرس وسوء مكافأته له . فقالت : هذه ثمرة العجلة . فهذا مثل من لا يتثبت في أمره ، بل يفعل أغراضه بالسرعة والعجلة (انقضى باب الناسك وابن عرس)

باب الجرذ والسنور

قال دبشليم الملك لبيدا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب لي مثل رجل كثر أعداؤه وأحذقوا به من كل جانب ، فأشرف معهم على الهلاك فالتمس النجاة والخرج بموالاته بعض أعدائه ومصالحته ، فسلم من الخوف وأمن ، ثم وَفَى لمن صالحه منهم . قال الفيلسوف : إن المودة والعداوة لا تَبْتَنَانِ على حالة واحدة أبداً . وربما حالت المودة إلى العداوة ، وصارت العداوة ولاية وصداقة . ولهذا حوادث وعلل وتجارب . وذو الرأي يُحدث لكل ما يحدث من ذلك رأياً جديداً : أما من قَبْلَ العدوِّ فباللبأس . وأما من قَبْلَ الصديق فبالاستئناس . ولا تمنع ذا العقل عداوة في نفسه لعدوه من مقاربتة والاستنجاد به ، على دَفْعِ مَخُوفٍ — أو جرٍّ مرغوبٍ ، ومن عمِلَ في ذلك بالحزم ظفرٍ بحاجته . ومثل ذلك مثل الجرذ والسنور حين وقعا في الورطة فنجوا باصطلاحهما جميعاً من الورطة والشدّة . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ !

قال بيديا : زعموا أن شجرة عظيمة كان في أصلها جُحْرٌ سنورٍ يقال له روميّ . وكان قريباً منه جُحْرٌ جرذٍ يقال له قرديدون . وكان الصيادون كثيراً ما يتداولون ذلك المكان يصيدون فيه الوحش والطيور . فقتل ذات يوم صياد . فنصبَ حبالته قريباً من موضع روميّ . فلم يلبث أن وقع فيها ، فخرج الجرذ يدبّ ويطلب ما يأكل وهو حذر من روميّ . فبينما هو يسعى إذ بصر به في الشراك ، فسُرَّ واستبشر . ثم التفت فرأى خلفه ابن عرس

يريد أخذه ، وفي الشجرة يوماً يُريد اختطافه . فتحير في أمره ، وخاف إن رجع وراءه أخذه ابن عرس ، وإن ذهب يمينا أو شمالا اختطفه اليوم ، وإن تقدّم أمامه افترسه السنور . فقال في نفسه : هذا بلاء قد اكتنفني^١ ، وشروا تظاهرت علي^٢ ، ومحَن قد أحاطت بي

وبعد ذلك فمى عقلي . فلا يُفرغني أمرى ، ولا يَمُولني شأني ، ولا يلحقني الدهش ، ولا يذهب قلبي شعاعا^٣ . فالعقل لا يفرق عند سداد رأيه ، ولا يعزب عنه ذهنه على حال . وإنما العقل شبيه بالبحر الذي لا يدرك غوره ولا يبلغ البلاء من ذى الرأى مجوده فيهلكه وتحقق الرجاء لا ينبغي أن يبلغ منه مبلغاً يُبطره ويُسكره فيعمى عليه أمره . ولست أرى لى من هذا البلاء مخلصاً إلا مصالحة السنور ، فإنه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بي أو بعضه . ولعله إن سمع كلامى الذى أكلمه به ووعى عنى فصيح خطابى ، ومحض صدق الذى لا خلاف فيه ، ولا خداع معه فقهه وطمع فى معونتي إياه نخلص جميعا

ثم إن الجرذ دنا من السنور ، فقال له : كيف حالك ؟ قال له السنور : كما تحب فى ضنك وضيق . قال : وأنا اليوم شريكك فى البلاء . ولست أرجو لنفسى خلاصاً إلا بالذى أرجو لك فيه الخلاص . وكلامى هذا ليس فيه كذب ولا خديعة . وابن عرس هاهو كامن لى ، والبوم يرصدنى ، وكلاهما لى ولك عدو . فإن جعلت لى الأمان قطعت حبالك وخلصت من هذه الورطة . فإذا كان ذلك تخلص كل واحد منّا بسبب صاحبه : كالسفينة

١ أحاط بي ٢ تعاون ٣ متفرقا ٤ لا يخاف ٥ لا يغيب

والركاب في البحر ، فبالسفينة ينجون ، وبهم تنجوالسفينة . فلما سمع السنور كلام الجرذ وعرف أنه صادق قال له : إن قولك هذا لشبيه بالحق . وأنا أيضاً راغب فيما أرجو لك ولنفسى به الخلاص . ثم إنك إن فعلت ذلك فسأشكرك ما بقيت . قال الجرذ : فإني سأدونو منك فأقطع الحبائل كلها إلا حبلاً واحداً أبقيه لأستوثق لنفسي منك . ثم أخذ في قرض حباله . ثم إن اليوم وابن عرس لما رأيا دنو الجرذ من السنور أيسا منه وانصرفا . ثم إن الجرذ أبطأ على رومى في قطع الحبائل . فقال له : مالى لا أراك مجدداً في قطع حبالى ؟ ! فإن كنت قد ظفرت بحاجك فتغيرت عما كنت عليه ، وتوانيت في حاجتي ، فما ذلك من فعل الصالحين . فإن الكريم لا يتوانى في حق صاحبه . وقد كان لك في سابق مودتى من الفائدة والنفع ما قد رأيت . وأنت حقيق أن تكافئنى بذلك ، ولا تذكر العداوة التى بينى وبينك . فالذى حدث بينى وبينك من الصلح حقيق أن يُنسيك ذلك مع ما فى الوفاء من الفضل والأجر ، وما فى الغدر من سوء العاقبة . فإن الكريم لا يكون إلا شكوراً غير حقود تنسيه الخلة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة . وقد يقال : إن أعجل العقوبة عقوبة الغدر ، ومن اذا تُضرّع إليه وسئل العفو فلم يرحم ولم يعفُ فقد غدر . قال الجرذ : إن الصديق صديقان ، طائع ومضطّر ، وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرة : فأما الطائع فيسترسل إليه ويؤمن فى جميع الأحوال . وأما المضطّر ففي بعض الأحوال يُسترسل إليه ، وفى بعضها يُتحدّر منه . ولا يزال العاقل يترهن منه بعض حاجاته لبعض ما يتقى

ونخاف . وليس عاقبة التواصل من التواصل إلا طلب عاجل النفع وبلوغ
مأموله . وأنا واف لك بما جعلت لك ، ومحترس منك مع ذلك ، من حيث
أخافك تخوفاً أن يُصيبني منك ما ألجأتني خوفه إلى مصالحتك ، وألجأك إلى
قبول ذلك مني . فإن لكل عمل حيناً . فما لم يكن منه في حينه فلا حسن
لعاقبته . وأنا قاطع حبائك كلها ، غير أني تارك عُقدة واحدة أرتهنك بها .
ولا أقطعها إلا في الساعة التي أعلم أنك فيها عني مشغول . وذلك عند معاينتي



السنور وقد وثب على الشجرة والجرذ يدخل حجرا



الجرذ أمام السنور واليوم وابن عرس

الصياد . ثم إن الجرذ أخذ في قطع حبائل السنور . فبينما هو كذلك إذ وافي
الصياد . فقال له السنور : الآن جاء الجِدُّ في قطع حبائلي . فأجهد الجرذ
نفسه في القرض . حتى إذا فرغ وثب السنور إلى الشجرة على دَهَش من
الصياد . ودخل الجرذ بعض الأبحار . وجاء الصياد فأخذ حبائله مقطعة .
ثم انصرف خائباً

ثم إن الجرذ خرج بعد ذلك . وكره أن يدنو من السنور . فناده

السُّنُور: أيها الصديق الناصح ذو البلاء الحسن عندي ، ما منعك من الدنو
إلى ؟ لأجازيك بأحسن ما أسديت^١ إلى . هلمَّ إليَّ ، ولا تقطع إخواني . فإنَّه
من اتخذ صديقاً وقطع إخوانه وأضاع صداقته حرَّم ثمرة إخوانه ، وأيس من
نفعه الإخوان والأصدقاء . وإن يدك^٢ عندي لا تُنسى . وأنت حقيق أن
تلتبس مكافأة ذلك مني ومن إخواني وأصدقائي . ولا تخافنَّ مني شيئاً . واعلم
أن ما قبلي لك مبدول . ثم حلف واجتهد على صدقه فيما قل . فناداه الجرذ :
ربَّ صداقة ظاهرة باطنها عداوة كامنة ، وهي أشدَّ من العداوة الظاهرة ،
ومن لم يحترس منها وقع موقع الرجل الذي يركب ناب الفيل المقتل^٣ . ثم
يغلبه النعاس فيستيقظ تحت فراسن^٤ الفيل ، فيدوسه ويقتله . وإنما سمى
الصديق صديقاً لما يرجى من نفعه ، وإنما سمى العدوَّ عدوًّا لما يُخاف من
ضرره . والعاقِل إذا رجا نفع العدوَّ أظهر له الصداقة . وإذا خاف ضرر
الصديق أظهر له العداوة . ألا ترى تتبّع البهائم أمهاتها^٥ رجاء ألبانها . فإذا
انقطع ذلك انصرفت عنها . وربما قطع الصديق عن صديقه بعض ما كان
يصله منه فلم يخف شرَّه ، لأن أصل أمره لم يكن عداوة . فأما من كان أصل
أمره عداوة جوهرية ، ثم أحدث صداقة لحاجة حملته على ذلك فإنه إذا
زالت الحاجة التي حملته على ذلك زالت صداقته ، فتحولت عداوة ، وصار

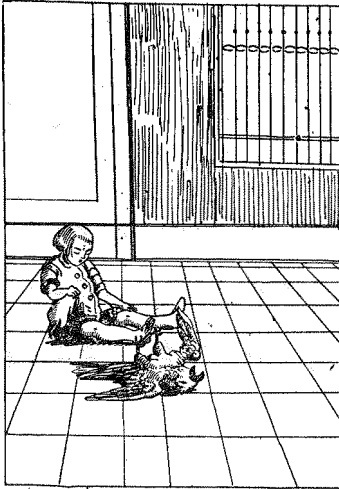
١ أحسنت ٢ نعمتك ٣ الهاج ٤ جمع فرسن بكسرتين بينهما
سكون وهو بمنزلة الحف للبعير ، ونونه زائدة ٥ الام ويقال فيها أمة وأمهة
وجمع الاولى والثانية : أمات وجمع الثالثة أمهات وقد فرق بعض اللغويين فقال (الامهات)
للعاقل والامات للغيره

إلى أصل أمره : كلماء الذى يَسْخُنُ بالنار فإذا رُفِعَ عنها عاد باردًا . وليس من أعدائى عدوّ أضرّ لى منك . وقد اضطرّنى وإياك حاجة الى ما أحدثنا من المصالحة . وقد ذهب الأمر الذى احتجت إلىّ واحتجت إليك فيه ، وأخاف أن يكون مع ذهابه عودّ العداوة . ولا خير للضعيف فى قرب العدوّ القوى ، ولا للدليل فى قرب العدوّ العزيز . ولا أعلم لك قبلى حاجة إلا أن تكون تريد أكلى . ولا أعلم لى قبلك حاجة ، وليس عندى بك ثقة فإنى قد علمت أن الضعيف المحترس من العدوّ القوى أقرب إلى السلامة من القوى إذا اغترّ بالضعيف واسترسل^١ إليه . والعاقل يصلح عدوّه إذا اضطرّ إليه ، ويصانه ويظهر له ودّه ، ويريه من نفسه الاسترسال إليه إذا لم يجد من ذلك بدًّا . ثم يجعل الانصراف عنه حين يجد إلى ذلك سبيلا . وأعلم أن سريع الاسترسال لا تُقال عثرته . والعاقل يفي لمن صالحه من أعدائه بما جعل له من نفسه ، ولا يثق به كل الثقة ، ولا يأمنه على نفسه مع القرب منه . وينبغى أن يبعد عنه ما استطاع . وأنا أودّك من بعيد ، وأحب لك من البقاء والسلامة ما لم أكن أحبه لك من قبل ، ولا^٢ عليك أن تجازينى على صنيعى إلا بمثل ذلك إذا لاسبيل إلى اجتماعنا والسلام

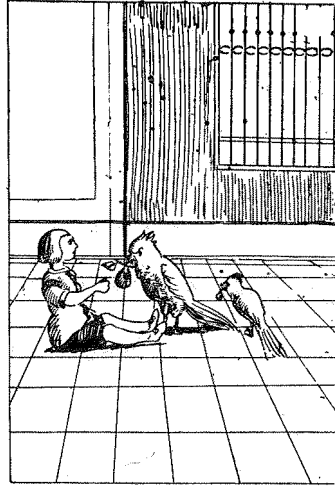
(انقضى باب الجرذ والسنور)

باب الملك^١ والطائر فزة

قال ديشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لى مثل أهل الترات^٢ الذين لا بدّ لبعضهم من اتقاء بعض . قال بديبا : زعموا أن ملكا من ملوك الهند كان يقال له بريدون^٣ وكان له طائر يقال له : فزة^٤ . وكان له فرخ . وكان هذا الطائر وفرخه ينطقان بأحسن منطق . وكان الملك بهما مُعجبا . فأمر بهما أن يُجعلا عند امرأته ، وأمرها بالحفاضة عليهما . واتفق أن امرأة الملك ولدت غلاما . فألف الفرخ الغلام ، وكلاهما طفلان يلعبان جميعا . وكان فزة يذهب إلى الجبل كل يوم فيأتي بفاكهة لا تعرف . فيُطعم ابن الملك شطرها . ويُطعم فرخه شطرها . فأسرع ذلك في نشأتهما ،



ابن الملك يفضي فيقتل ابن فزة



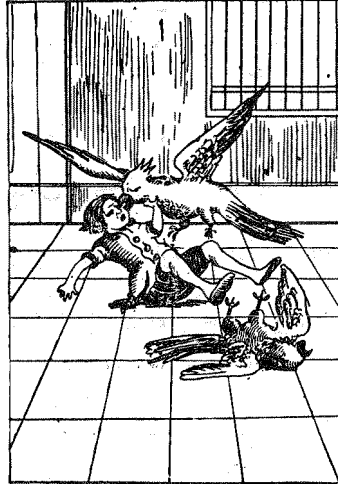
الطائر فزة يطعم ابن الملك وفرخه

١ بعض النسخ قد جعل لهذا الباب عنواناً هو (باب ابن الملك . .) وبعض آخر حذف لفظ « ابن » ولعله أصوب فإن معناه إنما هو يدور حوالى الملك (لا ابنه)
٢ الترات جمع ترة بالكسر وهى الثأر ٣ فزة : اسم علم

وزاد في شبابهما ، وبان عليهما أثره عند الملك فازداد لفترة إكراماً وتعظيماً ومحبة . حتى إذا كان يوم من الأيام وفرة غائب في اجتناء الثمرة وفرخه في حجر الغلام ذرق في حجره ، فغضب الغلام وأخذ الفرخ فضرب به الأرض فمات . ثم إن فترة أقبل فوجد فرخه مقتولا . فصاح وحزن ، وقال : قبحاً للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء ! . ويل لمن ابتلى بصحبة الملوك الذين لا حية لهم ولا حرمة ، ولا يُحبون أحداً ، ولا يكرّم عليهم إلا إذا طعموا فيما عنده من غناء ، واحتاجوا إلى ما عنده من علم ، فيكرّمونه لذلك . فإذا ظفروا بحاجتهم منه فلا ود ، ولا إخاء ، ولا إحسان ، ولا غفران ذنب ، ولا معرفة حق ! . هم الذين أمرهم مبنى على الرياء والفجور ، وهم يستصغرون ما يرتكبونه من عظيم الذنوب ، ويستعظمون اليسير إذا خولفت فيه أهواؤهم . ومنهم



الملك يريدون يستأن من فترة لينتقم



الطائر فترة يفتق عين الغلام

هذا الكفور الذى لارحة له ، الغادر بأليفه وأخيه . ثم وثب فى شدة حنقه على وجه الغلام ففحقاً عينه وطار ، فوق على شجرة . ثم إنه بلغ الملك ذلك فجزع أشد الجزع . ثم طمع أن يحتال له . فوقف قريباً منه وناداه . وقال له : إنك آمن ، فانزل يا فتنة . فقال له — أيها الملك — إن الغادر مأخوذ بغيره ، وإنه إن أخطأه عاجل العقوبة لم يُخطئه الآجل^١ ، حتى إنه يدرك الأعقاب^٢ وأعقاب الأعقاب . وإن ابنك غدر بابنى فمَجَلَّتْ له العقوبة . قال الملك : لعمري قد غدرنا بابنك فانتقم منى فليس لك قبلنا ولا لنا قبلك وتر^٣ مطلوب . فارجع إلينا آمناً . قال فتنة : لست برافع إليك أبداً . فإن ذوى الراى قد نهوا عن قرب الموتور^٤ . فإنه لا يزيدك لطف الحقود ولينه وتكرمه إليك إلا وحشة منه ، وسوء ظن به . فإنه لا تجد للحقود الموتور أماناً هو أوثق لك من الدعر منه ، ولا أجود من البعد عنه . والاحتراس منه أولى . وقد كان يقال : إن العاقل يعدّ أبويه أصدقاء ، والإخوة رقاء ، والأزواج ألقاء ، والبنين ذكراً ، والبنات خصماء ، والاقارب غُرماً ، ويعدّ نفسه فريداً ، وأنا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزوّدت عنكم من الحزن عبئاً ثقيلاً لا يحمله معى أحد . وأنا ذاهب فعليك منى السلام

١ الآجل : خلاف العاجل ، وهو البعيد
٢ الاعقاب : جمع عقب
٣ الوتر بالكسر . الثأر
٤ الموتور : الذى قتل له القاتل ولم يأخذ بثأره

قال له الملك : إنك لو تكون قد اجترأت بما صنعناه بك . أو كان صنيعك بنا من غير ابتداء منا بالقدركان الأمر كما ذكرت . فأما إذ كنا نحن بدأناك فما ذنبك ؟ وما الذي يمنعك من الثقة بنا ؟ هلم فارجع . فإنك آمن . قال فترة : إعلم أن الأحقاد لها في القلوب مواقع ممكنة موجبة ، فالألسن لا تصدق في خبرها عن القلوب ، والقلب أعدل على القلب شهادة من اللسان . وقد علمت أن قلبي لا يشهد للسانك ، ولا قلبك للسانى . قال الملك : ألم تعلم أن الضعائى والأحقاد تكون بين كثير من الناس ؟ فمن كان ذا عقل كان على إماتة الحقد أحرص منه على تريته . قال فترة : إن ذلك لكما ذكرت . ولكن ليس ينبغي لذى الرأي مع ذلك أن يظن أن الموتور الحقود ناس ما وثر به ، ولا مصروف عنه فكره فيه . وذو رأى يتخوف المكر والخديعة والحيل ، ويعلم أن كثيراً من العدو لا يستطيع بالشدة والمكابرة حتى يصاد بالرفق والملاينة ، كما يصاد الفيل الوحشى بالفيل الداجن . قال الملك : إن العاقل الكريم لا يترك إلفه ولا يقطع إخوانه ولا يضيع الحفاظ ، وإن هو خاف على نفسه ، حتى إن هذا الخلق يكون في أوضع الدواب منزلة ، فقد علمت أن اللعابين يلعبون بالكلاب ثم يندمجونها ويأكلونها . ويرى الكلب الذى قد ألفهم ذلك فلا يدعوه إلى مفارقتهم ، ولا يمنعهم من ألفته إياهم . قال فترة : إن الأحقاد مخوفة حينما كانت . فأخوفها وأشدّها ما كان فى أنفس الملوك ، فإن الملوك يدينون بالانتقام ويروون الدرك والطلب بالوتر مكرومة ونغراً . وإن العاقل لا يغترّ بسكون الحقد إذا سكن . فإنما مثل الحقد فى القلب إذا لم يجد محرّكا مثل الحجر

الممكنون ما لم يجد حطبًا ، فليس ينفكّ الحقد متطعمًا إلى العال كما تبتغى النار الحطب ، فإذا وجد علة استمر استعمار النار ، فلا يُطفئه حسن كلام ، ولا لين ، ولا رفيق ، ولا خضوع ، ولا تضرّع ، ولا مصانعة ، ولا شيء دون تلف الأنفس . مع أنه ربّ واتر يطمع في مراجعة الموتور بما يرجو أن يقدر عليه من النفع له والدفع عنه . ولكنّي أنا أضعف عن أن أقدر على شيء يذهب به ما في نفسك . ولو كانت نفسك منظوية لي على ما تقول ما كان ذلك عني مُغنيا ، ولا أزال في خوف ووحشة وسوء ظنّ ما اصطحبنا .

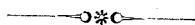
فليس الرأى بيني وبينك إلا الفراق ، وأنا أقرأ عليك السلام قال الملك : لقد علمت أنه لا يستطيع أحد لأحد ضررًا ولا نفعًا ، وأنه لا شيء من الأشياء صغيرًا ولا كبيرًا يُصيب أحدًا إلا بقضاء وقدر معلوم : وكما أن خلق ما يخلق وولادة ما يولد وبقاء ما يبقى ليس إلى الخلاق منه شيء : كذلك قناء ما يقنى وهلاك ما يهلك . وليس لك في الذی صنعت بابني ذنب ، ولا لابني فيما صنع بابنك ذنب ، إنما كان ذلك كله قدرًا مقدورًا . وكلانا له علة فلا نؤاخذ بما أتاها به القدر . قال قنزة : إن القدر لكما ذكرت ، لكن لا يمنع ذلك الحازم من توقّي المخاوف والاحتراس من المكاره ، ولكنه يجمع تصديقًا بالقدر وأخذًا بالحزم والقوة . وأنا أعلم أنك تكلمني بغير ما في نفسك . والأمر بيني وبينك غير صغير ، لأن ابنك قل ابني ، وأنا فقأت عين ابنك ، وأنت تريد أن تشتفي بقتلي وتختلني عن نفسي . والنفس تأبى الموت . وقد كان يقال : الفاقة بلاء ، والحزن بلاء ،

وقرب العدو بلاء ، وفراق الأحبة بلاء ، والسقم بلاء ، والهَرَم بلاء ، ورأس
البلايا كلها الموت . وليس أحد بأعلم بما في نفس الموجه الحزين ممن ذاق
مثل ما به . فأنا بما نفسى عالم بما في نفسك للمثل الذى عندى من ذلك .
ولا خير فى صحبتك فإنك لم تتذكر صنيعى بابنك ، ولن أتذكر صنيع ابنك
بابنى إلا أحدث ذلك لقلوبنا تغييرا

قال الملاك : لا خير فيمن لا يستطيع الإعراض عما فى نفسه ويتساه
ويُهمله حتى لا يذكر منه شيئا ، ولا يكون له فى نفسه موقع . قال قُتْرَة : إن
الرجل الذى فى باطن قَدَمه قُرْحَة إن هو حرص على المشى فلا بدَّ أن
تُشْكَا^١ قُرْحَتَهُ ، والرجل الأرمَد العين إذا استقبل بها الريح تعرض لأن
ترداد رَمَدًا . وكذلك الوائر إذا دنا من الموتور فقد عرض نفسه للهلاك .
ولا ينبغي لصاحب الدنيا إلا توقى المهالك والمتالف ، وتقدير الأمور ، وقلة
الاعتكال على الحول والقوة ، وقلة الاغترار بمن لا يأمن . فإنه من اتكل على
قُوَّته فحمله ذلك على أن يسلك الطريق المخوف فقد سعى فى حتف نفسه .
ومن لا يقدر لِقَمَتَهُ وعِظَمَها فوق ما يسع فوه فربما غُصَّ بها فُتات . ومن
اغترَّ بكلام عدوه وانخدع له وضيع الحزم فهو أعدى لنفسه من عدوه .
وليس لأحد النظر فى القدر الذى لا يدرى ما يأتية منه ، ولا ما يصرف
عنه . ولكن عليه العمل بالحزم والأخذ بالقوة ومحاسبة نفسه فى ذلك .
والعاقل لا يثق بأحد ما استطاع ولا يقيم على خوف وهو يجد عنه مذهبا .

١ يقال شكأ القرحة من باب قطع : فشرها قبل أن تبرأ فنديت

وأنا كثير المذاهب . وأرجو ألا أذهب وجهاً إلا أصبت فيه ما يُغنيني .
فإن خلا لا خمساً من تزودهن كفينه في كل وجه ، وآسنه في كل غربة ،
وقربن له البعيد ، وأكسبته المعاش والإخوان : أولاهن كفت الأذى ،
والثانية حسن الأدب ، والثالثة مجانية الرّيب ، والرابعة كرم الخلق ،
والخامسة الثّبل^١ في العمل . وإذا خاف الإنسان على نفسه شيئاً طابت
نفسه عن المال والأهل والولد والوطن ، فإنه يرجو الخلف من ذلك كله ،
ولا يرجو عن النفس خافاً . وشرّ المال ما لا إيفاق منه ، وشرّ الأزواج التي
لا توافي بعلها^٢ . وشرّ الولد العاصي العاق لوالديه ، وشرّ الإخوان الخاذل
لأخيه عند النكبات والشدائد ، وشرّ الملوكة الذي يخافه البريء ، ولا
يواظب على حفظ أهل مملكته ، وشرّ البلاد بلاد لا خصب فيها ولا أمن .
وإنه لا أمن لي عندك — أيها الملك ولا طمأنينة لي في جوارك . ثم ودّع
الملك وطار . فهذا مثل ذوى الأوتار الذين لا ينبغي لبعضهم أن يثق ببعض
(انقضى باب ابن الملك والطار)



باب الأسد وابن آوى

قال ديبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب لى مثل الملك الذى يُراجع من أصابته منه عقوبة من غير جُرم ، أو جَفْوَة من غير ذنب . قال الفيلسوف : إن الملك لو لم يراجع من أصابته منه جَفْوَة عن ذنب أو عن غير ذنب ظلم أو لم يظلم لأُضرَّ ذلك بالأمور . ولكن الملك حقيق أن ينظر فى حال من ابتلى بذلك ، ويخبر ما عنده من المنافع . فإن كان ممن يوثق به فى رأيه وأمانته ، فإن الملك حقيق بالحرص على مراجعته فإن الملك لا يستطيع ضبطه إلا مع ذوى الرأى . وهم الوزراء والأعوان . ولا يُنتفع بالوزراء والأعوان إلا بالموَدَّة والنصيحة . ولا موَدَّة ولا نصيحة إلا لذوى الرأى والعفاف . وأعمال السلطان كثيرة ، والذين يحتاج إليهم من العمال والأعوان كثيرون ، ومن يجمع منهم ما ذكرت من النصيحة والعفاف قليل . والمثل فى ذلك مثل الأسد وابن آوى . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟ قال الفيلسوف : زعموا أن ابن آوى كان يسكن فى بعض الدُّحَال وكان متزهِّداً متعفِّفاً مع بنات آوى وذئاب وثعالب . ولم يكن يصنع ما يصنعن ، ولا يُغير كما يُغرن ، ولا يُهْرِيق دما ، ولا يأكل لحما . فخاصمته تلك السباع ، وقلن : لا نرضى بسيرتك ، ولا رأيك الذى أنت عليه من تزهِّدك ! مع أن تزهِّدك لا يغنى عنك شيئاً . وأنت لا تستطيع أن تكون إلا كأحدنا تسعى معنا

١ الدحال بالكسر : جمع دحل بالفتح ويضم وهو ثقب ضيق فيه ، متسع أسفله حتى يستطيع أن يمضى فيه

وتفعل فعلنا . فما الذى كفك عن الدماء ؟ وعن أكل اللحم ؟ قال ابن آوى :
إن صحبتي إياك لا تؤننى إذا لم أوثم نفسى ، لأن الآثام ليست من قبل
الأماكن والأصحاب ، ولكنها من قبل القلوب والأعمال : ولو كان
صاحب المكان الصالح يكون عمله فيه صالحاً ، وصاحب المكان السيئ يكون
عمله فيه سيئاً كان حينئذ من قتل الناسك في محرابه لم يأنثم . ومن
استحياه^٢ فى معركة القتال أنثم . وإني إنما صحبتك بنفسي ، ولم أصحبك
بقلبي وأعمالى ، لأنى أعرف ثمرة الأعمال ، فلزمت حالى . وثبت ابن آوى



ابن آوى الزاهد فى صحبة الملك



ابن آوى الزاهد المتعفف

على حاله تلك . واشتهر بالنسك والتهجد حتى بلغ ذلك أسداً كان ملك تلك
الناحية . فرغب فيه لما بلغه عنه من العفاف والزهادة والأمانة .

١ المحراب : من معازيه أشرف أماكن البيت ، وأريد به هنا موضع تمبده

٢ أبقاه حياً

فأرسل إليه يستدعيه . فلما حضر كلمه وأنسه . فوجده في جميع الأمور وفق
 غرضه ، ثم دعاه بعد أيام إلى صحبتته . وقال له : تعلم أن عمالي كثير وأعواني
 جَمٌّ غفير ، وأنا مع ذلك إلى الأعوان محتاج . وقد بلغني عنك عفاف وأدب
 وعقل ودين ، فازددت فيك رغبة ، وأنا موليك من عملي جسيما ، ورافعا
 إلى منزلة شريفة ، وجاعلك من خاصتي . قال ابن آوى : إن الملوك أحقاء
 باختيار الأعوان فيما يهتمون به من أعمالهم وأمورهم ، وهم أخرى ألا يُكرهوا
 على ذلك أحداً . فإن المَكْرَه لا يستطيع المبالغة في العمل . وإني لعمل
 السلطان كاره ، وليس لي به تجربة ، ولا بالسلطان رفق . وأنت ملك السباع ،
 وعندك من أجناس الوحوش عدد كثير ، فيهم أهل نُبل وقوّة ، ولهم على
 العمل حرص ، وعندهم به وبالسلطان رفق ، فإن استعملتهم أغنوا عنك ،
 واغلبوا لأنفسهم بما أصابهم من ذلك . قال الأسد : دع عنك هذا ،
 فاني غير معفيك من العمل . قال ابن آوى : إنما يستطيع خدمة السلطان
 رجلان ، لست بواحد منهما : إما فاجر مصانع^١ ينال حاجته بفجوره ، ويسلم
 بمصانعته ، وإما مغفل لا يحسده أحد ! فمن أراد أن يخدم السلطان بالصدق
 والعفاف فلا يخط ذلك بمصانعته . وحينئذ قل أن يسلم على ذلك ، لأنه
 يجتمع عليه عدو السلطان وصديقه بالعداوة والحسد : أما الصديق فينافسه
 في منزلته ، ويبغى عليه فيها ، ويعاديها لأجلها . وأما عدو السلطان
 فيضطغن^٢ عليه لنصيحته لسلطانه وإغناؤه عنه . فإذا اجتمع عليه هذان

الصفنان فقد تعرض للهلاك . قال الأسد : لا يكونن بنى أصحابي عليك وحسدهم إياك مما يعرض في نفسك ، فأنت معي وأنا أ كفيك ذلك وأبلغ بك من درجات الكرامة والإحسان على قدر همّك . قل ابن آوى : إن كان الملك يريد الإحسان إليّ فليدعني في هذه البرية أعيش آمنًا قليل الهمّ راضيًا بعيشي من الماء والعشب ، فإنني قد علمت أن صاحب السلطان يصل إليه من الأذى والخوف في ساعة واحدة ما لا يصل إلى غيره في طول عمره ، وأن قليلًا من العيش في أمن وطأنينة خير من كثير من العيش في خوف ونصب . قال الأسد : قد سمعت مقاتلتك ، فلا تحف شيئًا مما أراك تخاف منه ، ولست أجد بدءًا من الاستعانة بك في أمري . قل ابن آوى : أما إذا أبى الملك إلّا ذلك فليجعل لي عهدًا : إن بنى عليّ أحد من أصحابه عنده ممن هو فوق مخافة على منزلته ، أو ممن هو دوني لينازعني في منزلي — فذكر عند الملك منهم ذاكر بلسانه أو على لسان غيره ما يريد به تحميل الملك عليّ — ألا يجعل في أمري ، وأن يتثبت فيما يُرفع إليه ويُذكر عنده من ذلك ، ويفحص عنه ، ثم ليصنع ما بدا له . فإذا وثقت منه بذلك أعنته بنفسى فيما يحبّ وعملت له فيما أولاني بنصيحة واجتهاد ، وحرصت على ألا أجعل له على نفسى سبيلًا . قال الأسد : لك ذلك عليّ وزيادة . ثم ولّاه خزائنه واختصّ به دون أصحابه وزاد في كرامته .

فلما رأى أصحاب الأسد ذلك غاظهم وساءهم . فأجمعوا كيدهم ، واتفقوا كلهم على أن يحمّلوا عليه الأسد . وكان الأسد قد استطاب لحما فعزل منه

مقداراً ، وأمره بالاحتفاظ به ، وأن يرفعه في أحسن موضع طعامه وأحرزه ليعاد عليه . فأخذوه من موضعه ، وحملوه إلى بيت ابن آوى غيباً ، فيه ، ولا علم له به . ثم حضروا يكذبونه إن جرت في ذلك حال . فلما كان من الغد ودعا الأسد بفدائه فقد ذلك اللحم ، فالتسه ولم يجده . وابن آوى لم يشعر بما صنع في حقه من المكيدة . فحضر الذين عملوا المكيدة ، وقعدوا في المجلس . ثم إن الملك سأل عن اللحم وشدّد فيه وفي المسألة عنه . فنظر بعضهم إلى بعض ! فقال أحدهم قول الخبر الناصح : إنه لا بدّ لنا من أن نخبر الملك بما يضرّه وينفعه — وإن شقّ ذلك على من يشق عليه — وإنه بلغني أن ابن آوى هو الذي ذهب باللحم إلى منزله . قال الآخر : لا أراه يفعل هذا ! ولكن انظروا واحصوا ، فإن معرفة الخلائق شديدة . فقال الآخر : لعمري ما تكاد السرائر تعرف ، وأظنكم إن فحصتم عن هذا وجدتم اللحم بيت ابن آوى . وكل شيء يذكر من عيوبه وخياناته نحن أحق أن نصدقه . قال الآخر : إئن وجدنا هذا حقاً فليست بالخيانة فقط ، ولكن مع الخيانة كفر النعمة والجراءة على الملك . قال الآخر : أنتم أهل العدل والفضل ، لا أستطيع أن أكذبكم ، ولكن سيبين هذا لو أرسل الملك إلى بيته من يفتشه . قال آخر : إن كان الملك مفتشاً منزله فليعجل ، فإن عيونه وجواسيسه مبثوثة بكل مكان . ولم يزلوا في هذا الكلام وأشباهه حتى وقع في نفس الأسد ذلك . فأمر بابن آوى فحضر . فقال له : أين اللحم الذي أمرتك بالاحتفاظ به ؟ قال : دفعته إلى صاحب

الطعام ليقربه إلى الملك . فدعا الأسد بصاحب الطعام وكان من شايع وبائع مع القوم على ابن آوى . فقال : ما دفع إلى شيئاً . فأرسل الأسد أميناً إلى بيت ابن آوى ليمتسه فوجد فيه ذلك اللحم ، فأتى به الأسد . فدنا من الأسد ذئب لم يكن تكلم في شيء من ذلك ، وكان يظهر أنه من العدول الذين لا يتكلمون فيما لا يعلمون حتى يتبين لهم الحق . فقال : بعد أن اطّلع الملك على خيانة ابن آوى فلا يعفون عنه ، فإنه إن عفا عنه لم يطّلع الملك بعدها على خيانة خائن ولا ذئب مذنب . فأمر الأسد بابن آوى أن يخرج ويحتفظ به . فقال بعض جلساء الملك : إني لأعجب من رأى الملك ومعرفة الأمور . كيف يخفى عليه أمر هذا ؟ ولم يعرف خبته ومخادعته ؟! وأعجب من



ابن آوى الزاهد يهيم باخفائه اللحم في منزله الأسد يأمر بابن آوى الزاهد أن يقتل

هذه أنى أراه سيصفر عنه بعد الذى ظهر منه . فأرسل الأسد بعضهم رسولاً إلى ابن آوى يلتمس منه العذر ، فرجع إليه الرسول برسالة كاذبة

اختلقها . فغضب الأسد من ذلك وأمر ابن آوى أن يقتل . فعلت أم
الأسد أنه قد عجل في أمره ، فأرسلت إلى الذين أمروا بقتله أن يؤخروه .
ودخلت على ابنها ، فقالت : يا بُنَيَّ بَأَى ذنب أمرت بقتل ابن آوى ؟
فأخبرها بالأمر . فقالت : يا بُنَيَّ ^١ عَجَلْت ! وإنما يسلم العاقل من الندامة
بترك العجلة والتثبت ، والعجلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرة الندامة بسبب
ضعف الرأى ، وليس أحد أحوج إلى التؤدة والتثبت من الملوك : فإن
المرأة بزوجها ، والولد بوالديه ، والمتعلم بالمعلم ، والجند بالقائد ، والناسك بالدين
والعامة بالملوك ، والملوك بالتقوى ، والتقوى بالعقل ، والعقل بالتثبت والأناة ،
ورأس الكلّ الحزم ، ورأس الحزم للملك معرفة أصحابه وإنزالهم منازلهم
على طبقاتهم ، واتهامه بعضهم على بعض ، فإنه لو وجد بعضهم إلى هلاك
بعض سبيلا لفعل ، وقد جرّبت ابن آوى وبلّوت رأيه وأمانته ومروته .
ثم لم تزل مادحاً له راضياً عنه ، وليس ينبغي للملك أن يستخونه بعد ارتضائه
إياه واثمانه له ، ومنذ مجيئه إلى الآن لم يطّلع على خيانة إلا على العفة
والنصيحة ، وما كان من رأى الملك أن يعجل عليه لأجل طابق لحم ^٢ .
وأنت — أيها الملك — حقيق أن تنظر في حال ابن آوى لتعلم أنه لم يكن
ليتعرض للحم استودعته إياه . ولعل الملك إن فخص عن ذلك ظاهره أن

١ بنى منادى وأصله مصغر ابن فتصغيره « بنو » لان « ابن » أصله بنو .
فاجتمعت الواو والياء في كلمة وسبقت أحدهما بالسكون فقلت الواو ياء وأدغمت في الياء
ثم أضيف « بنى » إلى ياء المتكلم ولسكنها (أى ياء المتكلم) قلبت ألفاً للتخفيف ثم
حذفت كذلك ، ومن أجل ذلك بقيت الفتحة على الياء دليلاً عليها
٢ قطعة منه ويقال أيضاً لنصف الشاة

ابن آوى له خصماء هم الذين ائتمروا بهذا الأمر ، وهم الذين ذهبوا باللحم إلى بيته ، فوضعه فيه . فإن الحِدَاة إذا كان في رجلها قطعة لحم اجتمع عليها سائر الطير ، والكلب إذا كان معه عظم اجتمعت عليه الكلاب . وابن آوى — منذ كان إلى اليوم — نافع . وكان محتملاً لكل ضرر في جنب منفعة تصل إليك ، ولكل عناء يكون لك فيه راحة ، ولم يكن يطوى دونك سرّاً .

فبينما أم الأسد تقصّ عليه هذه القصة إذ دخل على الأسد بعض ثقاته ، فأخبره ببراءة ابن آوى . فقالت أم الأسد ، بعد أن اطلع الملك على براءة ابن آوى : إن الملك حقيق ألا يرخص لمن سعى به لئلا يتجرأوا على ما هو أعظم من ذلك ، بل يعاقبهم عليه لكيلا يعودوا إلى مثله . فإنه لا ينبغي للعاقل أن يراجع في أمر الكفور للحسنى الجرى على الغدر ، الزاهد في الخير ، الذى لا يوقن بالآخرة . وينبغي أن يجزى بعمله . وقد عرفت سرعة الغضب وفرط الهفوة . ومن سخط باليسير لم يبلغ رضاه بالكثير . والأولى لك أن تراجع ابن آوى وتعطف عليه . ولا يؤيسنك من مناصحته ما فرط منك إليه من الإساءة ، فإن من الناس من لا ينبغي تركه على حال من الأحوال : وهو من عُرف بالصلاح والكرم ، وحسن العهد ، والشكر والوفاء ، والمحبة للناس ، والسلامة من الحسد ، والبعد من الأذى ، والاحتمال للإخوان والأصحاب ، وإن ثقلت عليه منهم المؤنة . وأما من ينبغي تركه فهو من عُرف بالشراسة ولؤم العهد ، وقلة الشكر والوفاء ، والبعد من الرحمة والورع ، واتصف بالبحود لنواب الآخرة وعقابها . وقد عرفت ابن

آوى وجرّبه ، وأنت حقيق بمواصلته
فدعا الأسد ابن آوى واعتذر إليه مما كان منه ، ووعدّه خيراً ، وقل :



الأسد يرد ابن آوى الزاهد إلى صحبته وكرامته



أم الأسد تقص عليه خبر السعاية

إني معتذر إليك وراذك إلى منزلتك . فقال ابن آوى : إن شر الأخلاء من
التمس منفعة نفسه بضرّ أخيه ، ومن كان غير ناظر له كنظره لنفسه ، أو
كان يريد أن يرضيه بغير الحق لأجل اتساع هواه . وكثيراً ما يقع ذلك
بين الأخلاء ، وقد كان من الملك إلى ما علم فلا يغفلن على نفسه ما أخبره
به أنى به غير واثق ، وأنه لا ينبغي لي أن أصحبه . فإن الملوك لا ينبغي أن
يصحبوا من عاقبوه أشدّ العقاب ، ولا ينبغي لهم أن يرفضوه أصلاً ، فإن ذا
السلطان إذا عزل كان مستحقاً للكرامة في حالة إبعاده والإقضاء له^١ . فلم

يلتفت الأسد إلى كلامه . ثم قال له : إني قد بلّوت طباعك وأخلاقك ،
وجربت أماناتك ووفاءك وصدقك وعرفت كذب من تمحلّ الحيل لتحميل
عليك ، وإني منزلك من نفسى منزلة الأخيار الكرماء . والكريم تنسيه
الخلّة الواحدة من الإحسان الخلال الكثيرة من الإساءة . وقد عدنا إلى
الثقة بك فعد إلى الثقة بنا ، فإنّ لنا ولك بذلك غبطة وسروراً . فعاد
ابن آوى إلى ولاية ما كان يلي وضاعف له الملك الكرامة ، ولم تزد الأيام
إلا تقرباً من السلطان (انقضى باب الأسد وابن آوى)

باب إيلاذّ وبلاذّ وإيراخت

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لي
مثلا فى الأشياء التي يجب على الملك أن يلزم بها نفسه ويحفظ ملكه ويثبت
سلطانه ويكون ذلك رأس أمره وملاكه : أبالحلم ؟ أم بالمروءة ؟ أم بالشجاعة ؟
أم بالجود ؟ قال بديبا : إن أحق ما يحفظ به الملك ملكه الحلم ، وبه
تثبت السلطنة . والحلم رأس الأمور وملاكها ، وأجود ما كان فى الملوك ،
كالذى زعموا من أنه كان ملك يدعى بلاذ ، وكان له وزير يدعى إيلاذ ،
وكان متعبداً ناسكا . فنام الملك ذات ليلة فرأى فى منامه ثمانية أحلام
أفرغته ، فاستيقظ مرعوبا . فدعا البراهمة : وهم النسّاك ليعبروا رؤياه . فلما

حضروا بين يديه قصّ عليهم ما رأى . فقالوا بأجمعهم : لقد رأى الملك



الملك يلاذ بقص على البرافمة رؤياه

عجبا . فإن أمهلنا سبعة أيام جنناه بتأويله . قال الملك : قد أمهلتمكم . فخرجوا من عنده ، ثم اجتمعوا في منزل أحدهم ، واثمروا بينهم ، وقالوا : قد وجدتم علما واسعا تدركون به ثاركم ، وتنتقمون به من عدوكم . وقد علمتم أنه قتل منّا بالأمس اثني عشر ألفا . وها هو قد أطلعنا على سره ، وسألنا تفسير رؤياه . فلهما نغلق له القول ، ونخوفه حتى يحمله الفرق والجزع على أن يفعل الذي نريد ونأمر . فنقول : ادفع إلينا أحبائك ومن يكرّم عليك حتى تقتلهم ، فإننا قد نظرنا في كتبنا فلم نر أن يدفع عنك ما رأيت لنفسك وما وقعت فيه من هذا الشر إلا بقتل من نسمي لك . فإن قال الملك : ومن تريدون أن تقتلوا ؟ سمّوهم لي . قلنا : نريد المليكّة إيراخت أمّ جوير

المحمودة ، أكرم نسائك ، وزيد جوير أحبّ بنيك إليك ، وأفضلهم عندك . وزيد ابن أخيك الكريم ، وإيلاذ خديك ، وصاحب أمرك وزيد (كآلا) الكاتب صاحب شرك ، وسيفك الذى لا يوجد مثله ، والفيل الأبيض الذى لا تلحقه الخيل ، والفرس الذى هو مركبك فى القتال ، وزيد الفيلين الآخرين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذكر ، وزيد البُختي^١ السريع القوى ، وزيد كباريون الحكيم الفاضل العالم بالأُمور لننتقم منه بما فعل بنا . ثم نقول : إنما ينبغي لك — أيها الملك — أن تقتل هؤلاء الذين سمّيناهم لك ، ثم تجعل دماءهم فى حوض تملأه ثم تقعد فيه . فإذا خرجت من الحوض اجتمعنا — نحن معاشر البراهمة — من الآفاق الأربعة نجول حولك ، فنريقك ونتفل عليك ، ونمسح عنك الدم ، ونغسلك بالماء والذهن الطيب . ثم تقوم إلى منزلك البهى ، فيدفع الله بذلك البلاء الذى نتخوفه عليك . فإن صبرت — أيها الملك — وطابت نفسك عن أحبائك الذين ذكرنا لك ، وجعلتهم فداءك تخلصت من البلاء ، واستقام لك مُلكك وسلطانك ، واستخلفت من بعدهم من أحببت . وإن أنت لم تفعل تخوفنا عليك أن يُغصب ملكك أو تهلك . فإن هو أطاعنا فيما نأمره قتلناه أى قتلة شئنا .

فلما أجمعوا أمرهم على ما ائتمروا به رجعوا إليه فى اليوم السابع ، وقالوا له : أيها الملك ، إنا نظرنا فى كتبنا فى تفسير ما رأيت ، وفحصنا عن رأى

١ البختي : واحد البخاتي ، وكذلك البخت بالضم وهى الابل الخراسانية

فما بيننا . فلتكن لك — أيها الملك الطاهر الصالح — الكرامة ، ولسنا نقدر أن نعلمك بما رأينا إلا أن نخلو بنا . فأخرج الملك من كان عنده ، وخلا بهم . فخذثوا بالذي ائتمروا به . فقال لهم : الموت خير لي من الحياة إن أنا قتلت هؤلاء الذين هم عديل نفسي ، وأنا ميت لا محالة ، والحياة قصيرة ، ولست كل الدهر ملكا ، وإن الموت عندي وفراق الأحباء سواء . قال له البرهميون : إن أنت لم تغضب أخبرناك ؛ فأذن لهم . فقالوا : أيها الملك ، إنك لم تقل صوابا حين تجعل نفس غيرك أعز عندك من نفسك ، فاحتفظ بنفسك وملكك ، واعمل هذا الذي لك فيه الرجاء العظيم على ثقة ويقين ، وقر عيننا بملكك في وجوه أهل مملكته الذين شرفت وكرمت بهم ، ولا تدع الأمر العظيم وتأخذ بالضعيف فلك نفسك إشارا لمن تحب . واعلم — أيها الملك — أن الإنسان إنما يحب الحياة محبة لنفسه ، وأنه لا يحب من أحب من الأحباب إلا ليشتمع بهم في حياته ، وإنما قوام نفسك بعد الله تعالى بملكك ، وإنك لم تنل ملكك إلا بالمشقة والعناء الكثير في الشهور والسنين ، وليس ينبغي أن ترفضه ويهون عليك !! فاستمع كلامنا . فانظر لنفسك منها ، ودع ما سواها فإنه لا خطر له . فلما رأى الملك أن البرهمنين قد أغلظوا له في القول واجترأوا عليه في الكلام اشتد غمه وحزنه . وقام من بين ظهرانيهم ، ودخل إلى حجرته ، فخر على وجهه يبكي ويتقلب كما تتقلب السمكة إذا خرجت من الماء ! وجعل يقول في نفسه ما أدرى : أي الأمرين أعظم في نفسي ؟ أملكه أم قتل أحبائي ؟ ولن أنال الفرح ما عشت ، وليس ملكي بباق على الأبد ، ولست بالمصيب سوى في ملكي ، وإني

لزاهد في الحياة إذا لم أر إيراخت . وكيف أقدر على القيام بملكي إذا هلك
وزيري إيلاذ ؟ وكيف أضبط أمري إذا هلك فيلي الأبيض وفرسي الجواد ؟ !
وكيف أذعي ملكا وقد قتلت من أشار البراهمة بقتله ؟ وما أصنع بالدنيا
بعدهم ؟ ثم إن الحديث فشا في الأرض بحزن الملك وهمه . فلما رأى إيلاذ
ما نال الملك من الهم والحزن فكر بحكمة ونظر ، وقال : ما ينبغي لي أن
أستقبل الملك فأسأله عن هذا الأمر الذي قد ناله من غير أن يدعوني . ثم
انطلق إلى إيراخت ، فقال : إني منذ خدمت الملك إلى الآن لم يعمل عملا
إلا بمشورتى ورأى ، وأراه يكتم عني أمرا لا أعلم ما هو ، ولا أراه يظهر
منه شيئا ، وإني رأيته خالياً مع جماعة البرهميين منذ ليال ، وقد احتجب
عنا فيها . وأنا خائف أن يكون قد أطلعهم على شيء من أسرارهم ، فلست
آمنهم أن يُشيروا عليه بما يضره ويدخل عليه منه سوء ، فقومي وادخلي
عليه فأسأله عن أمره وشأنه ، وأخبريني بما هو عليه وأعلميني ، فإنني لست
أقدر على الدخول عليه . فلعل البرهميين قد زينوا له أمرا ، وحملوه على
خطئة قبيحة . وقد علمت أن من خلق الملك أنه إذا غضب لا يسأل أحداً ،
وسواء عنده صغير الأمور وكبيرها . فقالت إيراخت : إنه كان بيني وبين
الملك بعض العتاب ، فلست بداخلة عليه في هذه الحال . فقال لها إيلاذ :
لا تحملي عليه الحقد في مثل هذا ، ولا يخطرُنْ ذلك على بالك ، فليس يقدر
على الدخول عليه أحد سواك . وقد سمعته كثيراً يقول : ما اشتدّ غمّي
ودخلت على إيراخت إلا سرّيت ذلك غمّي . فقومي إليه واصفحي عنه ،

وكليه بما تعلمين أنه تطيب به نفسه ، ويذهب الذي يحزنه ، وأعلميني بما يكون جوابه . فإنه لنا ولأهل المملكة أعظم الراحة . فانطلقت إيراخت ، فدخلت على الملك ، فجلست عند رأسه ، فقالت : ما الذى بك ؟ أيها الملك المحمود ، وما الذى سمعت من البراهمة ؟ فأنى أراك محزوناً . فأعلمنى



الملكة إيراخت تريد أن تعلم ما بالملك

ما بك . فقد ينبغي لنا أن نحزن معك ونؤاسيك بأنفسنا . فقال الملك : أيتها السيدة : لا تسألينى عن أمرى ، فتزيدينى غمًا وحزنًا ، فإنه أمر لا ينبغي أن تسألينى عنه . قالت : أوقد نُزلت عندك منزلة من يستحق هذا ؟ إنما أحمّد الناس عقلاً من إذا نزلت به النازلة كان لنفسه أشدّ ضبطاً ، وأكثرهم استماعاً من أهل النصح ، حتى ينجو من تلك النازلة بالحيطة والعقل والبحث والمشاورة . فعظيم الذنب لا يقتطع من الرحمة . ولا تدخلن عليك شيئاً من الهم والحزن ، فإنهما لا يردان شيئاً مقضياً ، إلا أنهما يُنحلان الجسم ، ويشفيان

العدو . قال لها الملك : لا تسأليني عن شيء ، فقد شققت على^١ . والذي تسأليني عنه لا خير فيه ، لأن عاقبته هلاكى وهلاكك وهلاك كثير من أهل مملكتى ومن هو عديل نفسى : وذلك أن البراهمة زعموا : أنه لا بد من قتلك وقتل كثير من أهل مودتى . ولا خير في العيش بعدكم . وهل أحد يسمع بهذا إلا اعتراه الحزن ؟

فلما سمعت ذلك إيراخت جزعت ومنعها عقلها أن تظهر للملك جزعا . فقالت : أيها الملك لا تجزع . فنحن لك الفداء . ولك في سواى ومثلى من الجوارى ما تقربه عينك ، ولكنى أطلب منك — أيها الملك — حاجة يحملنى على طلبتها حى لك ، وإيثارى إياك ، وهى نصيحتى لك . قال الملك : وما هى ؟ قالت : أطلب منك ألا تتق بعدها بأحد من البراهمة ولا تشاورهم فى أمر حتى تثبت فى أمرك ، ثم تشاور فيه رقتك مرارا ، فإن القتل أمر عظيم ، ولست تقدر على أن تحيى من قتلت . وقد قيل فى الحديث . إذا لقيت جوهرًا لا خير فيه فلا تلقه من يدك حتى تريه من يعرفه . وأنت — أيها الملك — لا تعرف أعداءك . واعلم أن البراهمة لا يحبونك . وقد قتلت منهم بالأمس اثنى عشر ألفًا ، ولا تظن أن هؤلاء ليسوا من أولئك . ولعمري ما كنت جديرًا أن تخبرهم بروياك ، ولا أن تطلمهم عليها . وإنما قالوا لك ما قالوا لأجل الحق الذى بينك وبينهم ، لعلهم يهلكونك ويهلكون أحباءك ووزيرك ، فيبلغوا قصدهم منك . فأظنك لو قبلت منهم قتلتك من أشاروا

١ يقال : شق على فلان : أوقعه فى المشقة

بقتله ظفروا بك وغلبوك على ملكك ، فيعود الملك إليهم كما كان . فانطلق إلى كباريون الحكيم فهو عالم فطن ، فأخبره عما رأيت في رؤياك ، واسأله عن وجهها وتأويلها

فلما سمع الملك ذلك سرى عنه ما كان يجده من الغم ، فأمر بفرسه فأخرج ، فركبه ، ثم انطلق إلى كباريون الحكيم . فلما انتهى إليه نزل عن فرسه ، وسجد له ، وقام مطأطئاً الرأس بين يديه . فقال له الحكيم : ما بالاك ؟



الملك بلاذأمام كباريون الحكيم

أيها الملك ، وإلى أراك متغير اللون ؟ فقال له الملك : إني رأيت في المنام ثمانية أحلام ، فقصصتها على البراهمة ، وأنا خائف أن يصيبني من ذلك عظيم أمر مما سمعت من تعبيرهم لرؤياي وأخشى أن يغضب مني ملكي ، أو أن أغلب عليه . فقال له الحكيم : إن شئت فاقصص رؤياك علي . فلما قص عليه الملك رؤياه قال : لا يحزنك — أيها الملك — هذا الأمر ، ولا تحف منه :

أما السمكتان الحراوان اللتان رأيتهما قائمتين على أذناهما ، فإنه يأتيك رسول
من ملك نهاوند بمعلقة فيها عقدان من الدر والياقوت الأحمر : قيمتهما أربعة
آلاف رطل من ذهب . فيقوم بين يديك . وأما الوزتان اللتان رأيتهما
طارتا من وراء ظهرك فوقعتا بين يديك ، فإنه يأتيك من ملك بلخ فرسان
ليس على الأرض مثلهما ، فيقومان بين يديك . وأما الحية التي رأيتهما تدب
على رجلك اليسرى ، فإنه يأتيك من ملك صنعين من يقوم بين يديك
بسيوف خالص الحديد لا يوجد مثله . وأما الدم الذي رأيته كأنه خضب به
جسدك ، فإنه يأتيك من ملك كازرون من يقوم بين يديك بلباس معجب
يسمى حلة أرجوان يضئ في الظلمة . وأما مارأيت من غسلك جسمك
بالماء ، فإنه يأتيك من ملك رهزين من يقوم بين يديك بثياب كتان من
لباس الملوك . وأما مارأيت من أنك على جبل أبيض ، فإنه يأتيك من
ملك كيدور من يقوم بين يديك بفيل أبيض لا تلحقه الخيل . وأما مارأيت
على رأسك شبيها بالنار ، فإنه يأتيك من ملك أرزن من يقوم بين يديك
بأكليل من ذهب مكلل بالدر والياقوت . وأما الطير الذي رأيته ضرب
رأسك بمنقاره ، فليست مفسراً ذلك اليوم ، وليس بضارك فلا توجكن منه ،
ولكن فيه بعض السخط والإعراض عن تحبه . فهذا تفسير رؤياك — أيها
الملك — وأما هذه البرد ، فإنهم يأتونك بعد سبعة أيام جميعاً فيقومون بين
يديك . فلما سمع الملك ذلك سجد لكباريون ورجع إلى منزله

فلما كان بعد سبعة أيام جاءت البشائر بقدوم الرسل ، فخرج الملك فجلس
على التخت وأذن للأشراف ، وجاءته الهدايا كما أخبره كباريون الحكيم .

فلما رأى الملك ذلك اشتدَّ عَجَبُهُ وفرحه من علم كبار يون ، وقال : ما وُدِّعَتْ
حين قصصت رؤياي على البراهمة ، فامرؤني بما امرؤني به . ولولا أن الله تعالى
تداركني برحمته لكنت قد هلكت وأهلكت . وكذلك لا ينبغي لكل أحد
أن يسمع إلا من الأخلاء ذوى العقول . وإن إيراخت أشارت بالخير فقبلته
ورأيت به النجاح . فضعوا الهدية بين يديها لتأخذ منها ما اختارت . ثم
قال لإيلاذ : خذ الإكليل والثياب ، واحملها واتبعني بها إلى مجلس النساء .
ثم إن الملك دعا إيراخت وهورقناه أكرم نسائه بين يديه . فقال لإيلاذ :
ضع الكسوة والإكليل بين يدي إيراخت لتأخذ أيها شاءت ، فوضعت
الهدايا بين يدي إيراخت . فأخذت منها الإكليل ، وأخذت حورقناه
كسوة من أنغر الثياب وأحسنها . وكان من عادة الملك أن يكون ليلة عند
إيراخت وليلة عند حورقناه . وكان من سنة الملك أن تهبي له المرأة التي
يكون عندها في ليلتها أرزاً بحلاوة قطعته إياه . فأتى الملك إيراخت في
نوبتها ، وقد صنعت له أرزاً . فدخلت عليه بالصفحة والإكليل على رأسها ،
فعلت حورقناه بذلك ، فغارت من إيراخت ، فلبست تلك الكسوة ، ومرت
بين يدي الملك ، وتلك الثياب تضيء عليها مع نور وجهها كما تضيء الشمس .
فلما رآها الملك أعجبه . ثم التفت إلى إيراخت ، فقال : إنك جاهلة حين
أخذت الإكليل وتركت الكسوة التي ليس في خزانتنا مثلها . فلما سمعت
إيراخت مدح الملك لحورقناه وثناءه عليها وتجهيلها هي وذم رأيها أخذها من
ذلك الغيرة والغیظ . فضربت بالصفحة رأس الملك . فسال الأرز على وجهه .

فقام الملك من مكانه ، ودعا بإيلاذ . فقال له : ألا ترى — وأنا ملك العالم — كيف حقرتني هذه الجاهلة ، وفعلت بي ما ترى . فانطلقت بها فاقتلها ولا



الملك مأمور بوزيره إيلاذ بقتل إيراخت

ترحمها . فخرج إيلاذ من عند الملك ، وقال : لا أقبلها حتى يسكت عنه الغضب . فالمرأة عاقلة سديدة الرأي من الملكات التي ليس لها عديل في النساء ، وليس الملك بصابر عنها ، وقد خلصته من الموت ، وعلمت أعمالا صالحة ، ورجاؤنا فيها عظيم ، ولست آمنه أن يقول . لم لم تؤخر قتلها حتى تراجعني ؟ فلست قاتلها حتى أنظر رأي الملك فيها ثانية . فإن رأيته نادما حزينا على ما صنع جئت بها حية ، وكنت قد عملت عملا عظيما وأنجيت إيراخت من القتل ، وحفظت قلب الملك ، واتخذت عند عامة الناس بذلك يدا . وإن رأيته فرحا مستريحا مصوبا رأيه في الذي فعله وأمر به فقتلها لا يفوت

ثم انطلق بها إلى منزله ووكل بها خادماً من أمانته بخدمتها وحراستها حتى ينظر ما يكون من أمرها وأمر الملك : ثم خضب سيفه بالدم ، ودخل على الملك كالكتيب الحزين فقال : أيها الملك ، إني قد أمضيت أمرك في إيراخت . فلم يلبث الملك أن سكن عنه الغضب ، وذكر جمال إيراخت وحسنها ، واشتد أسفه عليها ، وجعل يعزّي نفسه عنها ويتجلّد . وهو مع ذلك يستحي أن يسأل إيلاذ : أحقاً أمضى أمره فيها أم لا ؟ ورجا لما عرف من عقل إيلاذ ألا يكون قد فعل ذلك . ونظر إليه إيلاذ بفضل عقله ، فعمل الذي به . فقال له : لا تهتم ولا تحزن — أيها الملك — فانه ليس في الهم والحزن منفعة ، ولكنهما يُنحلان الجسم ويُفسدانه . فاصبر — أيها الملك — على ما لست بقادر عليه أبداً ، وإن أحب الملك حديثه بحديث يُسليه . قال : حدثني

قل إيلاذ : زعموا أن حمامتين ذكراً وأنثى ملأ عشمهما من الحنطة والشعير . فقال الذكر للأنثى : إنا إذا وجدنا في الصحارى ما نعيش به فإسنا نأكل مما ههنا شيئاً . فإذا جاء الشتاء ولم يكن في الصحارى شيء رجعنا إلى ما في عشنا فأكلناه . فرضيت الأنثى بذلك ، وقالت له : نعم ما رأيت . وكان ذلك الحبّ ندياً حين وضعاه في عشمهما . فانطلق الذكر فغاب . فلما جاء الصيف يبس الحبّ وانضمر . فلما رجع الذكر رأى الحبّ ناقصاً . فقال لها : أليس كنا أجمعنا رأينا على ألا نأكل منه شيئاً ؟ فلم أكلته ؟ فجعلت تحلف أنها ما أكلت منه شيئاً ، وجعلت تعتذر إليه فلم يصدقها . وجعل ينقرها حتى ماتت . فلما جاءت الأمطار ودخل الشتاء

تندى الحب ، وامتلاً العش كما كان . فلما رأى الذكر ذلك ندم ، ثم اضطلع
إلى جانب حمامته ، وقال : ما ينفعنى الحب والعيش بعدك إذا طلبتك فلم
أجداك ، ولم أقدر عليك ، وإذا فكرت في أمرك ، وعلمت أنى قد ظلمتك ،
ولا أقدر على تدارك مافات . ثم استمر على حزنه . فلم يطعم طعاماً ولا
شراباً حتى مات إلى جانبها .

والعاقل لا يعجل في العذاب والعقوبة ، ولا سيما من يخاف الندامة
كما ندم الحمام الذكر

وقد سمعت أيضاً أن رجلاً دخل الجبل وعلى رأسه كارة من العدس ،
فوضع الكارة عن ظهره ليستريح . فنزل قرد من شجرة . فأخذ ملء كفه
من العدس ، وصعد إلى الشجرة . فسقطت من يده حبة . فنزل في طلبها
فلم يجدها . وانتثر ما كان في يده من العدس أجمع . وأنت أيضاً — أيها
الملك — عندك ستة عشر ألف امرأة تدع أن تلهو بهن ، وتطلب التي
لا تجد . فلما سمع الملك ذلك خشى أن تكون إيراخت قد هلكت . فقال
لإيلاذ : لم لا تأنبت وثبتت ؟ بل أسرعت عند سماع كلمة واحدة ، فتعلقت
بها ، وفعلت ما أمرتك به من ساعتك . قال إيلاذ : إن الذى قوله واحد
لا يختلف هو الله الذى لا تبديل لكلماته ، ولا اختلاف لقوله . قال الملك :
لقد أفست أمرى ، وشددت حزنى بقتل إيراخت . قال إيلاذ : اثنان
ينبغى لهما أن يحزنا : الذى يعمل الإثم في كل يوم ، والذى لا يعمل خيراً

قط ، لأن فرحهما في الدنيا ونعيمهما قليل ، وندامتها إذا يعاننان الجزء
طويلة لا استطاع إحصاؤها . قال الملك : لئن رايت إيراخت حية لا أحزن
على شيء أبدا : قال إيلاذ . اثنان لا ينبغي لهما أن يحزنا : المجتهد في البر
كل يوم والذي لم يأثم قط . قال الملك : ما أنا بناظر إلى إيراخت أكثر
مما نظرت . قال إيلاذ : اثنان لا ينظران : الأعمى ، والذي لا عقل له :
وكما أن الأعمى لا ينظر السماء ونجومها وأرضها ولا ينظر القرب والبعد ،
كذلك الذي لا عقل له لا يعرف الحسن من القبيح ولا المحسن من
المسيء . قال الملك : لو رأيت إيراخت لاشتد فرحي . قال إيلاذ : اثنان
هما الفرحان : البصير والعالم ، فكما أن البصير يبصر أمور العالم وما فيه
من الزيادة والنقصان والقريب والبعيد ، فكذلك العالم يبصر البر والإثم ،
ويعرف عمل الآخرة ، ويتبين له نجاته ، ويهتدى إلى صراط مستقيم . قال
الملك : ينبغي لنا أن نتباعد منك يا إيلاذ ، ونأخذ الحذر ، ونلزم الاتقاء .
قال إيلاذ : اثنان ينبغي أن يتباعد منهما : الذي يقول : لا بر ولا إثم ،
ولا عقاب ولا ثواب ، ولا شيء عليّ مما أنا فيه ، والذي لا يكاد يصرف
بصره عما ليس له بمحرم ، ولا أدنه عن استماع السوء ، ولا قلبه عما تهتم به
نفسه من الإثم والحرص . قال الملك : صارت يدي من إيراخت صِفرا . قال
إيلاذ : ثلاثة أشياء أصفار : النهر الذي ليس فيه ماء . والأرض التي ليس
فيها ملك . والمرأة التي ليس لها بعل . قال الملك : إنك يا إيلاذ لتلحق الجواب^١ .
قال إيلاذ . ثلاثة يُلَقُّون الجواب : الملك الذي يعطى ويقسم من خزائنه .

والمرأة المهداة إلى من تهوى من ذوى الحسب . والرجل العالم الموفق للخير
ثم إن إيلاذ لما رأى الملك اشتد به الأمر قل : أيها الملك ، إن
إيراخت بالحياة . فلما سمع الملك ذلك اشتد فرحه ، وقل : يا إيلاذ ، إنما
منعنى من الغضب ما أعرف من نصيحتك ، وصدق حديثك . وكنت
أرجو لمعرفتي بعلمك ألا تكون قد قتلت إيراخت ، فإنها وإن كانت أتت
عظيما وأغلظت فى القول فلم تأت به عداوة ولا طلب مضرة ، ولكنها فعلت
ذلك للغيرة ، وكان ينبغى لى أن أعرض عن ذلك وأحتمله ، ولكنك
يا إيلاذ أردت أن تختبرنى وتتركنى فى شك من أمرها . وقد اتخذت
عندى أفضل الأيدي وأنا لك شاكر . فانطلق فائتنى بها . فخرج من
عند الملك فأتى إيراخت وأمرها أن تتزين . ففعلت ذلك ، وانطلق بها



الملكة إيراخت بين يدي الملك حامدة مكفرة

إلى الملك : فلما دخلت سجدت له ، ثم قامت بين يديه وقالت : أحمده الله

تعالى ، ثم أحمد الملك الذي أحسن إلى . وقد أذنب الذنب العظيم الذي لم أكن للبقاء أهلاً بعده . فوسعه حلمه وكرم طبعه ورأفته . ثم أحمد إيلاذ الذي أخرج أمرى وأنجاني من الملكة ، لعله برأفة الملك وسعة حلمه وجوده وكرم جوهره ووفاء عهده . وقل الملك لإيلاذ : ما أعظم يدك عندي ! وعند إيراخت ، وعند العامة ، إذ قد أحييتها بعد ما أمرت بقتلها ، فأنت الذي وهبها لي اليوم . فأني لم أزل واثقاً بنصيحتك وتديبيرك ، وقد ازدادت اليوم عندي كرامة وتعظيماً ، وأنت محكم في ملكي تعمل فيه بما ترى ، وتحكم عليه بما تريد . فقد جعلت ذلك إليك ، ووثقت بك . قل إيلاذ : أدام الله لك — أيها الملك — الملك والسرور . فلست بمحمود على ذلك ، فإنما أنا عبدك ، لكن حاجتي ألا يعجل الملك في الأمر الجسيم الذي يندم على فعله وتكون عاقبته الغم والحزن ، ولا سيما في مثل هذه الملكة الصالحة المشفقة التي لا يوجد في الأرض مثلاً . فقال الملك : بحق قلت يا إيلاذ ، وقد قبأت قولك ، ولست عاملاً بعدها عملاً صغيراً ولا كبيراً فضلاً عن مثل هذا الأمر العظيم الذي ما سلمت منه إلا بعد المؤامرة والنظر والتردد إلى ذوى العقول ومشاورة أهل المؤدّة والرأى . ثم أحسن الملك جائزة إيلاذ ، ومكنه من أولئك البراهمة الذين اشاروا بقتل أحبابه ، فأطلق فيهم السيف ، وقرّت عين الملك وعيون أهل مملكته ، وحمدوا الله وأثنوا على كبارين لسعة علمه وفضل حكمته ، إذ بعلمه خلّص الملك ووزيره الصالح وامراته الصالحة .

(انقضى باب إيلاذ وبلاذ وإيراخت)

باب اللبؤة^١ والأسوار^٢ والشعهر

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب لي مثلاً في شأن من يدع ضرّاً غيره إذا قدر عليه لما يصيبه من الضر ، ويكون له فيما ينزل به واعظ وزاجر عن ارتكاب الظلم والعداوة لغيره . قال الفيلسوف : إنه لا يقدم على طلب ما يضر بالناس وما يسوءهم إلا أهل الجهالة والسفّه وسوء النظر في العواقب من أمور الدنيا والآخرة ، وقلة العلم بما يدخل عليهم في ذلك من حلول النعمة ، وبما يلزمهم من تبعّة ما اكتسبوا مما لا تحيط به العقول . وإن سلّم بعضهم من ضرر بعض بمنية عرضت له قبل أن ينزل به وبأل ما صنع . فإن من لم يفكر في العواقب لم يأمن المصائب ، وحقيق ألا يسلم من المعاطب . وربما اتّعظ الجاهل واعتبر بما يصيبه من المضرة من الغير ، فارتدع عن أن يغشى أحداً بمثل ذلك من الظلم والعدوان ، وحصل له نفع ما كف عنه من ضرره لغيره في العاقبة : فنظير ذلك حديث اللبؤة والأسوار والشعهر . قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

قال الفيلسوف : زعموا أن لبؤة كانت في غيضة^٣ ، ولها شيلان ، وأنها خرجت في طلب الصيد وخلقتهم في كهفهما . فربهما أسوار ، فحمل عليهما ورماهما قتلتهما ، وسلخ جلديهما فاحتبهما^٤ ، وانصرف بهما إلى منزله . ثم إنهما رجعت . فلما رأّت ما حل بهما من الأمر الفظيع اضطربت

١ أنثى الأسد ٢ الرامي بالسهام وهو يضم ويكسر
٣ الفيضة : مجتمع الشجر في مغيض ماء ٤ احتبهما : حملها خلفه

وصاحت وضجت . وكان إلى جنبها شَعر . فلما سمع ذلك من صياحها قال لها : ماهذا الذى تصنعين ؟ وما نزل بك ؟ فأخبرني به ، قالت اللبؤة :



اللبؤة والشعر ينظران إلى بقايا شيليا

شيلاي مرّ بهما أسوار فقتلها ، وسلخ جلديهما فاحتقبهما ، ونبذهما بالراء^١ . قال لها الشعر : لا تضجّى وأنصفي من نفسك . واعلمى أن هذا الاسوار لم يأت إليك شيئاً إلا وقد كنت تغلين بغيرك مثله ، وتأتين إلى غير واحد مثل ذلك ممن كان يجد بحميمه ومن يعزّ عليه مثل ما تجدين بشيليك . فاصبرى على فعل غيرك كما صبر غيرك على فعلك . فإنّه قد قيل . كما تدّين تدان . ولكل عمل ثمرة من الثواب والعقاب ، وهما على قدره في الكثرة والقلة : كالزراع إذا حضر الحصاد أعطى على حسب بذره . قالت

١ الراء بالفتح : الفضاء

اللبؤة : بين لي ما تقول ، وأفصح لي عن إشارته . قال الشعر : كم أتى لك من العمر ؟ قالت اللبؤة : مائة سنة . قال الشعر : ما كان قوتك ؟ قالت اللبؤة : لحم الوحش . قال الشعر : ما كان يطعمك إياه ؟ قالت اللبؤة : كنت أصيد الوحش . وآكله . قال الشعر : رأيت الوحوش التي كنت تأكلين ؟ أما كان لها آباء وأمهات ؟ قالت : بلى . قال الشعر : فما بالي لأرى ولا أسمع لتلك الآباء والأمهات من الجزع والضجيج ما أرى وأسمع لك ؟ ! أما إنه لم ينزل بك منزل إلا لسوء نظرك في العواقب ، وقلة تفكيرك فيها ، وجهالتك بما يرجع عليك من ضررها . فلما سمعت اللبؤة ذلك من كلام الشعر عرفت أن ذلك مما جنت على نفسها ، وأن عملها كان جوراً وظلماً . فتركت الصيد ، وانصرفت عن أكل اللحم إلى أكل الثمار والنسك والعبادة . فلما رأى ذلك ورشان^١ كان صاحب تلك الغيضة وكان عيشه من الثمار قال لها : قد كنت أظن أن الشجرة عامنا هذا لم تحمل لقلة الماء . فلما أبصرتك تأكلينها وأنت آكلة اللحم ، فتركت رزقك وطعامك وما قسم الله لك ، وتحولت إلى رزق غيرك ، فانتقصته ودخات عليه فيه . علمت أن الشجرة العام أثمرت كما كانت تثمر قبل اليوم . وإنما أنت قلة الثمر من جهتك . فويل للشجر ، وويل للثمار ، وويل لمن كان عيشه منها . ما أسرع هلاكهم ! إذا دخل عليهم في أرزاقهم وغلبهم عليها من ليس له فيها حظ ، ولم يكن معتاداً لأكلها . فلما سمعت اللبؤة ذلك من كلام الورشان تركت أكل الثمار ، وأقبلت على

أكل الحشيش والعبادة . وإنما ضربت لك هذا المثل لتعلم أن الجاهل ربما انصرف بضرٍ يصيبه عن ضرِّ الناس : كاللبؤة التي انصرفت — لما لقيت في شبلها — عن أكل اللحم ثم عن أكل الثمار بقول الورشان . وأقبلت على النسك والعبادة . والناس أحق بحسن النظر في ذلك ، فإنه قد قيل : ما لا ترضاه لنفسك لا تصنعه لغيرك . فإن في ذلك العدل وفي العدل رضا الله تعالى ورضاه الناس . (انقضى باب البؤة والاسبوار والشعور)

باب الناسك والضيف

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل فاضرب لي مثل الذي يدع صنعه الذي يليق به ويشأكله ، ويطلب غيره فلا يدركه . ليبقى حيران متردداً . قال الفيلسوف : زعموا أنه كان بأرض الكرخ ناسك عابد مجتهد . فنزل به ضيف ذات يوم . فدعا الناسك لضيفه بتمر ليطرفه به . فأكلا منه جميعاً . ثم قال الضيف : ما أحلى هذا التمر وأطيبه ! فليس هو في بلادى التي أسكنها ، وليته كان فيها . ثم قال أرى أن تُساعدنى على أن آخذ منه ما أغرسه في أرضنا ، فإنى لست عارفاً بثمار أرضكم هذه ولا بمواضعها . فقال له الناسك : ليس لك في ذلك راحة ، فإن ذلك يثقل عليك ، لعل ذلك لا يوافق أرضكم مع أن بلادكم كثيرة الأثمار ، فما حاجة مع كثرة ثمارها إلى التمر مع وخامته وقلة موافقته للجسد . ثم قال له الناسك : إنه لا يبعد حليماً من طلب ما لا يجد ، وإنك سعيد الجَد إذا قَبِعت بالذى تجد

وزهدت فيما لا تجدد . وكان هذا الناسك يتكلم بالعبرانية : فاستحسن الضيف كلامه وأعجبه . فتكلف أن يتعلمه ، وعالج في ذلك نفسه أياما . فقال الناسك لضيفه : ما أخلقك أن تقع مما تركت من كلامك ! وتكلفت من كلام العبرانية في مثل ما وقع فيه الغراب . قال الضيف : وكيف كان ذلك ؟ !

قال الناسك : زعموا أن غرابا رأى حَجَلَةً تدرُج وتمشي . فأعجبته مشيتها ، وطمع أن يتعلمها . فراض على ذلك نفسه فلم يقدر على إحكامها ، وأيس منها ، وأراد أن يعود إلى مشيته التي كان عليها ، فإذا هو قد اختلط وتخلع في مشيته ، وصار أقبح الطير شيئا . وإنما ضربت لك هذا المثل لما رأيت من أنك تركت لسانك الذي طُبعت عليه ، وأقبت على لسان العبرانية وهو لا يشاكك . وأخاف ألا تدركه وتنسى لسانك وترجع إلى أهلك ، وأنت شرهم لسانا . فإنه قد قيل : إنه يعدّ جاهلا من تكلف من الأمور ما لا يشاكله ، وليس من عمله ، ولم يؤدّ به عليه آباؤه وأجداده من قبل

(انقضى باب الناسك والضيف)

١ الحجلة : واحدة الحجل وهو جنس له أربعة أنواع : الحجل الحقيقي ، والتدرج والسمانى ، والسلى : والحجل الحقيقي قريب الحجم من الحمام الكبير وجسمه عبل ورأسه صغير ومنقاره قصير مقب قليلا وجناحه قصيران ولونه رمادى ملون ، يعيش أسرابا قليلة ويقتات بالاعشاب والحبوب والحشرات ويتخذ أدحيته في شقوق الارض ، تبيض أثاء من ١٢ الى ٢٠ بيضة وتقوم بحضنها وحدها

باب السائح والصائغ

قال دبشليم الملك لبديبا الفيلسوف: قد سمعت هذا المثل. فاضرب لى مثلاً فى شأن الذى يضع المعروف فى غير موضعه ويرجو الشكر عليه. قال الفيلسوف: أيها الملك، إن طبائع الخلق مختلفة، وليس مما خلقه الله فى الدنيا مما يمشى على أربع، أو على رجلين، أو يطير بجناحين شئ هو أفضل من الإنسان. ولكن من الناس البرّ والفاجر. وقد يكون فى بعض البهائم والسباع والطير ما هو أوفى منه ذمة، وأشدّ محاماة على حرمه وأشكر للمعروف وأقوم به. وحينئذ يجب على ذوى العقل من الملوك وغيرهم أن يضعوا معروفهم مواضعه، ولا يضعوه عند من لا يحتمله ولا يقوم بشكره، ولا يصطنعوا أحداً إلا بعد الخبرة بطرائقه، والمعرفة بوفائه ومودّته وشكره. ولا ينبغي أن يختصوا بذلك قريباً لقربته إذا كان غير محتمل للصنيعة، ولا أن يمنحوا معروفهم ورّفدهم للبعيد إذا كان يقيهم بنفسه وما يقدر عليه، لأنّه يكون حينئذ عارفاً بحق ما اصطنع إليه، مؤدّياً لشكر ما أنعم عليه، محموداً بالنصح، معروفًا بالخير، صدوقاً، عارفاً، مؤثراً لحمد الفعل والقول. وكذلك كل من عرّف بالخصال المحمودة ووُثق منه بها كان للمعروف موضعاً، ولتقريبه واصطناعه أهلاً. فإن الطبيب الرفيق العاقل لا يقدر على مداواة المريض إلا بعد النظر إليه والجلس لمروقه، ومعرفة طبيعته، وسبب علته. فإذا عرف ذلك كله حق معرفته أقدم على مداواته: فكذلك العاقل لا ينبغي له أن يصطفى أحداً ولا يستخلصه إلا بعد الخبرة، فإن من أقدم على مشهور العدالة من غير اختبار كان مخاطراً فى ذلك، ومشرفاً منه على هلاك

وفساد . ومع ذلك ربما صنع الإنسان المعروف مع الضعيف الذى لم يجرب شكره ولم يعرف حاله فى طبائعه فيقوم بشكر ذلك ويكافئ عليه أحسن المكافأة . وربما حذر العاقل من الناس ولم يأمن على نفسه أحدا منهم . وقد يأخذ ابن عرس فيدخله فى كنه ويخرجه من الآخر : كالدى يحمل الطائر على يده ، فإذا صاد شيئا انتفع به وأطعمه منه . وقد قيل : لا ينبغي لذى العقل أن يحتقر صغيرا ولا كبيرا من الناس ولا من البهائم ، ولكنه جدير بأن يلوهم ، ويكون ما يصنع إليهم على قدر ما يرى منهم . وقد مضى فى ذلك مثل ضربه بعض الحكماء . قل الملك : وكيف كان ذلك ؟ ؟

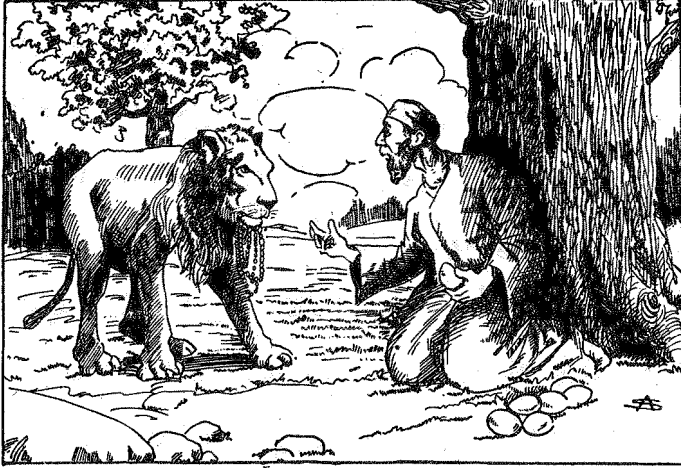
قال الفيلسوف : زعموا أن جماعة احتفروا ركة فوق فيا رجل صائغ وحية وقرد و ببر . ومر بهم رجل ساج فأشرف على الركة . فبصر بالرجل والحية والوبر والقرد ، ففكر فى نفسه ، وقال : لست أعلم لآخرى عملا



الساخج يخرج الرجل وهذه الحيوانات تجذره غدر الانسان

أفضل من أن أخلص هذا الرجل من بين هؤلاء الاعداء فأخذ حبلا وأدلاه

إلى البئر. فتعلق به القرد خلفته فخرج. ثم أدلاه ثانية، فالتفت به الحية فخرجت. ثم أدلاه الثالثة، فتعلق به البئر فأخرجه، فشكر له صنيعه وقلن له: لا تخرج هذا الرجل من الركبة * فإنه ليس أقل شكراً من الإنسان. ثم هذا الرجل خاصة، ثم قال له القرد: إن منزلي في جبل قريب من مدينة يقال لها نَوَادِرْخَتْ. فقال له البئر: أنا أيضاً في أجمة إلى جانب تلك المدينة. قالت الحية: أنا أيضاً في سور تلك المدينة، فإن أنت مررت بنا يوماً من الدهر واحتجبت إلينا فصوّت علينا حتى نأتيك فنجزيك بما أسديت إلينا من المعروف. فلم يلتفت السائح إلى ما ذكروا له من قلة شكر الإنسان، وأدلى الخبل فأخرج الصائع، فسجد له، وقال له: لقد أوليتني معروفاً، فإن أتيت يوماً بمدينة نَوَادِرْخَتْ فاسأل عن منزلي فأنا رجل صانع لعلى أكافئك بما صنعت إلی من المعروف فانطلق الصائع إلى مدينته، وانطلق السائح إلى جانبه. فعرض بعد ذلك أن السائح اتفقت له حاجة إلى تلك المدينة. فانطلق فاستقبله القرد فسجد له، وقبل رجله، واعتذر إليه، وقال: إن القرد لا يملكون شيئاً. ولكن اقم حتى آتيك، وانطلق القرد وأتاه بها كفة طيبة، فوضعها بين يديه. فأكل منها حاجته. ثم إن السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة. فاستقبله البئر، فخرّ له ساجداً، وقال له: إنك قد أوليتني معروفاً فاطمئن ساعة حتى آتيك. فانطلق البئر فدخل بعض الحيطان إلى بنت الملك فقفلها، وأخذ حليها فأتاه به من غير أن يعلم السائح: ومن أين هو؟ فقال في نفسه: هذه البهائم قد أولتني هذا الجزاء. فكيف لو قد



البرجي، السائح يعقد ابنة الملك

أتيت إلى الصائغ ؟ فإنه إن كان مُعسراً لا يملك شيئاً فسيبيع هذا الحليّ
 فيستوفي ثمنه ، فيعطيني بعضه ويأخذ بعضه ، وهو أعرف بثمنه . فانطلق
 السائح فأتى إلى الصائغ . فلما رآه رحّب به وأدخله في بيته . فلما بصُر بالحليّ
 معه عرفه . وكان هو الذي صاغه لابنة الملك . فقال للسائح : اطمئن حتى
 آتيك بطعام ، فلست أرضى لك ما في البيت . ثم خرج وهو يقول : قد
 أصبت فرصتي . أريد أن أنطلق إلى الملك وأدله على ذلك ، فتحسن منزلتي
 عنده . فانطلق إلى باب الملك ، فأرسل إليه : إن الذي قتل ابنتك وأخذ
 حليّها عندي . فأرسل الملك وأتى بالسائح . فلما نظر الحليّ معه لم يمهله ،
 وأمر به أن يعذب ، ويطاف به في المدينة ويصلب . فلما فعلوا به ذلك
 جعل السائح يبكي ويقول بأعلى صوته لو أنّي أطعت القرد والحية والوبر فيما

أمرني به وأخبرني من قلة شكر الإنسان لم يضر أمرى إلى هذا البلاء



الملك يامر بالسائح أن يعذب

وجعل يكرّر هذا القول . فسمعت مقالته تلك الحية ، فخرجت من جحرها
ففرقتها ، فاشتد عليها أمره ، فجعلت تحتال في خلاصه . فانطلقت حتى لدغت
ابن الملك . فدعا الملك أهل العلم فرقوه ليشفوه ، فلم يُغنوا عنه شيئاً . ثم
مضت الحية إلى أخت لها من الجن فأخبرتها بما صنع السائح إليها من
المعروف ، وما وقع فيه . فرقت له وانطلقت الى ابن الملك وتخايلت له .
وقالت : إنك لا تبرأ حتى يريقك هذا الرجل الذي قد عاقبتموه ظلماً .
وانطلقت الحية إلى السائح فدخلت عليه السجن ، وقالت له : هذا الذي
كنت نبيتك عنه من اصطناع المعروف إلى هذا الإنسان لم تطعن . وأنته

بورق ينفع من سمِّها ، وقالت له : إذا جاءوا بك لترقى ابن الملك فاسقه من



الحية تقسم الى السائح في سجنه ورفا ينفع من سمها

ماء هذا الورق فإنه يبرأ ، وإذا سألك الملك عن حالك فاصدقه ، فإنك تنجو
إن شاء الله تعالى . وإن ابن الملك أخبر الملك أنه سمع قائلاً يقول : إنك
لن تبرأ حتى يرقيك هذا السائح الذي حُبِسَ ظمأ . فدعا الملك بالسائح وأمره
أن يرقى ولده . فقال : لا أحسن الرقى ولكن أسقيه من ماء هذه الشجرة ،
فمبرأ بإذن الله تعالى ، فسقاه فبرئ الغلام ، ففرح الملك بذلك ، وسأله عن
قصته فأخبره ، فشكره الملك وأعطاه عطية حسنة ، وأمر بالصائع أن يُصلب .
فصلبوه لكذبه وانحرافه عن الشكر ومجازاته الفعل الجميل بالقبيح . ثم قل
الفيلسوف للملك . ففي صنيع الصائع بالسائح وكفره له بعد استنقاذه إياه وشكر



الصانع يصب ويعذب لمجوده وكفرائه

البهائم له وتخلص بعضها إيا عبدة لمن اعتبر . وفكرة لمن تفكر ، وأدب في وضع المعروف والإحسان عند أهل الوفاء والكرم قرّبوا أو بعدوا لما في ذلك من صواب الرأي وجلب الخير وصرف المكروه . (اتقفى باب السائح والصانع)

﴿ باب ابن الملك وأصحابه ﴾

قال دبشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فإن كان الرجل لا يصيب الخير إلا بعقله ورأيه وثبته في الأمور كما يزعمون فما بال الرجل الجاهل يصيب الرفعة والخير ؟ ! والرجل الحكيم العاقل قد يصيب البلاء والضرر ؟ ! قال بيدبا : كما أن الإنسان لا يبصر إلا بعينه ، ولا يسمع إلا بأذنيه ، كذلك العمل إنما هو بالحلم والعقل والتثبت . غير أن القضاء

والقدر يغلبان على ذلك . ومثل ذلك مثل ابن الملك وأصحابه . قال الملك وكيف كان ذلك ؟ !

قال الفيلسوف: زعموا أن أربعة نفر اصطحبوا في طريق واحدة: أحدهم ابن ملك ، والثاني ابن تاجر ، والثالث ابن شريف ذو جمال ، والرابع ابن أسكار ، وكانوا جميعاً محتاجين ، وقد أصابهم ضرر وجهد شديد في موضع غربة : لا يملكون إلا ما غلبهم من الثياب . فبينما هم يمشون إذ فكروا في أمرهم وكان كل إنسان منهم راجعاً إلى طباعه ، وما كان يأتيه منه الخير . قال ابن الملك : إن أمر الدنيا كله بالقضاء والقدر . والذي قدّر على الإنسان يأتيه على كل حال ، والصبر للقضاء والقدر وانتظارهما أفضل الأمور . وقال ابن التاجر : العقل أفضل كل شيء . وقال ابن الشريف : الجمال أفضل مما ذكرتم . ثم قال ابن الأسكار : ليس في الدنيا أفضل من الاجتهاد في العمل فلما قربوا من مدينة يقال لها مطرون جلسوا في ناحية منها يتشاورون . فقالوا لابن الأسكار : انطلق فاكسب لنا باجتهادك طعاماً ليومنا هذا . فانطلق ابن الأسكار وسأل عن عمل إذا عمله الإنسان يكتسب فيه طعام أربعة نفر . فرفوه أن ليس في المدينة شيء أعزّ من الحطب ، وكان الحطب منها على فرسخ . فانطلق ابن الأسكار فاحتطب طناً من الحطب ، وأتى به المدينة ، فباعه بدرهم ، واشترى به طعاماً ، وكتب على باب المدينة - عمل يوم واحد إذا أجهد فيه الرجل بدنه قيمته درهم - ثم انطلق إلى أصحابه بالطعام

فأكلوا . فلما كان من الغد قالوا : ينبغي للذى قال : إنه ليس شئ أعز من الجمال أن تكون نوبته . فانطلق ابن الشريف ليأتى المدينة . ففكر فى نفسه ، وقال : أنا لست أحسن عملا ، فما يدخلنى المدينة ؟ ثم استحميا أن يرجع إلى أصحابه بغير طعام ، وهم بمفارقتهم ، فانطلق حتى أسند ظهره إلى شجرة عظيمة ، فغلبه النوم فنام . فمر به رجل من عطاء المدينة فراقه جماله ، وتوسم فيه شرف النجار^١ ، فرق له ومنحه خمسمائة درهم ، فكتب على باب المدينة — جمال يوم واحد يساوى خمسمائة درهم — وأتى بالدراهم إلى أصحابه . فلما أصبحوا فى اليوم الثالث قالوا لابن التاجر : انطلق أنت فاطلب لنا بعقلك وتجارتك ليومنا هذا شيئا . فانطلق ابن التاجر ، فلم يزل حتى بصر بسفينة من سفن البحر كثيرة المتاع : قد قدمت إلى الساحل ، فخرج إليها جماعة من التجار يريدون أن يتناعوا مما فيها من المتاع . فجلسوا يتشاورون فى ناحية من المركب ، وقال بعضهم لبعض : ارجعوا يومنا هذا لا نشترى منهم شيئا حتى يكسد المتاع عليهم فيرخصوه علينا ، مع أننا محتاجون إليه ، وسيرخص . فخالف الطريق وجاء إلى أصحاب المركب فابتاع منهم مافيه بمائة ألف دينار نسيئة^٢ وأظهر أنه يريد أن ينقل متاعه إلى مدينة أخرى . فلما سمع التجار ذلك خافوا أن يذهب ذلك المتاع من أيديهم فأربحوه على ما اشتراه مائة ألف درهم ، وأحال عليهم أصحاب المركب بالباقي وحمل ربحه إلى أصحابه وكتب على باب المدينة — عقل يوم

واحد ثمنه مائة ألف درهم - فلما كان اليوم الرابع قالوا لابن الملك : انطلق أنت واكتسب لنا بقضائك وقدرك . فانطلق ابن الملك حتى أتى إلى باب المدينة ، فجلس على متكا في باب المدينة ، واتفق أن ملك تلك الناحية مات ولم يخلف ولداً ولا أحداً ذا قرابة ، فمروا عليه بجنازة الملك ، ولم يحزن ، وكلهم يحزنون . فانكروا حاله ، وشمته البواب ، وقال له : من أنت يا هذا ؟ وما يجلسك على باب المدينة ؟ ولا نراك تحزن لموت الملك ، وطرده البواب عن الباب . فلما ذهبوا عاد الغلام فجلس مكانه . فلما دفنوا الملك ورجعوا بصبر به البواب فغضب ، وقال له : ألم أنك عن الجلوس في هذا الموضع ؟ وأخذته فحبسه . فلما كان الغد اجتمع أهل تلك المدينة يتشاورون فيمن يملكونه عليهم ، وكل منهم يتناول ينظر صاحبه ويختلفون بينهم فقال لهم البواب : إني رأيت أمس غلاماً جالساً على الباب ، ولم أره يحزن لحزننا ، فكلمته فلم يجبني ، فطرده عن الباب . فلما عدت رأيته جالساً . فأدخلته السجن مخافة أن يكون عينا . فبعثت أشرف أهل المدينة إلى الغلام فجاءوا به وسألوه عن حاله ، وما أقدمه إلى مدينتهم . فقال : أنا ابن ملك فريزان ، وإنه لما مات والدي غلبني أخي على الملك ، فهربت من يده خذراً على نفسي حتى انتهيت إلى هذه الغاية . فلما ذكر الغلام ما ذكر من أمره عرفه من كان يغشى أرض أبيه منهم : وأثنوا على أبيه خيراً . ثم إن الأشرف اختاروا الغلام أن يملكوه عليهم ، ورضوا به . وكان لاهل تلك المدينة سنة : إذا ملكوا عليهم ملكاً حملوه على فيل أبيض وطاقوا به حوالى المدينة . فلما فعلوا به ذلك مرّ بباب المدينة فرأى الكتابة على الباب

فأمر أن يكتب : إن الاجتهاد والجمال والعقل وما أصاب الرجل في الدنيا من خير أو شر إنما هو بقضاء وقدر من الله عز وجل . وقد ازددت في ذلك اعتباراً بما ساق الله إلى من الكرامة والخير .

ثم انطلق إلى مجلسه فجلس على سرير ملكه . وأرسل إلى أصحابه الذين كان معهم فأحضرهم ، فأشرك صاحب العقل مع الوزراء . وضم صاحب الاجتهاد إلى أصحاب الزرع . وأمر لصاحب الجمال بمال كثير . ثم نفاه كي لا يُفتَنَ به . ثم جمع علماء أرضه وذوى الرأى منهم ، وقال لهم : أما أصحابي فقد تيقنوا أن الذى رزقهم الله — سبحانه وتعالى — من الخير إنما هو بقضاء الله وقدره ، وإنما أحب أن تعلموا ذلك وتستيقنوه ، فإن الذى منحني الله وهياًه لي إنما كان بقدر ، ولم يكن بجمال ولا عقل ولا اجتهاد . وما كنت أرجو إذ طردني أخى أن يصيبني ما يعيشني من القوت ، فضلاً عن أن أصيب هذه المنزلة . وما كنت أومل أن أكون بها ، لأنى قد رأيت في هذه الأرض من هو أفضل منى حسناً وجمالاً ، وأشدّ اجتهاداً ، وأسد رأياً . فساقني القضاء إلى أن اعترزت بقدر من الله . وكان في ذلك الجمع شيخ ، قهض حتى استوى قائماً ، وقال : إنك قد تكلمت بكلام كامل عقل وحكمة ، وإن الذى بلغ بك ذلك وفور عقلك وحسن ظنك . وقد حققت ظننا فيك ، ورجاءنا لك . وقد عرفنا ما ذكرت ، وصدقناك فيما وصفت . والذى ساق الله إليك من الملك والكرامة كنت أهلاً له ، لما قسم الله تعالى لك من العقل والرأى . وإن أسعد الناس في الدنيا والآخرة من رزقه الله رأياً . وقد أحسن الله إلينا إذ وفقك لنا عند موت ملكنا وكرّمنا بك . ثم قام

شيخ آخر سألني . فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وقال : إني كنت أخدم
— وأنا غلام قبل أن أكون سائحاً — رجلاً من أشراف الناس ، فلما بداني
رفض الدنيا فارقت ذلك الرجل . وقد كان أعطاني من أجرتي دينارين .
فأردت أن أتصدق بأحدهما وأستبقى الآخر . فأتيت السوق . فوجدت
مع رجل من الصيادين زوج هُدهُد . فساومته فيهما فأبى الصياد أن يبيعهما
إلا بدينارين . فاجتهدت أن يبيعهما بدينار واحد ، فأبى . فقلت في نفسي :
أشتري أحدهما وأترك الآخر . ثم فكرت وقلت : لعلهما يكونان زوجين
ذكرا وأثنى فأفرق بينهما . فأدركني لهما رحمة . فتوكلت على الله وابتعتهما
بدينارين وأشقت — إن أرسلتهما في أرض عامرة — أن يُصادا ولا يستطيعا
أن يطيرا مما ليقا من الجوع والهزال ، ولم آمن عليهما الآفات . فانطلقت
بهما إلى مكان كثير المرعى والأشجار ، بعيد عن الناس والعمران . فأرسلتهما
فطارا ووقعا على شجرة مثمرة . فلما صارا في أعلاها شكرا لي ، وسمعت
أحدهما يقول للآخر : لقد خلصنا هذا السائح من البلاء الذي كنا فيه ،
واستنقذنا ونجانا من الهلكة ، وإنا لخليقان أن نكافئه بفعله . وإن في
أصل هذه الشجرة جرة مملوءة دنائير . أفلا ندله عليها فيأخذها . فقلت
لها : كيف تدلانني على كنز لم تره العيون ، وأنتما لم تبصرا الشبكة . فقالا :

١ الهدهد بضمتين بينهما سكون ويقال له الهداهد وأما جمعه فهداهد بالفتح : طير
ذو خطوط وألوان كثيرة ومنقاره طويل يستعين به على التقاط الدود من بين أخاديد
الأرض ويعلو رأسه قنبرة ذات ريشات يطويها وينشرها ، وهو شديد الخدر لذلك تراه
دائم التلفت يمينا وشمالا تبيض أثناءه من يبيضتين إلى أربعة وهو منتن الطبع وقد يتخذ
أغوصته في بعض المزابل والكوى في المنازل

إن القضاء إذا نزل صرف العيون عن موضع الشيء وَغَشَى البصر . وإنما صرف القضاء أعيننا عن الشرك ولم يصرفها عن هذا الكنز . فاحتفرت واستخرجت البرنية^١ ، وهي مملوءة دنانير ، فدعوت لهما بالعافية . وقلت لهما : الحمد لله الذى علمكما ما لم تعلما ، وأتتا تطيران فى السماء . وأخبرتني بما تحت الأرض . فقالا لي — أيها العاقل — أما تعلم أن القدر غالب على كل شيء لا يستطيع أحد أن يتجاوزه ؟ وأنا أخبر الملك بذلك الذى رأيته . فإن أمر الملك أتيته بالمال فأودعته خزانته . فقال الملك : ذلك لك ، وموفر عليك .
(انقضى باب ابن الملك وأصحابه)

﴿ باب الحمامة والشعلب ومالك الحزين^٢ ﴾

وهو باب من يرى رأى لغيره ولا يراه لنفسه . قال الملك للفيلسوف : قد سمعت هذا المثل . فاضرب لى مثلا فى شأن الرجل الذى يرى رأى لغيره ولا يراه لنفسه . قال الفيلسوف : إن مثل ذلك مثل الحمامة والشعلب ومالك الحزين . قال الملك : وما مثلهن ؟

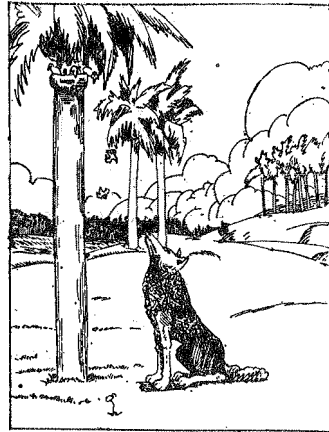
قال الفيلسوف زعموا أن حمامة كانت تُفرخ فى رأس نخلة طويلة ذاهبة فى السماء . فكانت الحمامة تشرع فى نقل العش إلى رأس تلك النخلة فلا يمكن أن تنقل ما تنقل وتجعله تحت البيض إلا بعد شدة وتعب ومشقة ،

١ البرنية بالفتح : أناء من خزف ٢ مالك الحزين : طائر طويل العنق والرجلين يعرف بين القرويين بأبو قردان يلزم المياه وهو شديد الحمق حتى انه ليقال عنه اذا نقص الماء من حوله أحجم عن الشرب حتى لا يجف فيموت بذلك ظمأ

لطول النخلة . فإذا فرغت من النقل باضت ثم حضنت بيضها . فإذا
 قصّت وأدرك فراخها جاءها ثعلب قد تعاهد ذلك منها لوقت قد علمه بقدر
 ما ينهض فراخها ، فيقف بأصل النخلة . فيصيح بها ويتوعدّها أن يرقى إليها .
 فتلقى إليه فراخها . فبينما هي ذات يوم قد أدرك لها فرخان إذ أقبل مالك
 الحزين . فوقع على النخلة فلما رأى الحمامة كثية حزينة شديدة الهم قال
 لها مالك الحزين : يا حمامة : مالي أراك كاسفة اللون سيئة الحال ؟ فقالت له :
 يا مالك الحزين : إن ثعلباً دهيت به : كلما كان لي فرخان جاءني يهدّني



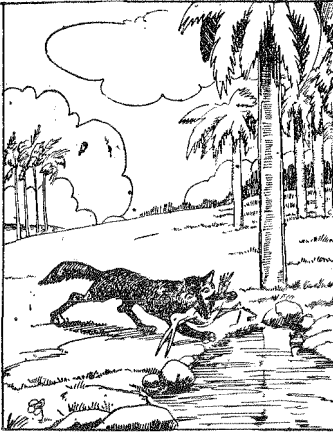
الثعلب ينقض على الفراع فيأكلها



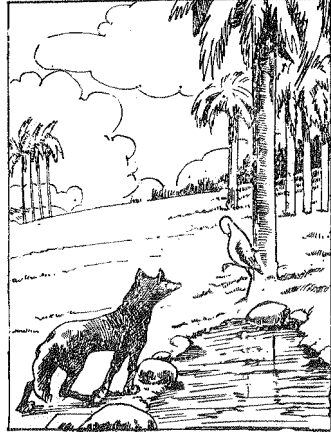
الثعلب يتوعد الحمامة لتتني بفراخها

ويصيح في أصل النخلة ، فأفرّق منه فأطرح إليه فرخي . قال لها مالك
 الحزين : إذا أتاك ليفعل ذلك فقلّي له : لا ألقى إليك فرخي ، فارق إلى ،
 وغرّر بنفسك . فإذا فعلت وأكلت فرختي طرت عنك ونجوت بنفسي . فلما
 علمها مالك الحزين هذه الحيلة طار فوق على شاطئ نهر . فأقبل الثعلب

فى الوقت الذى عرف فوقف تحتها . ثم صاح كما كان يفعل . فأجابته الحمامة بما علمها مالك الحزين . فقال لها الثعلب : أخبرينى : من علمك هذا . قالت علمنى مالك الحزين . فتوجه الثعلب حتى أتى مالكا الحزين على شاطئ النهر فوجده واقفاً . فقال له الثعلب : يامالك الحزين إذا أبتك الريح عن يمينك فأين تجعل رأسك ؟ قال : عن شىلى . قال : فإذا أبتك عن شىمالك . فأين تجعل رأسك ؟ قال : أجعله عن يمينى أو خلفى . قال : فإذا أبتك الريح من كل مكان وكل ناحية فأين تجعله ؟ قال أجعله تحت جناحى . قال : وكيف تستطيع أن تجعله تحت جناحك ؟ ما أراه يتهيأ لك . قال : بلى . قال فأرنى : كيف تصنع ؟ فلمعرى - يامعشر الطير - لقد فضلكن الله علينا : إن كن تدرين فى ساعة واحدة مثل ما ندرى فى سنة ، وتبلغن مالا نبلىغ ، وتدخلن رؤوسكن تحت أجنحتكن من البرد والريح فهيناً لكن . فأرنى ؟ فأدخل



الثعلب وقد وثب على مالك الحزين فقتله



الثعلب يمدح مالك الحزين

الطائر رأسه تحت جناحه فوثب عليه الثعلب مكانه . فأخذه فهمزه همزة

دقت عنقه . ثم قال : ياعدو نفسه : ترى الراى للحجامة وتعلمها الحيلة لنفسها
وتعجز عن ذلك لنفسك حتى يستمكن منك عدوك . ثم اجهبز عليه وأكاه .
فلما انتهى المنطق بالفيلسوف إلى هذا المكان سكّت الملك . فقال
له الفيلسوف - أيها الملك - عشت ألف سنة . وملكت الأقاليم السبعة ،
وأعطيت من كل شيء سبباً مع وفور سرورك وقرة عين رعيتك بك ،
ومساعدة القضاء والقدر لك ، فإنه قد كمل فيك الحلم والعلم ، وزكمتك العقل
والقول والنية ، فلا يوجد في رأيك نقص ، ولا في قولك سقط ولا عيب ،
وقد جمعت النجدة واللين ، فلا توجد جباناً عند اللقاء ، ولا ضيق الصدر
عندما ينوبك من الأشياء . وقد جمعت لك في هذا الكتاب شمل بيان
الأمور ، وشرحت لك جواب ما سألتني عنه منها ، فأبلغتكم في ذلك غاية
نصحي واجتهدت فيه برأى ونظري ومبلغ فطنتي التماساً لقضاء حقتك وحسن
النية منك بإعمال الفكرة والعقل . فحساء كما وصفت لك من النصيحة والموعظة
مع أنه : ليس الأمر بالخير بأسعد من المطيع له فيه ، ولا الناصح بأولى
بالنصيحة من المنصوح ، ولا المعلم للخير بأسعد من متعلمه منه . فافهم ذلك
أيها الملك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

